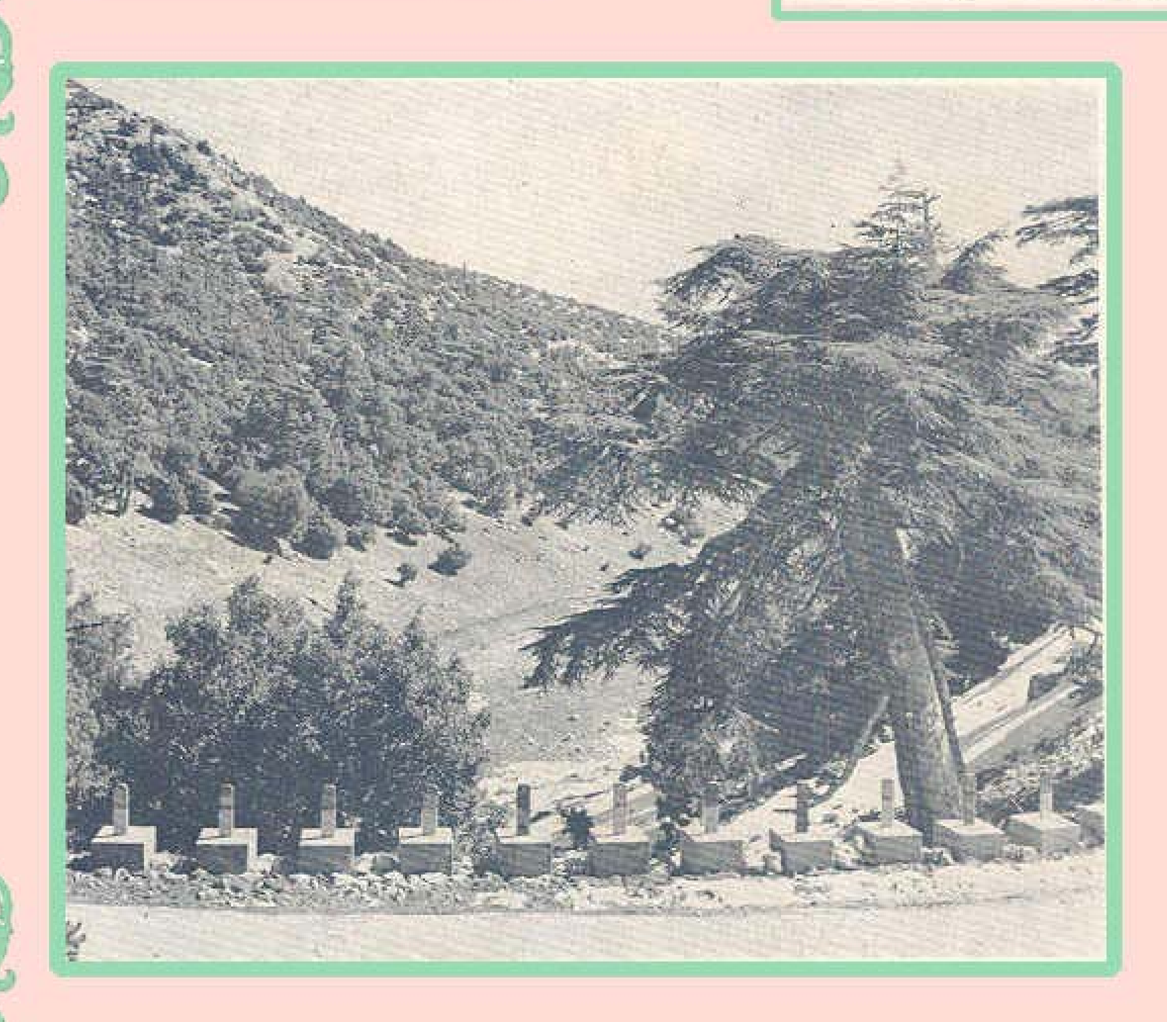
دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الاقصى



العدد السادس السنة الخامسة
شوال 1381 مارس 1962
ثمن العدد 1,50 درهم

العدد السادس
السنة الخامسة
شوال 1381
مارس 1962

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة عموم الأوقاف

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف. الرباط - المغرب

صورة الغلاف



الطريق الرابطة بين فاس ومكناس عبر غابات الأرز بالاطلس المتوسط

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «**دعوة الحق**» - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 15 درهما ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« **دعوة الحق** » الحوالة البريدية رقم 55 - 485 - الرباط -
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «**دعوة الحق**» - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل مايتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط
تليفون 308.10 - الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

يصادف صدور هذا العدد ذكرى مرور اربع عشرة سنة على اغتصاب فلسطين، وليست ذكرى فلسطين الا واحدة من الذكريات الاليمة والمريرة التي يحفظها الشعب العربي في مجموع أقطاره للاستعمار .

لا شك أن قيمة الذكريات التي من هذا النوع تكمن في استجلاء الظروف التي حل فيها المصاب ، واستعراض تطوراته ووقائعه وتقييم المرحلة التاريخية الراهنة التي نحياها ازاءه . ومختلف الفعاليات التي نواجهه بها .

تحدث الناس كثيرا عن كارثة العرب في فلسطين وحللوها ، وربطوا اسبابها بالاستعمار ودسائسه ومكايده ، وبالتفرقة التي كان يوجد عليها الصف العربي آنذاك ، وبتخاذل القيادات العربية ، وكلها أسباب صحيحة وواقعية الى أبعد حد ، فهزيمة العرب في فلسطين كانت كغيرها من الهزائم التي لحقت العرب ظاهرة تشير الى أدواء خطيرة في قلب المجتمع العربي ، والى أوضاع فاسدة كانت تحياها الامة العربية. والدور الذي يقوم به الاستعمار دوما هو استغلال هذه الاوضاع ورعايتها . والسهر على استمرارها .

والهزيمة في فلسطين لم ينحصر نطاقها فقط في الميدان العسكري المحض كما يحلو للبعض ان يصورها ، وانما كانت هزيمة على نطاق أوسع ، كانت هزيمة للفوضى أمام التنظيم المحكم ، هزيمة لاساليب الارتجال امام اساليب التخطيط والتصميم المدروسة بعناية ودقة ، هزيمة للتخلف بكل مظاهره من جهل وفقر ومرض امام التقدم بكل مظاهره من علم وتقنية وغنى وما الى ذلك . فمحو عار الهزيمة اذن وتصفيتها لا يمكن ان يتم الا بمحو وتصفية الاوضاع التي ادت اليها .

لقد بدا العرب يدركون هذه الحقيقة . فما الانتفاضات الشعبية التي نلاحظها في جميع أرجاء الوطن العربي سوى شعور حي بواقع مريض ومطالبة ملحة بعلاجه ، والاستعمار والصهيونية العالمية يدركان أيضا هذه الحقيقة اذ جميع المكاسب التي يحققها الشعب العربي في ميدان القضاء على التخلف وجميع المعارك التي يربحها ضد اعدائه ومستغليه تعتبر من طرف الاستعمار وحليفته اسرائيل مسامير تدق في نعشهما .

ان وعي العرب لحقيقتهم واوضاعهم وطبيعة الظروف التي يستغلها الاستعمار هو الكفيل وحده بتحطيم الصهيونية ومشاريعها .

دعوة الحق

دواء الشاكين وقامع المشككين

للدكتور تقي الدين الهلالي

- 19 -

الزمـــان

قـــال المصنف فى الفصل نفسه ، ان الانسان الاول كان يحب الزمان كالايقاع ،كالضرب المنظم على طبل . وقد رفعه التوقيت فى رقصه فوق مستوى الغريزة . والانسجام التام فى النغمات الموسيقية يوصلنا الى التلذذ العجيب الذي يهز مشاعرنا بالقطع الموسيقية المتناسقة فى النغمات والاصوات التي يقوم بها الجوق (الاوركسترا). ان الاهتزازات الموجودة فى وحدة النغم فى لحظات من الوقت ، لا تعتبر موسيقى الا عند الانسان وحده .

وقد جاءت المدنية للانسان بضرورة الضبط والتدقيق فى قياس الزمان وتسجيله . وكذلك الفصول المتتالية التي يدل عليها ظهور الشمس فى اقصى الشمال وجنوب خط الاستواء ادت الى تكوين دوائر بروبد وبناء الاهرام ، وغير ذلك من علامات الوقت فى العالم . وكان ظهور الشمس او ظلها فوق هذه الاشياء عند علامة معينة سرا مكتوما عند القسيس فهو الذي يخبر بعدد الايام التي تحسب حتى يجيء وقت الغرس، او فيضان النيل . اما الآن فان التقاويم ، وان لم تبلغ الكمال تعلق فى كل بيت ، وبها نميز الايام ونعرف الاوقات .

وفوق ذلك صرنا نسجل الساعات والدقائق والثواني ، بل نسجل جزءا من الالف من الثانية . وكلما تقدمنا فى ضبط الوقت زادت حاجتنا الى معرفة الكيمياء ، والطبيعيات ، والمعادن ، ودرجات الحرارة ، وعلم الفلك، ومن اهم مايجب علينا تعلمه، الرياضيات. ونحن نحسب جدول زمان الكواكب والاقمار والمذنبات ونعتمد على معرفتنا بالوقت فيما يحدث فى حركاتها فى المستقبل ، ونحدد الساعة والدقيقة لكسوف الشمس وخسوف القمر ، فى الماضي والحاضر . ونحن نعرف سرعة الضوء ونحددها بالثانية ونعرف طبائع الاجرام السماوية التي يظهر لنا انتظامها من سيرها المتواصل الدقيق البديع فى الاماد الطويلة .

ان التطور قد بلغ بالموجودات الحية الى الاتفاق التقريبي مع بيئتها ، الا انه من الجهة النظرية على الاقل لا يمكن ان يزيد على ذلك . وتقدم الانسان فيما وراء ضروريات الحياة قد خرج به عن الحدود التي يظهر لنا ان التطور الطبعي وضعها على حدة . وان الانسان باقترابه من المعرفة التامة بالزمان ليقترب ايضا من المعرفة بقوانين العالم الابدية ، وبذلك كله يقترب من معرفة الخالق سبحانه .

واذا لم توجد فى بعض نواحي العالم مخلوقات عاقلة ، فان الانسان وحده يختص بمعرفة الزمان ، وسيطرته على معرفة الزمان تدنيه من شيء هو اعظم من المادة .

فمن اين تجيء هذه الوثبة العظيمة التي يثبها الانسان بعيدا عن الفوضى ، وعن جميع التركيبات المادية ، وعن جميع المخلوقات الحية الاخرى ؟ لابد ان تجيء من شيء اعلى واجل ، ولن تجيء من المصادفة .

(الفصل الرابع عشر)

التصور الكامل

دعنا نترك العلم مليا من الزمان ونرجع الى تصورنا .

يمكن ان نقدر ان جميع الحيوانات ترى الحقائق والحوادث ، والاشياء المادية ، كما هي ، وان رد الفعل العقلي عندها مباشر . فرد الفعل عندها يظهر في سعيها في تحصيل قوتها ، وفي هربها من اعدائها ، وفي اختفائها عند خوفها من الخطر ، وفي طلبها للراحة في مكان تأمن فيه . ومن المكن ان بعض انواع الحيوان المتقدمة ، كالكلاب مثلا تحلم في نومها ، والحلم بالطبع نوع من التصور ، لا يستطيع الحالم ان يسيطر عليه .

ان التصور من اعظم المقدرات والكفاءة العقلية التي وهبها الانسان . فبالتصور يستطيع الانسان فورا ان يسافر حيث يشاء . والخطيب يستطيع ان يرحل بالمستمعين له الى اي افق يريد . فاذا وصف في تصويره لمستمعيه احدى جزائر المرجان من بلاد الهند الشرقية ، يرى بتخيله تلك الجزيرة . ومستمعوه ايضا يرون بعقولهم سلسلة صخور مرجانية تحيط بها ويرون الشاطىء المرجاني ، ويرون تغيرات لون المحيط ، والسماء التي تظلها ، والريح تعبث بسعف النخيل ، وجزيرة في الوسط مكسوة حلة جميلة من نبات الاراضي الحارة . ويمكنه ان يصف لهم ماء البحيرة الصافي الازرق كزرقة السماء ، وجلاء المرآة ، واذا صار به الفكر الى ابعد من ذلك ، يرى المستمعون له اعماق تلك البحيرة. ويمكن ذلك الخطيب ان ينقل المستمعين له من ذلك المنظر الاستوائي فورا الى نهر جليدي بجريانه البطيء والوانه من ازرق واخضر وابيض ، ويسترعي افكارهم الى جبل قد توج الثلج قمته يظهر مرتفعا وراء ذلك النهر ساطعا باشعة الشمس في لون وردي بهي .

واذا كنت تستمع الى ذلك الخطيب يمكن ان يحملك الى كوكب بعيد ، ويكاد يحمل الى اذنيك تصادم العناصر المتطايرة ، ويكاد يشعرك ويريك فيض الضوء والحرارة ، وهما يسرعان لاعطاء الدفء والحياة وايصالهما الى الارض ، وليرى سكان الارض صورة رائعة البهاء للهلال يشرق نوره في ظلمة غابة خضراء.

ويقدر ذلك الخطيب ان يصور لذهنك ليس فقط ما يحيط بك ، بل الصورة نفسها التي تتخيلها لزوجتك واولادك في حركاتهم واعمالهم في تلك اللحظة . وهنا يعوزك التصور . فيعتريه النقص وتكون الصورة الحقيقية ، بلا شك ليست هي التي تخيلتها، بل غيرها.

وقوة التصور هذه في الطفل ينبوع سعادة عظيمة فهو يستعملها كما يشاء في اللعب ، واذا اردت ان تعرف ذلك فلاحظ الاطفال في لعبهم لترى ما يعتقدون في انفسهم فالصبي الذي يحمل على كتفه بندقية من الخشب ، قد يعتقد اعتقادا تاما انه جندي حقيقة .

ان التعليم والتجربة والبيئة والمهارة ، كل هذه قد تصير الخيال قطعة فنية رائعة من الطراز الاعلى ، سواء اكانت قطعة من الموسيقى السمفونية ، ام لوحة رسم ، ام آلة ميكانيكية دقيقة الصنع . والآراء انما هي بنات التصور فهي حينئذ اساس العبقرية . واعظم نتائج العقل الانساني ، كالاختراعات ، والآلات الميكانيكية ، واستنباط افكارنا الرائع في الرياضيات العليا ، هو التحقيق النهائي لآراء ناشئة عن التصور .

توضيحات وتعليقات

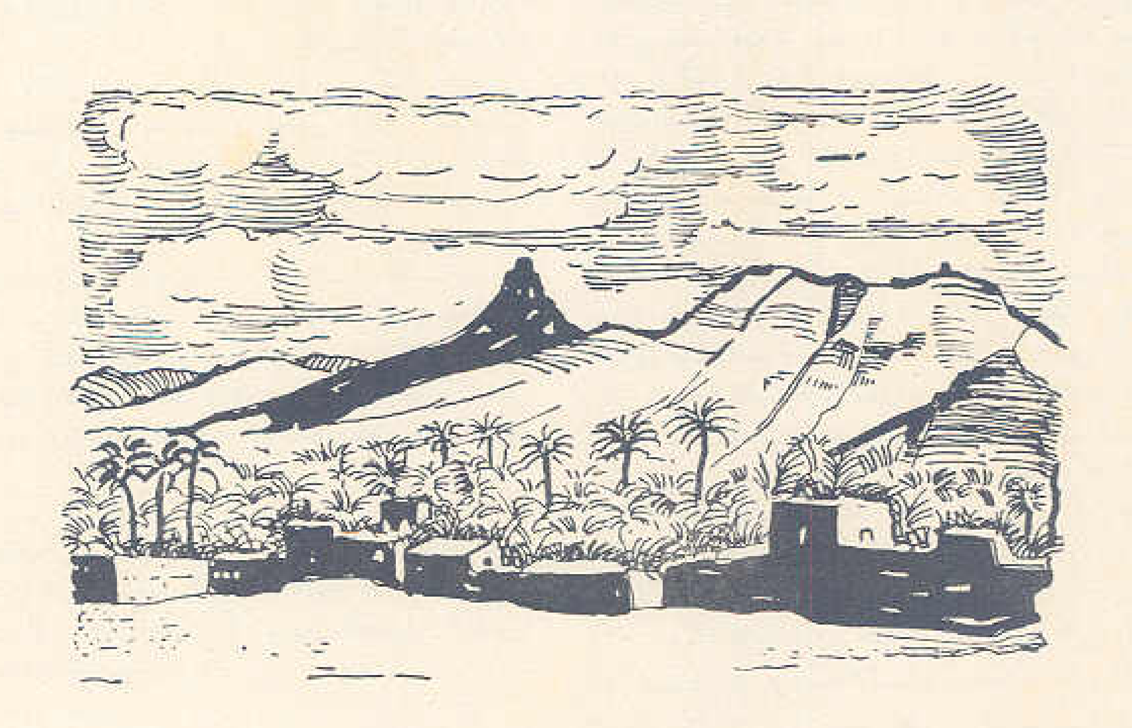
1) قوله . وكان ظهور الشمس الخ . لا شك ان العلم كله ، سواء اكان علم معاش او علم دين او ادب وفلسفة كان محتكرا عند رجال المعابد والكنائس في الزمان القديم . وبذلك تنحصر السيطرة في الحكام والسحرة والكهان ، ويبقى سائر الناس عبيدا لهم مسخرين لخدمتهم بسبب جهلهم ، فاذا كان الفلاح لا يكتب ولا يحسب ولا يقرأ يكون مضطرا في شؤون زراعته وصحته ودينه الى الساحر او الكاهن،فهو الذي يعين له اوقات المزروعات واوقات حصادها ، واوقات غرس الاشجار وايراقها فازهارها فاثمارها . وهو الذي يعالجه اذا مرض مرضا حقيقيا او وهميا بالرقى والتمائم ويحصنه من عين المعيان واذى الانس والجان . وهذا الساحر او الكاهن يفرض على الفلاح والعامل ان لا يعمل شيئا حتى يستشيره فيخبره بعواقب الامور . ويوهمه ان كل حركة يتحركها بدون ارشاده هي حركة طائشة توقعه في الهلكة . وهؤلاء الكهان يحرمون التعلم والمعرفة على رعاياهم ، لانهم يعلمون ان كل من تعلم من هؤلاء المساكين يتحرر عقله وفكره ويخرج من السجن والاسر ، وفي ذلك القضاء المبرم على سلطان الطبقة الحاكمة بامرها ، وهي الحكام والسحرة ومن في معناهم من المنجمين والمتظاهرين بالدين لنيل مآربهم الخسيسة . واعظم محرر للعقول وداع الى التسوية بين جميع البشر وجعل العلم مشاعا بين جميع الناس وجعل الدين لله والحكم لله والسيادة له وحده لا شريك له ، هو محمد رسول

الله الذي جاء بالعلم والنور والهدى لجميع البشر على اختلاف اجناسهم والوانهم . قال الله تعالى في سورة سبأ (28) (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وفي الحديث الصحيح ان النبي (ص) قال . وهو يعدد الخصائص التي خصه الله بها . وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة . وعن ابي موسى الاشعري قال ، قال النبي (ص) . مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طائفة قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير ، وكان منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، واصاب طائفة منها اخرى انما هي قيعان ، لا تمسك ماء ولا تنبت كلا ، فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدي الله الذي ارسلت به . رواه البخاري ومسلم . نفهم من هذا الحديث امورا ، احدهما ان الشيء الذي بعث الله به محمدا (ص) هو الهدى والعلم ، فالهدى الارشاد ، والعلم قسمان ، علم دين وهو عقائد وعبادات ومعاملات تدخل تحت احكام الشريعة واخلاق وءاداب تسمو بالانسان الى الكمال . وعلم معاش وهو كل ما يرفع شأن الانسان ويحسن معيشته ، وانواعه كثيرة . وقد يعارض بعض الناس في داخل الاسلام وخارجه ، في دخول هذا القسم الثاني في مسمى العلم الذي جاء به الرسول . ولو تأملوا لوجدوا انفسهم مخطئين ، فقد اخذ النبي (ص) بعض علوم الحرب عن سلمان الفارسي لما اشار عليه بحفر الخندق فحفره هو واصحابه وعمل فيه بيده ، وامر الناس بالتداوي فقال تداووا يا عباد الله ، فان الله ما انزل داء الا انزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله. وهويتضمن الحث على تعلم الطب . وكان عليه السلام هو نفسه طبيبا ، يصف الادوية والحمية للمرضى . وامر بتعلم الرمي وركوب الخيل وقال من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا . وقال تعالى في حق داوود (وعلمناه صنعة لبوس لكم ليحصنكم من بأسكم) وهم النبي (ص) بالنهي عن المقابلة ، وهي مباشرة المراة المرضع مخافة ان تحمل فيتضرر رضيعها ، فلما علم ان اهل فارس والروم لا ينهون عن ذلك ترك النهي . وفي ذلك حث لامته على تعلم علوم الصحة . الى غير ذلك من الادلة التي لا تحصى . وثانيها تشبيهه عليه الصلاة والسلام العلم الذي جاء به بالمطر والناس بانواع الارض فمن كان منهم عالما ومعلما فهو كالارض التي تنبت ما ينفع الناس من ثمرات وحبوب ومراع مخصبة والحياض التي تمسك الماءعلى الناس لشربهم وسقيهم . وشبه الجاهلين المعرضين عن التعلم بالاراضي الصلبة التي لا تمسك ماء ولا تنبت نباتا . واخبر ان الجاهلين المحرومين الذين لا خير فيهم هم الذين لا يتعلمون ولا يعلمون ولا يهتمون بالعلم . وثالثها حصره الخير في من تفقه وعلم وعلم . وقد جاء ذلك صريحا في حديث ، والعالم والمتعلم شريكان في الخير ولا خير في سائر الناس . وامر امته بطلب العلم ولو في الصين، فحطم بذلك القيود التي كانت تحول بين العامة وبين العلم . ومن درس التاريخ العالمي بامعان وتبصر وكان سالما من العصبية علم يقينا ان اعظم رجل حارب احتكار العلم ونظام الطبقات هو محمد رسول الله (ص) ومن دواعي الاسف ان المنتسبين الى الاسلام بعد ما تركوا القرءان والسنة رجعوا الى الجاهلية وصاروا يحتكرون العلم والمعرفة وراجت سوق الكهانة والسحر والاكل بالدين بينهم ، فقد اخبرني رجل في فاس ان زوجته اصيبت بمرض لازمها بضع سنين فذهب الى امام جامع كبير فشكى له ذلك فأمره بذبح دجاجةحمراء وطبخ لحمها بلا ملح ودفنه تحت شجرة عينها له خارج باب الفتوح ، ففعل ، الرجل ما امره به ، وطبعا بقيت امراته مريضة كما كانت ، فانظر الى هذه الجناية العظيمة التي ارتكبها هذا الامام ، وما اكثر امثاله ،ففيها تضييع الطعام ، وافساد العقيدة بايقاع الناس في عبادة الجن ، وصرف هذا الرجل المسكين عن الصراط السوي الذي امر به رسول الله (ص) وهو التداوي . وشكى الي رجل مغربي أن زوجته لا تلد مع انها موافقة له ، وهو يحبها حبا جما ولا يستطيع ان يكدرها ، الا انه مضى عليها عنده عشرون عاما ولم تحمل . قال وقد طفت على اضرحة الاولياء في جميع انحاء المغرب فما جاء الله بشيء ، هذا لفظه ، فقلت له انك لم تقصد الله تعالى ، ولو قصدته ما خيبك، وعلى ذلك فقد بقي لك ولي لم تقصده بعد ، فقال لي لا يستطيع احد ان يذكر لي وليا لم اقصده في المغرب كله ، فقلت له انا اذكر لك واحدا ، فقال وما هو فقلت طبيب النساء خوس الاسباني،وليس بعيدا منك انه في طنجة. فقال لي الله يا فقيه . تسمي هذا ولي الله ؟ فقلت انا ما سميته ولي الله ، وانما سميته وليا فقط ، وهو الذي ينفعك الله على يده ، لانه طبيب ، وقد امرنا نبينا (ص) باتيان الاطباء لعلاج الامراض ، ولم يأمرنا باتيان الاضرحة والالتجاء الى اصحاب القبور . وقد اخبر علماء الصحة انهم بعد الاستقراء التام ، لم يجدوا امراة ولدت عاقرا من بطن امها . قالوا فالعقم انما يطرا على المراة بسبب الامراض والعاهات ، بخلاف

الرجال، فان منهم من يولد عقيما . فالتمس مني عنوان الطبيب المذكور فكتبته له ، فذهب اليه فعالج زوجته فحملت . وسافرت انا الى العراق فلما رجعت فى صيف سنة (1959) وزرت تلك المدينة جاءني الرجل المذكور ومعه صبي ابن بضع عشرة سنة فقال لي هذا ولدي الذي رزقني الله بسبب ارشادك وسلم على الغلام ، فقلت له يا بني ، ان والدك جنى عليك بطلبه الاولاد من الاموات وتركه الطريق الصحيح وهو العلاج . ولو ان والدك قصد الطبيب من اول الامر لكان عمرك الآن بضعا وثلاثين سنة ولكان لك اخوة واخوات ، فضحك ابوه والحاضرون . وهذا الداء الفتاك وهو طلب الحاجيات من السحرة والكهان واصحاب القبور لا يزال يفتك بهذا الشعب لكثرة سببه وهو الجهل . فتذهب اديانهم وعقولهم واعراضهم واموالهم، وذلك هو الخسران المبين . ولا يزال الدجاجلة يسرحون ويمرحون ويبتزون الاموال ويعيشون عيشة الترف بالشعوذة والدجل، وانواع الحيل. ولا منقذ لهم من هذا الشقاء الا الله ثم العلم النافع. ولا يمكن ان يوجد هذ العلم النافع الا بالرجوع الى رفع راية القرءان وما جاء به محمد رسول الله من البيان ويسير ذلك جنبا الى جنب مع علم اللغات والعلوم العصرية التي لا يقوم دين ولا دنيا الا بها . ومن طلب علم الدين وسار فى طلبه على صراط مستقيم فان علوم الدنيا تاتيه مطيعة منقادة وتخطب وده ؛ بخلاف من عكس فان امره ينعكس وينتكس ، واذا شيك فلن ينتقش ، كما فى الحديث ، ومعناه اذا اصابته شوكة فلن يقدر على اخراجها بمنقاش .

2) قوله، واذا لم توجد فى بعض نواحي العالم الخ. يشير بذلك الى احتمال وجود خلق عاقلين فى بعض الكواكب كالمريخ مثلا ، وما يعلم جنود ربك الا هو . وقد استطاع الانسان اليوم ان يخترق هذا الغلاف الجوي الذي خلقه الله ليحفظ به الارض وما عليها من التلاشي والاضمحلال. والانسان الآن يطمع فى اكثر من ذلك ، وهو الاتصال بالكواكب الاخرى ، ولا يعلم ما ياتي به الغد الا الله .

مكناس — تقي الدين الهلالي



الحضارة الإنسانية تقاس بالكيف دون الكم

بحث

للدكتور محمد البهي

ليس كل عمل فكري او تصوري او فني او سلوكي يصدر من الانسان يسهم فى الحضارة الانسانية وانما ذلك العمل وحده الذي يصدر من الانسان ممثلا لخصيصة من الخصائص الانسانية ويتميز به الانسان لانه انسان هو الذي يكون او ينمي الحضارة البشرية .

فالعمل الفكري الدقيق ، والتصور الرفيع ، والفن فى صورته العالية ، والسلوك فى رشده واستقامته، هو اساس الحضارة الانسانية والعامل فى نموها او تقدمها ، لان فى كل واحد منا يتجلى جهد الانسان ، وتتجلى ارادته ، كما يبدو فيه ان الانسان ذا فاعلية ، خرج عن التأثر واضحى مؤثرا : مؤثرا بفكره وبتصوره وبفنه وبسلوكه فى التوجيه والتعبير معا ، والتوجيه والتعبير عندئذ له صلاحية تتجاوز الدائرة التي وجد ونشأ فيها المفكراو الفنان اوصاحب السلوك الانساني.

وهنا يمكن ان يقال : ان الحضارة الانسانية هي مجموعة من القيم الانسانية وضعها الانسان بخالقيته او توصل اليها بالجانب الانساني فيه وحده ، ولها الصلاحية والاعتبار فيما وراء المجتمع او البيئة التي وجد فيها صاحب الخالقية او ذلك الذي بنى واسهم فيها .

وكلما كان تفكير الانسان ، او تصوره او فنه ، او سلوكه اوسع شمولا فى الاعتبار والصلاحية فى التوجيه كلما كان ادخل فى الاسهام فى الحضارة البشرية او فى تقدمها ونموها .

وانتاج انسان – لهذا – يتميز او يختلف عن انتاج انسان آخر ، سواء فى الفلسفة او الشعر او الرسم والتصوير والنحت والتمثل والموسيقى ، او فى القانون ، واساس الاختلاف او التمييز حينئذ ليس هو كم الانتاج ، بل نوعه وكيفه .

ويمكن ان يقال ايضا : ان الفلسفة التي توجه نحو العنصرية وتفضل جنسا من البشر على جنس آخر منه ، وتلك الاخرى التي تدعو الى الحيوانية والسخرية من القيم الانسانية ، لا تقوم عليها حضارة بشرية ، او هي اقل فى الاسهام فى هذه الحضارة من فلسفة اخرى تدعو فى توجيهها الى تقويم الخصائص الانسانية اينما وجدت فى افراد او فى شعوب . والشعر الذي يمجد امة او فردا او افرادا لانها امة بعينها او فرد بذاته ، او افراد فيمجموعتهم . ليس لخصائص او لقيم انسانية تتمثل فى تلك الامةاو ذلك الفرد او اولئكم الافراد – قليل الحظ فى بناء الحضارة الانسانية ، وربما كان من عوامل ضعفها او فنائها ، والفن فى انواعه العديدة الذي يثير الانسان ويدفعه نحو تقويم الجانب الحيواني فيه ، او نحو تقويم الشعوبية هو فن بعيد عن مقياس الحضارة ، وبالتالي بعيد عن الاتصال بها فى قيامها او استمرارها ، والقانون الذي لا يؤسس على الحرية الفردية والعدل بين افراد المجتمع ، ورعاية السلوك الانساني الرشيد فيه – وكلها قيم انسانية – شأنه ان لا يتجاوز دائرة واضعه ، وليست له الصلاحية فى التوجيه الانساني العام ، ومن ثم ليس له الطابع الحضاري الانساني .

واذا انتقلنا من هذه المقومات الى الاسلام – كمصدر فى توجيه الانسان – نجده يقدر الكيف والنوع ، اكثر مما يقدر الكم ، ونجد صلاحيته فى التوجيه لا تقف عند قبيلة او شعب او جنس بعينه ،

وانما للانسان اينما وجد ، وللشعوب مهما كان بينها من فوارق اللون ، او المكان ، او الزمان : نجده يقدر الكيف والنوع فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام : (المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف) وقوة المؤمن ليست فى قوة عضلاته بقدر ما هي فى قوة قلبه بالايمان ، وقوة عقله بالمعرفة ، وقوة ارادته بالسلوك المستقيم ، وهنا يمكن ان يكون قول الله تعالى: (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان تكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون) موضحا لهذه القوة فالصبر الذي جعل امارة على القوة حتى يكون العدد القليل المتحلي به اشد تفوقا على العدد الكثير الذي لم يكن له هذا الوصف هو قوة نفسية وليست قوة مادية .

وتجد الكيف ايضا واضحا فى تقدير الرسول عليه الصلاة والسلام عندما يقول : (يوشك ان تداعى عليكم الامم كما تداعى الاكلة الى قصعتها ، قالوا امن قلة نحن يا رسول الله ؟ قال لا ، بل انتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل) . اذ لا شك ان الكم هنا قليل الاعتبار فى مواجهة النوع .

وبعد ذلك تجد القرءان الكريم فى قول الله تعالى: (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ؛ ان اكرمكم عند الله اتقاكم) يحدد ان الطبيعة البشرية هي الطبيعة البشرية فى أي شعب او مكان او زمان ، وليس بين طبيعة واخرى فضل وتميز من حيث انها طبيعة بشرية . وانما التفاوت الذي يقع بين فرد وفرد او بين مجموعة من الافراد ومجموعة اخرى منهم يقع وراء امكانيات هذه الطبيعة ، ويرجع الى مدى ما تحقق من هذه الامكانيات فى دائرة الطبيعة البشرية نفسها ، فكل طبيعة بشرية فردية لها القوى النفسية التي تتمثل فى الادراك والوجدان والارادة ، واختلاف طبيعة فردية عن طبيعة اخرى لا يعود الى الزيادة او النقص فى هذه القوى ، وانما الى الافادة من هذه القوى فى التوجيه ، والتقوى التي جعلت فى القرءان سبب المفاضلة من قوله : (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) هي حسن توجيه هذه القوى النفسية بادراك الله وحده ، وبالمحبة والاخوة بين الناس ، وبالعمل الصالح لخير الفرد والبشرية كلها ، فادراك الانسان فى اصله يمكن ان يتجه به الى الايمان بالله الواحد او الى انكاره ، ووجد انه يمكن ان يتجه الى المحبة او الى ما يقابل المحبة من بغض وكراهية ، وارادته يمكن ان تحمله على كبت الهوى ، أو على الاسترسال فيه ، وهنا يتصور فى الانسان – من حيث ان طبيعته البشرية ذات قوى نفسية ثلاث – ان يكون ذا تقوى وان يكون غير ذي تقوى .

*

ومما يروى عن الرسول ويذكر فى القرءان – فيما سبق – نجد الاسلام بقدر ما هو توجيه للبشرية مصدرا للحضارة الانسانية فى الوقت نفسه ، ودعوته هي دعوة لبناء الحضارة ولبقائها ، وتعاليمه لا تتجه الى تكتيل الافراد لغزو او اعتداء وانما تتجه الى « النوعية » فى الانسان ، وهي انسانيته ، واخص ما يمثل هذه النوعية فى الانسان صفتان: العدل والاحسان:

فالعدل هو موازنة فى الفرد بين ما يشتهي ان يحصل عليه وما يجب عليه ان يفعله ويؤديه ، وفى افراد المجتمع بين ما يؤدي من قبل كل فرد وما يؤخذ له ، ليس هناك حرمان فى دائرة الفرد ولكن هناك اعتدال ، وليست هناك انانية فى دائرة المجتمع ولكن هناك اشتراك فى الوجود وفى حق الحياة وتوازن فيهما، ومن ثم ليس هناك مجال للطبقات ولا سبب للاحتكاك، وانما هناك حق للجميع ، والعدل كما يكون فى الفعل يكون فى القول ، وكما يكون بين مشتركين فى هدف واحد فى الحياة يكون بين اثنين لا يربطهما هدف واحد ولكن تجمعهما خصائص الانسانية ، يقول الله تعالى : (اوفو الكيل ولا تكونوا من المخسرين ، وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين) ويقول : (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا) ويقول : (ولا يجر منكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا ، هو اقرب للتقوى) .

والاحسان – بدوره – فوق العدل والموازنة، لانه ليس الاعطاء المادي لمحتاج ، وانما هو التهذيب فى اخص صوره ، هو المنح بلا مقابل ، والرد الكريم عند عدم الاستطاعة على الاعطاء ، والمعاملة الانسانية فى العشرة والمفارقة على السواء ، والقول الجميل فى المحادثة ، يقول الله تعالى : (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى) ويقول : (فامساك بمعروف او تسريح باحسان) ويقول : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا) ويقول : (ولا تقل لهما

اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) .

ولمنزلة العدل والاحسان فى المستوى البشري وبين الخصائص النفسية طلبهما القرءان فى صورة الامر الجازم فى قوله : (ان الله يامر بالعدل والاحسان . .) فاذا تحقق العدل الفردي والجماعي واصبح التوازن ظاهرة فى تصرفات الفرد والمجتمع على السواء ــ تحققت صورة من صورة « النوعية » الانسانية ، واذا وجد الاحسان بالمعنى الذي قدمنا وجدت الصورة الاخيرة لهذه النوعية ، واضحى الفرد ذا انسانية واصبح المجتمع مجتمع الانسان فيما تؤدي اليه كلمة الانسان من معنى اصيل وخاص بها .

*

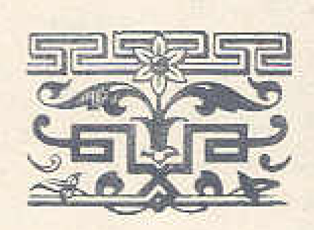
وما جاءت به دعوة الاسلام فيما وراء العدل والاحسان لا يعدو ان يكون دفعا لتحقيق العدل والاحسان او خلقا لجو يسر امرهما على الانسان كفرد وكعضو فى مجتمع . فصنوف العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج قصد منها حمل الانسان على ان يرى نفسه ووضعه فى الحياة كما يرى غيره معه فى الوجود ويشركه فى اسباب الاستقرار . فتكرار الصلاة فى الحياة اليومية عدة مرات والوقوف فيها بين يدي الله ، والسيطرة على النفس بالصيام مدة شهر فى السنة ، واخراج الزكاة عن ايمان قلبي بها كل عام ، والالتقاء فى بيت الله وفى مكان له حرماته مع تحمل المشقة فى الوصول اليه او البقاء فيه ــ كل ذلك سيخلي فى حياة الانسان مكانا للغير ويجعل لديه احتمالا قويا للتعاون مع الآخر ، وربما يصل هذا التعاون للتاخي بعد ذلك .

وكذا ما جاء فى دعوة الاسلام من تحديد فى المعاملات المالية والتجارية وفى العلاقات الاسرية لا يخرج عن كونه دفعا غير مباشر للبقاء فى دائرة العدل او الارتقاء الى دائرة الاحسان. اي الى الصورة الاخيرة لنوعية الانسان .

الاسلام مصدر للحضارة الانسانية . وقد اسهم المسلمون ــ عندما حققوا مبادىء الاسلام ــ فى بناء تلك الحضارة . ولعل ما اسهموا به كان اروع ما فى هذه الحضارة . وقد انقطعوا عن الاسهام والمشاركة فيها يوم ان ابتعدوا عن القيم الاسلامية فى حياتهم واكتفوا بانتسابهم الى الامة الاسلامية دون ان يصنعوا صنيع المسلم المعبر فى سلوكه عن الاسلام .

ويقظة المسلمين فى حاضرنا حين تبتدىء من تقدير النوع دون الكم ، ومن تقديم المبدا دون الشخص ومن الايمان دون الاحتراف به ، او الاكتفاء بالانتساب اليه ، يومئذ تبتدىء فى الاسهام فى الحضارة البشرية بالنوع الرفيع منها .

القاهرة : محمد البهي



طالب الحق ضيف الله

للاستاذ ابو العباس احمد التيجاني

اعرف للحريري صاحب المقامات كتابا ، سماه « درة الغواص فى اوهام الخواص » تصدى فيه لبيان عدد من الالفاظ خرجت مع الزمان عن معناها الاصلي واصبحت تدل على غير ما هو مدون فى المعاجم وامهات اللغة ، مثل هذا الانحراف الذي خرج ببعض الالفاظ عن المعنى الذي وضعه لها الواضع نجد نظيره وقع فى كثير من آيات الكتاب المجيد ، يرجع السبب فى ذلك الى ان هذه الآيات اخذها الناس مقتضبة مقطوعة الرحم من الآيات المنتظمة معها فى عقد واحد ، وبعبارة اخرى اخذت الآيات من غير اعتبار لسابق ولا لاحق ومن غير استحضار لما هنالك من اشباه ونظائر مبثوثة فى مختلف السور لها اتصال بوجه من الوجوه بالآيات التي هي موضوع بحثنا هنا ، فى طالعة هذه الآيات ، قوله تعالى : والله خلقكم وما تعملون ، لا اطيل الكلام عما اثارته هذه الآية من جدال ومنابذات بين اصحاب علم الكلام ومن تشيعوا لهم من اشعرية وماتريدية ومعتزلة وغيرهم مما يربو على السبعين فرقة تجدها معدودة باسمائها فى كتاب (الفرق الاسلامية) ، لا نجد لهذه الخلافات من سبب الا كون الآية ، اخذت مقتضبة كما قلت من غير القاء حساب للسياق اولا ، وللحقيقة التي جاءت لتقريرها ثانيا ، الآية جاءت فى ءاخر قصة ابراهيم عليه السلام مع ابيه وقومه ابتداء من قوله تعالى : « وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون ، فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة فى النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين ، فراغ الى آلهتهم فقال الا تاكلون ما لكم لا تنطقون ، فراغ عليهم ضربا باليمين فاقبلوا اليه يزفون قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون » يقول ابراهيم لابيه وقومه كيف تعبدون اصناما تنحتونها بايديكم مع ان اجرامها مخلوقة مثلكم ، فاذا كان الناحت والمنحوت مخلوقا لله ، فالله احق ان يعبد ، وبهذا التخريج تتجاوب الآية مع نظيرتها فى سورة الانبياء ، ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ، قالوا وجدنا ءاباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم وءاباؤكم فى ضلال مبين ، قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين ، قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين ، فالآيتان عند من يتدبر متعانقتان تواردتا على معنى واحد ، واما اذا جرينا فى تيار اصحاب علم الكلام من الاشعرية وقلنا بأن « ما » فى قوله تعالى : خلقكم وما تعملون، مصدرية ، وان معنى الآية،الله خلق العباد وخلق اعمالهم اختل احتجاج ابراهيم وانتكس راسا على عقب ، وصار حجة عليه لا له ، لانه اذا كانت افعال العباد مخلوقة لله فماذا ينقم ابراهيم من ابيه وقومه ، الا يحق لهم ان يجيبوه ، يا ابراهيم اذا كانت اعمالنا مخلوقة لله فان من جملة اعمالنا عبادتنا لآلهتنا ، فماذا تنقم منا ، ما حيلتنا وجميع اعمالنا مخلوقة لله ، وعلى هذا التوجيه السقيم يصبح ابراهيم محجوجا وعباد الاصنام هم الغالبين ، ابراهيم محجوج والمولى جل ذكره يقول فى حقه :

« وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه »

اجل ، على هذا التخريج المصادم لفحوى قصة ابراهيم وللمنطق قامت العقيدة التى تدين بها الامة ، وهي الظاهرة المتحكمة فى معظم شؤونها ، ما تكلمت مع احد الا جنح الى التفويض ورد الامر الى الله كيفما كان ، ويرحم الله سيدنا عمر : سال اعرابيا عن شيء فاجابه الاعرابي : الله اعلم ، فقال له سيدنا عمر : لقد شقينا ان كنا لا نعلم ان الله اعلم ، من سئل منكم عن شيء فليقل ما عنده او لا ادري ، فلم يقبل منه كما ترى الاقتصار من اول وهلة على الاحالة على المقادير والتفويض الى الله ، ذلك ليتربى الناس على الصراحة والتمشي مع ماجريات الحياة الواقعية ، وبعد هذا وذاك فان القول بان افعال العباد مخلوقة لله يصادم قبل كل شيء القرءان على طوله ، من ذلك ان الله

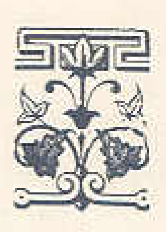
يقول : وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا ، تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا ، فاي معنى يبقى للابتلاء والاختبار ، اذا كان كل ما يصدر عن العباد مخلوقا لله ، اجل ثم اجل ، علة وجود الانسان في هذه الدنيا الابتلاء والاختبار ، ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم ، احسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين ءامنوا معه متى نصره الله — احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا ءامنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين — ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) هذه هي سنة الله في خلقه خلقهم للابتلاء والاختبار وعلى اعمالهم من خير او شر يترتب الجزاء — وانما توفون اجوركم يوم القيامة — ولكل درجات مما عملوا، ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون — والوزن يومئذ الحق ، فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .

والى جانب هذا يقول المربي الاعظم عليه السلام :

« الايمان والعمل اخوان شريكان في قرن ، لا يقبل الله احدهما الا مع صاحبه ، ويقول ايضا : اليوم الرهان وغدا السباق ، والجائزة الجنة ، وابلغ منه قوله ، وقوف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر امام الحجر الاسود — لا يجتمع غبار المجاهد مع دخان جهنم — الامر الذي يدل اقطع دلالة بان الاسلام دين عمل تنبه لهذا حتى علماء العجم امثال جلد زهير ، الذي يقول في كتابه : (العقيدة والشريعة) ان المؤرخ لتستولي عليه الدهشة والحيرة اذا قابل بين الاسلام كيف كان في اوله والى اين صار ، كان في اوله دين عمل يتجلى في حياة المجاهد ثم اخذ يتراجع امره الى ان اصبح دين مجرد اقوال واذكار تدور على الالسنة بين الشفاه » .

ونظرا لضيق الوقت الخص للقراء ما قصدته في هذا المقال ، وهو اني التمس بحق الاخوة الاسلامية ممن القوا بزمام قلوبهم وعقولهم الى التقليد والتمسك بالقديم لا سيما اذا شهد له ما دونه بعض اهل العلم امثال اللقاني صاحب الجوهرة في علم التوحيد ، من من هؤلاء التمس ان يتخيلوا تمثيلية من مثل ما يسمعون صباح مساء في الاذاعة يكون القائمون بادوارها ابراهيم وقومه ، ثم ليحكموا على اي الوجهين يستقيم احتجاج ابراهيم ، اعلى الوجه الذي يرى ان افعال العباد مخلوقة لله ام الوجه الذي يشرح أن الناحت والمنحوت في الآية كلاهما مخلوق لله ، وعند ذلك ينهار ما بنته الفلسفة والتاويلات الكلامية ، اناشدكم سادتي بحق ما اوردته من الآيات والاحاديث وطالب الحق ضيف الله فان وجدت من يضيفني بحسن الانصات وصفاء الطوية شكرت واستبشرت بمستقبل اسعد واتقى ، والا لويت راسي تحت طي جناحي وتسليت بقوله عليه السلام ، في حق عمر ، ما ترك الحق لعمر من صديق .

الرباط : ابو العباس التيجاني



التلقائية فى انتشار الإسلام

اللغة العربية والدعوة الاسلامية

للاستاذ رشيد النجار

- 3 -

* عرفنا فيما سبق ما آلت اليه حال المسلمين فى النصف الثاني من القرن الماضي ، حيث سيطرت على مقدرات حياتهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية يد اجنبية غاصبة معادية لهم ، كائدة لدينهم وملتهم ، فجردتهم من جميع امكانيات النهوض ومسايرة التقدم ، وبذلك انتشر الخمول والخمود فشمل مظاهر الحياة فى العالم الاسلامي .

وقد كانت اسباب هذا الوضع غير منحصرة فى العوامل الاجنبية، بل ان حركة الاستعمار التي شملتهم ليست الا نتيجة من نتائج التطورات التي لحقت المسلمين ، وقد كان بحثنا فى الحلقة الثانية منصبا على المظهر السياسي لحالة المسلمين فى العصور الحديثة، لكن تلك التطورات والتجارب التي عاشها المسلمون قد جرت الى نتائج فى الميدان الثقافي ربما كان لها اعمق الآثار بشكل مباشر فى الدعوة الاسلامية ، اكثر من غيرها من الاسباب .

وما دمنا نعالج ، بشكل مختصر وعابر ، مختلف المظاهر البارزة فى مشكل الدعوة الاسلامية التي كانت فى القرن الماضي وبداية هذا القرن تعاني حالة شاذة من الضعف والاضطراب ، لا فى الاقطار البعيدة النائية فى اطراف آسيا وافريقيا فقط ، بل فى عقر دارها وفى مراكزها الاولى ايضا ، فاننا سنعرض هنا الى وضعية اللغة العربية وتخلفها عن الدعوة كعامل من عوامل ضعف الرابطة الاسلامية بين الشعوب الاسلامية، ثم كعامل اساسي لفقدان تلك الدعوة سلاحها الحاد فى مقاومة الزمن .

ذلك ان التطور قد جعل من الاداة التعبيرية اقوى الروابط بين الشعوب ، وفى القديم كانت الروابط بين الامم تقوم على اساس من العقيدة اكثر مما كانت تقوم على اللغة ، لكن مع ذلك لم يكن هذا العامل قليل الاهمية فى نشأة الامم ، فاللغة ، ولا سيما بالنسبة للديانات ، عامل اساسي وضروري لمجابهة التيارات المعاكسة ، وقد قامت العربية بدورها ، كما فعلت اللاتينية ، فى جمع كلمة الشعوب التي دخلت الاسلام وكانت تلك الشعوب نفسها هي العاملة فى حقول العلم المختلفة على تزويد العربية بالذخائر والنفائس : فكان حظ الاجانب فى خدمة العربية ، بدافع الحماية والذب عن حياض العقيدة حظا وافرا وزاخرا ، ولذلك كانت العربية فى عز الحضارة الاسلامية ، وحتى القرن الرابع الهجري ، قد بلغت درجة اللغة العالمية بالنسبة للعالم القديم ، وهذه النقطة هامة جدا فى هذا المجال ، لان رقي اللغة بالنسبة للامة ، او بالنسبة للعقيدة الناطقة بها ، هو المقياس الصحيح لمدى رقيها او لمدى قابليتها للحياة والاندفاع الى الامام فى سبيل التقدم .

ولا يمكن القول بان اللغة العربية قد تخلفت منذ النهضة الاولى للاسلام عن العقيدة الاسلامية فى حركة انتشارها ، بل كانت تسير معها جنبا لجنب طيلة قرون ازدهار الحضارة الاسلامية .

لكن هذا التخلف حل بلغة القرءان منذ ظهرت الافكار الشعوبية على مسرح السياسة فى بغداد وغيرها من العواصم الاسلامية ، والعجيب حقا ان هذه الافكار المعادية للعربية هي ايضا من الاجانب اتت ، وكانت النتائج الحتمية للشعوبية ان انتعشت القوميات الاسلامية فى اواسط آسيا ، فنهضت اللغات الفارسية والتركية والاردية وغيرها ، وقوى

---

* راجع العددين الرابع والثالث من هذه السنة

امر اللهجات المحلية في كل البلاد غير العربية ، وانحسرت اللغة العربية من جديد الى موطنها الاول بالجزيرة العربية والعراق والشام ، بالاضافة الى الاطراف الشمالية والشرقية من افريقيا حيث تمركزت بسبب من كثرة الهجرات العربية الى هذه الاصقاع وبسبب من الروابط والوشائج المتينة بين العربية نفسها ، واللغات الاصلية لجماعات البربر واهل الحبشة والنوبة .

وهنا يمكن القول بعد انكماش اللغة العربية ومزاحمتها من قبل اللغات الشرقية التي كانت خاضعة لسلطانها ، بان العربية قد ارغمت نهائيا على التخلف عن مصاحبة الدعوة الاسلامية في انتشارها السلمي الهادىء بمجاهل افريقيا واقطار آسيا البعيدة .

لكن اللغة العربية قد قضى عليها نهائيا كلغة علم ، وكلغة حضارة ، عند ما اضطرت على عهد بني عثمان على الابتعاد عن الادارة وعن الحياة العملية ، فاحلت التركية محلها وبذلك انزوت العربية في بعض المساجد والجوامع ، واهمها جامع الازهر ، والزيتونة ، والقرويين ، لتواصل فقط محاولات هامة للمحافظة على تراث العقيدة الاسلامية من علوم دينية ولغوية لا علاقة لها بالحياة في اغلب الاحوال .

ان الدعوة الاسلامية ، كما هو معروف، قد قامت اساسا على اللغة العربية في اعلى مراتب فصاحتها وكانت ظاهرة الاعجاز القرءاني اهم ظاهرة اعتمدت عليها الدعوة ايام ان كان سيف الاسلام ضعيفا ثم بعد ان قوي ايضا ، وقد ظلت الدراسات الاسلامية والعربية واللغوية خاضعة في معظم امرها لدراسة ناحية هذا الاعجاز القرءاني الرفيع ، الامر الذي يدل على مدى اهمية اللغة العربية في فهم اسرار العقيدة الاسلامية .

فما هي نتائج هذا التخلف وذلك الانطواء الذي حل بالعربية ؟ :

لقد سيطرت العجمة ، في القرن الماضي على الخصوص ، على مجموع البلاد العربية التي نكبت بالسيطرة التركية ، التي اسلمتها بدورها الى الاستعمار الغربي ، وعم الجهل والخرافة بين ابناء العالم العربي من اقصاه الى اقصاه ، حتى اصبح اهل العربية ، او بعض المسوخين من ابنائها ، يطالبون في دعوات مفرضة اتت اليهم ضمن الجيوش الاستعمارية، وجيوش الجهل ، بان يتخذوا من العاميات في مختلف اجزاء البلاد العربية لغات محلية اقليمية لتحل محل اللغة الفصحى ، واوحى الى البعض الآخر من هؤلاء بان ينادي باستعمال الحروف اللاتينية لتسهيل الكتابة والقراءة .. الى غير ذلك من الاراء والافكار الاجنبية المغرضة التي غزت الشرق العربي .

وبهذه الحال ضعف السلاح الحاد الذي كان بيد الدعوة الاسلامية ، واذا كانت الظروف المحيطة باللغة العربية في القرن الماضي ، قد زالت ، كما زالت الظروف السياسية الاستعمارية التي خلفتها قرون طويلة من التحكم الاجنبي في رقاب المسلمين ، فان المشكلة التي تواجه اليوم العرب والمسلمين عموما ، هي مشكلة النهوض بلغة القرءان لتحتل مكانتها كلغة عالمية كما كانت الحال في عصور ازدهارها ، وبذلك فقط يمكن لها ان تستعيد امجادها وحيويتها لتدفع بالدعوة الاسلامية الى الانتشار والتسرب بطرق سلمية وانسانية تتفق واهدافها .

ولكن هل الدول الاسلامية ، التي تخلصت من الاستعمار المادي ، وتحاول ان تتخلص من بقايا الاستعمار الفكري والروحي وبقايا التبعية ، هل هذه الدول تسعى اليوم وتفكر جادة في مصير الدعوة الاسلامية ، وبالتالي في مصير اللغة العربية كسلاح حاد في يد هذه الدعوة ؟

وهنا نصل الى المشكلة الثقافية العويصة التي تركها التخلف والاستعمار ، وهي المشكلة التي ادخلت اضطرابات خطيرة على عقلية ابناء المسلمين واحدثت ذبذبة فيما بينهم ، ذلك ان اللغات الاستعمارية حلت محل اللغة العربية او اللغات القومية في جميع بلاد المسلمين ، باعتبار ان اللغات الاوربية هي حاملة الحضارة والتقدم ، وان اللغات المحلية لغات متأخرة واصابها الهرم ، بل وفيها اللغات التي لا تكتب ، والواقع ان هذه اللغات مهما قيل عنها ، فهي قد شهدت حضارات ذات طابع اقليمي وذات مميزات انسانية ، وليس المهم هو ان تكون اية لغة في مقدمة الركب الانساني ، على الرغم من ان هذا هدف يسعى اليه الجميع ، بل المهم هو ان تكون لكل جماعة ذاتيتها وطابعها الخاص ، ولكن المستعمر عمد منذ اول امره الى محاولة القضاء على اللغات الاقليمية اينما حل ، وكانت العربية في مقدمة الضحايا .

واللغات الاوربية قدر لها في الواقع ان تسع الحضارة الحديثة وتكون الوسيلة السهلة لتلقي العلم الحديث الذي نقلته شعوبها عن الحضارة الاسلامية وطورته ، فكان لابد للبلاد المتخلفة ان تتعلم

هذه اللغات ، على الا يكون ذلك على حساب العقيدة أ المقومات الاساسية للقومية الاسلامية ، ومن هنا كانت محاولة التوفيق بين تلقي العلم والحضارة، وبين الابقاء على التراث الاسلامي اهم مشكل امام الاقطار الاسلامية عموما والعربية على الخصوص ، فالطفل المسلم يجد نفسه امام ذلك الثقل الكبير من التعرف على اللغات المختلفة الاصول : فهو لابد ان يتعرف اولا على لغته القومية المحلية ان كانت مكتوبة ، ولابد بعد ذلك ان يتعلم اللغة الاساسية فى الدراسة العلمية ، اي احدى اللغات الاروبية ، واخير لابد من لغة ثالثة من اللغات العالمية الاروبية ايضا ، وبعدها تاتي العربية وفى كثير من الاحيان تكتفي البرامج التعليمية بثلاث لغات : قومية ، وعلمية او عالمية ، ثم لغة العقيدة .

لكن الواقع الذي تسير عليه الغالبية العظمى من البلاد الاسلامية ، هو ان العربية كلغة عقيدة لم تصل الى درجة المساواة ، بل وحتى فى بعض البلاد العربية ، مع اللغات الاروبية مهما كانت ضئيلة القيمة؛ ولعل لهذا علاقة بضعف امكانيات العربية فى حد ذاتها بالنسبة للحضارة الحديثة ، ولكن هذا لا يضيرها من حيث انها لغة العقيدة ، والمهم هو ان المشكلة القائمة هي كثرة الواجبات من حيث تعلم الطفل المسلم للغات ان نحن اردنا له ان يشب متمسكا بتقاليده وقيمه الروحية الى جانب اخذه بنصيب وافر من العلم ، ان هذه المشكلة قد سمعتها من افواه العديد من ابناء المسلمين ، والغريب ان ذلك يحصل فى بعض الاقطار الاسلامية التي كانت تحاول أن تضع دستورا قرءانيا لدولتها ، وتحاول ان تتخذ اللغة العربية لغتها الرسمية : لكنها فى الواقع التطبيقي تترك الخيار للطلبة فى المرحلة الاخيرة من التعليم الثانوي او العالي لتعلم العربية كلغة ثالثة او رابعة ، الامر الذي يتعارض مع الدعاية الرسمية مما دعا احد ابناء هذه البلاد ان يعلن صراحة فى نقاشه قائلا :) ان بلاده ستتاخر لمدة قرن من الزمن ان هي اتخذت العربية لغتها الرسمية) .

اننا نواجه فى الظروف الراهنة مشكلة تطور اللغة العربية ، وتواجه ايضا مسألة الامكانيات المادية والمعنوية التي يجب ان تتوفر عليها هذه اللغة ، اما قضية الافكار العاطفية التي تبديها بعض الشعوب الاسلامية نحو العربية فلا يحل الاشكال ابدا ، ان غينيا مثلا تحاول ان تتخذ العربية لغتها الرسمية ، وهذا اقرب الى الواقع من المحاولة التي قامت بها باكستان، الدولة الاسلامية الكبرى ، منذ ما يزيد على العشر سنين ذلك ان غينيا قد عمدت الى اتخاذ العربية كلغة رسمية بسبب من واقعها ، فهي لا تتوفر على لغة ذات امكانيات من حيث الكتابة بالاضافة الى ادراكها لمدى خطورة الاستعمار والسيطرة الفكرية التي تفرضه لغة المحتل الغاصب .

والمسيحية فى الواقع لم تعمل ، سواء فى افريقيا ام فى ءاسيا الا ان نشرت اللغات الاروبية على اختلاف انواعها ، فرنسية او انجليزية او المانية او ايطالية أو غيرها ، فالمجهودات العظمى التي تقوم بها البلاد المتخلفة هي من هذا القبيل ، ولذلك وجدت من الدول الاستعمارية على الرغم من تعارض الاهداف فى الظاهر خير عضد فى حملاتها التبشيرية ، واذا كانت اللغات الاوربية تتوفر على ميزات حضارية اكسبتها شهرة وقوة، فان الامكانيات المادية التي تتلقاها الكنيسة من دولها ، والمساعدة التي تجدها من الادارات المحلية المنحرفة ، لهي خير ضمان لمواصلة نجاحها وبقاء سيطرتها .

والخلاصة من كل هذا ، هي ان اللغة العربية قد وجدت منذ قيام القوميات القديمة للشعوب الاسلامية غير العربية . والتي لم تنصهر فى البوتقة العربية ، عراقيل وحواجز اضطرتها شيئا فشيئا الى الانكماش، فتخلت عن مصاحبة الدعوة الاسلامية فى المجالات البعيدة ، وقد كان هذا الانكماش خسارة كبيرة لحقت بالدعوة الاسلامية كدعوة انسانية عالمية ، ولو قدر للعربية ان تتابع انتشارها جنبا لجنب مع هذه الدعوة لتغير وجه التاريخ ، ولما اصبحت العقيدة الاسلامية على الاقل تعاني ما عانته الكوارث والنكبات .

واذا كانت الاسباب فى القرون الماضية قد عملت على قهر اللغة العربية، فان الظروف الحالية والمستقبلة لهي ظروف حسنة فى صالح العربية لتصبح لغة عالمية، لغة العلم والحضارة ، لغة العقيدة للملايين من البشر الذين اصبحوا قوة فى العالم تؤثر فى سيره وتوجيهه ، وهذه هي خلاصة هدف الدعوة التي قام بها السيد جمال الدين الافغاني منذ نحو القرن ، لقد قام يدعو المسلمين للعمل على ان يكونوا قوة ، قوة تقهر جميع القوى اذا توفرت لها الامكانيات الضرورية ، واهمها التمسك بالعقيدة وفهمها الفهم الصحيح الخالي من الجهل والخرافة .

نعم لقد اصبح المسلمون اليوم قوة ، وهذا آخر واول معقل للاستعمار يتحطم فى الجزائر ، فلم يبق للمسلمين الا خدمة الدعوة الاسلامية وتعمق فهمها لتشع على الملايين الذين لم تصلهم بعد نعمة الاسلام.

الرباط ـ رشيد نجار

الإسلام دين ودولة

للاستاذ : عبد الرحمن الكتاني

اخطا كثير من المسلمين فى القرون الاخيرة حينما اعتقدوا ان الاسلام دين يعنى بالناحية العبادية دون غيرها من النواحي ، ففارقوا العمل لصالح الدنيا ، معتقدين انهم بذلك يرضون ربهم ، وضاعف خطورة هذا الخطأ وقوعه فى الوقت الذي استيقظ فيه العالم الغربي من سباته الطويل الذي دام عدة قرون ، وتهافت على علوم الدنيا يحذقها ويتبارى فيها ، ونظم دولة تنظيما عصريا ، وكان التقدم الصناعي الذي وصل اليه الغرب الطليعة الاولى التي مهدت له استعمار العالم الاسلامي ، واستغلال خيراته .

كما اخطا كثير من الشباب المثقف ثقافة اجنبية حينما اعتقدوا ان الدين عامل من عوامل التاخر ، وانه لا يمكن لاية دولة اسلامية ان تساير حضارة القرن العشرين الا بعد ان تفارقه ، وزادوا فتحدثوا عن وجوب فصل الدين عن **الدولة** رسميا .

ولو قدر لهم ان يدرسوا دينهم الحنيف من منابعه الاصلية ، وتاريخهم الاسلامي من مصادره العربية ، لعلموا ان الحقيقة ليست معهم ولا مع اولئك فالاسلام الذي اختاره الله للانسانية كلها دين جمع بين مصالح الدين والدنيا .

فالتوحيد يعلمنا الخضوع لسلطة واحدة هي سلطة مبدع الكون سبحانه الجديرة بالخضوع والعبادة، لانها السبب فى ايجادنا وامدادنا .

والصلاة تربطنا بخالقنا خمس مرات في اليوم ، فنتذكر اوامره ونواهيه اثناء قراءتنا للقرءان .

والزكاة تعد شكرا لنعمه سبحانه ، وقياما بما يفرضه علينا الواجب الانساني نحو اخواننا الفقراء والمعوزين ، ولو نظمت احسن تنظيم لكانت اساسا متينا للضمان الاجتماعي فى الاسلام .

والصوم يعلمنا تقوى الله والعطف على المساكين، ويقرب النفوس للملائكة ويعلمها مراقبة الله فى السر .

والحج يدعونا للتجدد النفسي والتحرر الجسمي من رق العبودية لغير الله ، ويفسح المجال امامنا لعقد مؤتمرات اسلامية فى مستوى عال وشهود منافع لنا وذكر اسمه تعالى فى ايام معلومات والتكفير عن سيئاتنا واستيحاء العبر من تلك المشاهد .

واذا درسنا القرءان والسنة واضفنا اليهما الفقه الاسلامي الحر المستنبط منهما فسنرى هيكل الدولة يبهر الالباب ويحير العقول .

ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الله له بين سلطتي الدين والدنيا ، فجعله خاتم النبيئين والمرسلين ، ورئيس الدولة الاسلامية ، ومصدر السلط التشريعية والتنفيذية والقضائية والقائد الاعلى للجيش ، واعطاه الحق فى اسناد الامارة والوزارة والسفارة والعمالة لمن يشاء من اصحابه ، او عز لهم ، ومفاوضة ملوك العالم ورؤسائه باسم الاسلام، وكان هذا طبعا فى دائرة خلافة الاهية فى الارض ، مقيدة بدستور يعد اسمى دستور عرفه تاريخ العالم ، دستور لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وقد اعطى هذا الدستور لرئيس الحكومة النبوية حق تبيين مواده للناس وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ، كما اعطاه حق الاجتهاد

فى اصدار الاحكام التي لم ينص عليها ، وجعل الرضى بها شرطا فى الايمان « فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » وامره باتخاذ مجلس استشاري تشريعا لمن بعده ، وتطييبا لخاطر اصحابه ، يعرض فيه القضايا المتعلقة بسير الدولة من الناحية الدنيوية « وشاورهم فى الامر » غير انه جعل له الكلمة الاخيرة فى المقررات التي يتخذها هذا المجلس « فاذا عزمت فتوكل على الله » . .

وبهذا نعلم ان سلطته صلى الله عليه وسلم احتوت على احسن ما فى انظمة العالم الحديث ، مع الابتعاد عن عيوبها التي تعرضها للنسف والتحويل حسب الاهواء واذا بحثنا عن نظام هذه الحكومة النبوية، فسنجد ان السلطات كلها كانت بيد الرسول خصوصية له ، ومع ذلك كان له اكثر من اثنى عشر وزيرا يعينونه على تسيير شؤون الامة اذكر منهم ابا بكر الصديق الذي كان بمثابة الوزير الاول . وعمر الفاروق الذي كان بمثابة وزير الداخلية . وعلي ابن ابي طالب الذي كان بمثابة وزير الدفاع وغيرهم ممن ورد ذكرهم فى حديث ذكره ابن عبد البر فى « الاستيعاب » .

وحظى بوظيف امين هذه الامة « الكاتب العام للحكومة » ابو عبيدة بن الجراح ، وكان له (ص) ديوان مركب من اكثر من اربعين عضوا ، ذكر اسماءهم العراقي فى الفية السيرة ، واصفا لهم بالكتاب ، منهم من كان يكتب الوحي ، ومنهم من كان يكتب اموال الصدقات، ومنهم من كان مكلفا بمراسلات الملوك ، ومنهم من كان من كتاب الجيش ، ومنهم من كان مكلفا بالمراسلات البدوية .

وكان على رأسهم كاتب خاص يتقن عدة لغات هو زيد بن ثابت .

وكان المسجد النبوي مقرا دائما لرياسة الحكومة والقيادة العليا للجيش . وحظى بوظيف مدير الامن قيس بن سعد بن عبادة فقد نعتته كتب السيرة بانه كان بين يديه صلى الله عليه وسلم بمنزلة صاحب الشرطة .

وكان لرئيس الدولة نشاط كبير فى كل ميدان من ميادين الحياة .

ففي الميدان الداخلي اهتم بنشر الامن فى البلاد التي اعتنقت الاسلام وتطهيرها من الاصنام وكل ما يفسد عقائدها ، وبين احكام القتل عمدا وخطا ، والسرقة والزنى وقطع الطريق ، وحد الشرب ، وما يضمن وما لا يضمن ، والمرتد والزنديق ، وقتال اهل البغي والقسامة والقذف واللعان .

وفى الميدان الخارجي تجده قد اهتم بدعوة ملوك الارض وامرائها الى الاسلام ، ووجه لكل واحد منهم سفيرا قام بمهمته احسن قيام ، وعقد معاهدات صلح وعدم الاعتداء مع من لم يقدر له الاسلام .

وخصص دارا لاقامة الوفود والبعثات التي تاتي لعاصمة الاسلام من الخارج ، فكانت تنزل فيها الايام المتوالية على نفقة الدولة ، ووضع مبادىء العدل والمساواة ووضع اهدافها قارة للمعاهدات الدولية ، وضمن حقوق الاقليات بشكل لا يوجد فى غير الاسلام، وقضى على الميز العنصري ، وسوى بين الابيض والاسود والعربي والعجمي ، ودعا الى بناء السلام العالمي والحضارة الانسانية ، على اسس الاخوة الصادقة .

وفى ميدان الدفاع وجه سرايا لعدة جهات ، وغزا غزوات ، ووضع قوانين صارمة دعا فيها لاتخاذ وسائل القوة للدفاع عن المسلمين ، ودفع كل خطر يهدد سلامة بلادهم داخلا وخارجا ، حتى انه اوجب الجهاد على الذكر والانثى والكبير والصغير ساعة فجأ العدو، واستعمل الدبابات والمنجنيقات والعرادات وكان يشجع الجندي المتزوج فيعطيه من الفيء حظين ويعطي للاعزب حظا واحدا .

وكان يقيم الاستعراضات العسكرية لاظهار قوة الاسلام وارهاب الاعداء .

وفى ميدان التعليم نجد انه اتي العالم بالقرءان الكريم الذي يعد اوسع دائرة للمعارف استفاد منها الناس ، وبالحديث الذي هو تبيين للقرءان ، ورغب فى طلب العلم والاكثار منه وتوفير اهله ، وجعل طلبه فريضة على كل مسلم ، وفضله على العبادة والشهادة، وامر بالرحلة فى طلبه ، وامر بالتعلم فى الصغر ، وبعرض العالم نفسه على الناس ، ووضع للعالم والمتعلم آدابا ، وذم العالم الفاجر ومن تعلم العلم لغير الله ، وبين ان العلم لا يغني ما لم يصحبه العمل ، ووضع اصول العلم وحقيقته ، وبين ان القول بالراي بسبب الوقوع فى البدع ، وامر بالاجتهاد على الاصول

عند عدم النصوص في حين نزول النازلة ، وبين فساد التقليد ونفاه ، وذم من قال في دين الله بالراي ، وعمل غاية جهده في محاربة الامية ونشر القراءة والكتابة . ووضع اسسا قارة للحياة الكريمة .

وفي ميدان الاوقاف دعا امته الى الصدقة الجارية، واخبرها بان عمل صاحبها لا ينقطع بعد موته ، فنشأ عن ذلك من الاوقاف الخيرية ما لم يوجد في غير البلاد الاسلامية وقد بدا عملية الوقف بنفسه فحبس حدائق النخل التسع في حياته وزاد فقال : « انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة » وقد اقتدى به جمع من اصحابه فحبسوا عدة املاك .

وفي ميدان الاشغال العمومية كان له عدة مهندسين يشرفون على اعمال التعمير والسكنى ، وغير ذلك منهم حذيفة بن اليمان والعلاء بن عقبة والارقم وتميم بن اسد الخزاعي ومخرمة بن نوفل بل ثبت انه كان يقوم بالهندسة بنفسه ففي طبقات ابن سعد لما اقطع صلى الله عليه وسلم الدور بالمدينة خط لعثمان بن عفان داره اليوم وفي شفاء القاضي عياض انه عليه الصلاة والسلام قال وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا وبلغ من عنايته بتوسيع المنازل والطرق ان بعث من ينادي في معسكره ان من ضيق منزلا او قطع طريقا فلا جهاد له اخرجه ابو داود واخرج مسلم وغيره عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : اذا اختلفتم في الطريق جعل عرضه سبع اذرع .

وفي ميدان الشغل والشؤون الاجتماعية امر العمال ان يشتغلوا بجد ونشاط وشجعهم على العمل وحارب الاباحية والانحلال الخلقي والوطني واوجد العلاج لامراض الفقر والجهل والمرض والرذيلة وامر بتشجيع المشاريع التي تعود بالخير على الدين والوطن .

وفي ميدان الاقتصاد وضع اسس الاقتصاد الاداري والمالي والتامين الاجتماعي لكل واحد ، وامر بتنمية الثروة القومية واحاطتها بما يحول بينها وبين الاضمحلال ، واوجب تحقيق العدالة الاجتماعية بين الفرد والمجتمع ، ودعا لتنشيط الصناعات المحلية ورفع من شأن العامل بما لا يوجد في غير الاسلام ونهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم الا من باس واوجب الزكاة في الاموال والانعام والحبوب والثمار على كل من كمل عنده النصاب ، واوجبها في المعدن والركاز ايضا ، واقام في كل جهة وكلاء يقبضون الاموال ووضع قوانين لبيع المرابحة والقرض وبين صورة بيع العينة وبيع الغرر وبيع السلام ، وحرم الربا الذي استفحل امره تحريما باتا الخ ..

وفي ميدان العدل شرع قوانين للتسعير والرهن والحجر والصلح والتنازع في الجدار والحوالة والضمان والشركة والمضاربة والوكالة والاقرار والعارية والوديعة والغصب والشفعة والوقف والهبة والعمرى واللقطة واللقيط والجعالة والوصية والفرائض وميراث الولاء والنكاح وكيفية الصفاق والوليمة والنشوز والخلع والطلاق والكنايات والرجعة والايلاء والظهار والقذف واللعان وصورة العدة والمفقود والرضاع والنفقات والحضانة ونفقة الحيوان والجناية والسارق والدية والقسامة والكفارة وذم السحر وبين كيفية الايمان وكفارة الايمان والنذر والمقاسمة في العقار والدعاوي والشهادات والعتق والتدبير والمكاتب وحكم امهات الاولاد الخ .

وفي الميدان الفلاحي نهى عن المحاقلة والمزابنة والمخابرة وبيع الثمرة قبل بدو صلاحها وعن بيع المعاومة وهو بيع السنين وبين احكام كراء الارض بالطعام وبالذهب والورق واحكام المزارعة والمؤاجرة وبيع الطعام مثلا بمثل وحرم الاحتكار في الاقوات .

وفي ميدان الصحة نجد انه صلى الله عليه وسلم كان اعلم الناس بالطب فكان تارة يعالج المرضى بالادوية الالاهية وآونة بالادوية الطبيعية وطورا بالادوية المركبة منهما بل كان له بمسجده الشريف مستشفى متنقل تشرف عليه امراة اسمها رفيدة كانت تداوي فيه الجرحى ، وتحبس نفسها على خدمة من كان فيه ضيعة من المسلمين ، وقد عولج فيه بامر منه سعد ابن معاذ سيد الاوس ، حينما اصيب بسهم في غزوة الاحزاب .

وبلغ من عنايته صلى الله عليه وسلم بالطب ان باشره بنفسه ، وفي بعض الاحيان كان يحذر الجهلة من تعاطي مهنة الطب ويتوعدهم على ذلك محافظة على سلامة النـاس .

ومن تعاليمه السامية ما اخرجه البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : قـال سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : اذا كان الوباء بأرض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه واذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليها وهو ما يسمى اليوم بالحجر الصحي ، الى غير ذلك من الميادين التي يطول ذكرهـا .

قارئـي الكريـم .

الا يحـق لك بعد هذا ان تصيـح بملء فيك ان الاسلام دين ودولة ، وانه وضع للانسانية قوانيـن محكمة صالحة لكل زمـان ومكـان ، وبذلـك ضمـن للانسانية الحياة الحرة الكريمة وهيأ لها سبل العيش في امـن وسعادة .

فتشبث بدينك افضل الاديان ، واهتـد بهـدي نبيك سيد الارسال وادفع عن شريعتـه كيـد الكائديـن ، ومكر الماكرين ، واستحضـر قوله تعالى : « ويوم يعض الظالم على يديه يقول يـا ليتني اتخـذت مع الرسول سبيلا يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعـد اذ جاءنـي » وكن داعيـة لانشاء كتلة اسلامية تشق طريقها بين الراسماليـة والشيوعية ولي اليقين بانك ستنجح في دعوتك مصداقا لقوله تعالى : « هو الذي ارسل رسوله بالهدى وديـن الحق ليظهره على الديـن كله ولو كره المشركون » .

سلا : عبد الرحمـن الكتاني





للأستاذ حسن بغدادي القادري

- 4 -

وعدنا في آخر البحث الثاني بأن نأتي في تتمته بأقوال مشاهير المفسرين للاستشهاد على ما ذهبنااليه من ان المراد بالكتاب الوارد في قوله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » هو اللوح المحفوظ ، وليس هو القرءان . وذلك اصح التفاسير المعضدة بالادلة القاطعة واولاها بالفهم والتقدير والتقديم .

كما وعدنا بان نأتي بالآيات المماثلة لقوله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » لورودها على معنى واحد يراد به اللوح المحفوظ ، وذلك ما تجده دائرا ـ هنا وهناك ـ في عدة ءايات على اختلاف الاساليب والتراكيب التي يقتضيها الموضوع مما يزيد المعنى وضوحا واشراقا . وذلك من خصوصية هذا القرءان العجيب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

هذا وان خير ما يفسر به كلام الله هو ما جاء في كتابه تعالى معادا ومكررا للبيان او التفصيل. وقد قال العلماء المحققون : ان من احسن طرق التفسير أن يفهم اللفظ في القرءان نفسه بان يجمع ما تكرر فيمواضع منه وينظر فيه بما استعمل بمعان مختلفة كلفظ « الكتاب » في آية « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ، ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة الآية ، فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه

وقد قالوا ـ كذلك ـ : ان القرءان يفسر بعضه بعضا ، وان افضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق له من القول ، واتفاقه مع جملة المعنى ، والتلاقه مع القصد الذي سيقت الآية من اجله ، او جاء له الكتاب بجملته .

واليك الامثلة من الآيات التي توفقنا لحشرها على صعيد واحد في هذا البحث . وذلك في عشرين موضعا من القرءان ليتبين المعنى المراد ، وهو الاحاطة والشمول الذي يتصف به اللوح المحفوظ حقيقة لا مجازا ، واحيانا تتفق هذه الآيات وتتقارب حتى في الالفاظ ، كما تراها مرتبة باعتبار شدة المشابهة في المعنى والاسلوب .

1 ـ الآية الاولى ـ واولها قوله تعالى : « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ، ما فرطنا في الكتاب من شيء » سورة الانعام (38)

2 ـ الآية الثانية ـ « وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها ، كل في كتاب مبين » سورة هود (6)

فهاتان الآيتان متشابهتان لفظا ومعنى .

3 ـ الآية الثالثة ـ وهي اكمل واعم احاطة وشمولا ـ قال تعالى : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين » سورة الانعام (59)

4 ـ الآية الرابعة ـ « عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ، ولا أصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين » سورة سبأ (3)

5 ــ الآية الخامسة ــ « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين » سورة يونس (61)

6 ــ الآية السادسة ــ « وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين » سورة النمل (75)

7 ــ الآية السابعة ــ « الم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض ، ان ذلك فى كتاب ، ان ذلك على الله يسير » سورة الحج (70)

8 ــ الآية الثامنة ــ « قال علمها عند ربي فى كتاب ، لايضل ربي ولا ينسى » سورة طه (52)

9 ــ الآية التاسعة ــ « ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبراها ، ان ذلك على الله يسير » سورة الحديد (22)

10 ــ الآية العاشرة ــ وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ، ان ذلك على الله يسير » سورة فاطر (11)

11 ــ الآية الحادية عشرة ــ « وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا » سورة الاسراء (28)

12 ــ الآية الثانية عشرة ــ « واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض ، فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا ، كان ذلك فى الكتاب مسطورا » سورة الاحزاب (6) . واريد بالكتاب فى الموضعين اللوح المحفوظ » .

13 ــ الآية ــ الثالثة عشرة قال تعالى « لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث » سورة الروح (56)

14 ــ الآية الرابعة عشرة « ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون » سورة المؤمنون (62)

15 ــ الآية الخامسة عشرة ــ « يمحو الله ما يشاء ويثبت ، وعنده ام الكتاب » سورة الرعد (28)

16 ــ الآية السادسة عشرة ــ « وكل شيء احصيناه فى امام مبين » سورة ياسين (12)

17 ــ الآية السابعة عشرة ــ « قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ » سورة قاف (4)

ايها المؤمنون المصدقون بكتاب الله عز وجل : انه تعالى اخبرنا فى هذه الآيات السبعة عشرة بان كل ما كان وما يكون فى ملكه الواسع العظيم مما هو من مشمول خلقه ، ومكنون علمه الا وهو ثابت مسطور ومحصى عنده ولديه فى كتاب مبين . فما اهمل تعالى وما فرط فى ــ هذا ــ الكتاب من شيء « وقد عبر عنه باللوح المحفوظ تارة ، و « ام الكتاب » او « امام مبين» تارة اخرى ، كما وصفه فى بعض الآيات بانه « مكنون » و « حفيظ » و « مبين » وانه « ينطق بالحق » واحيانا ذكر من غير تعريف كقوله تعالى : « ان ذلك فى كتاب » واخرى جاء مضافا الى الله عز وجل كقوله : « فى كتاب الله » وكل ذلك مذكور فى الآيات التي جمعناها فى التنزيل ، وعددناها عدا دقيقا حسبما بلغ اليه الجهد والطاقة ، بمنه تعالى وحسن توفيقه .

وهذا بعض ما يستفاد من دراسة القرءان وعلومه الواسعة واستكناه اسراره العظيمة .

والقرءان بحر زاخر تنقضي الدنيا ولا تنقضي عجائبه ، وسيبقى الخلق جميعا ــ امام عظمته ــ قاصرين عاجزين ، بل جاهلين حائرين وان بلغوا ما بلغوا من الادراك والعلم فما اوتوا منه الا النزر الضئيل الذي لا يكاد يسمى علما بالنسبة الى ما لا يحيطون بشيء من علمه ، وصدق الله ــ وهو القائل لخلقه ــ « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » .

ثم اخبرنا تعالى بمنزلة القرءان المجيدة ، ومكانته السامية الكريمة : ان القرءان لديه فى « أم الكتاب » وعنده فى « كتاب مكنون » و « فى لوح محفوظ » . وذلك مصداق :

18 ــ الآية الثامنة عشرة ــ وهي قوله عز وجل انا جعلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون وانه فى ام الكتاب لدينا لعلي حكيم » سورة الزخرف (4)

19 ــ والآية التاسعة عشرة ــ « انه لقرءان كريم فى كتاب مكنون » سورة الواقعة (78)

20 ــ والآية الموفاة عشرين ــ « بل هو قرءان مجيد فى لوح محفوظ » سورة البروج (21 ــ 22)

اما اقوال مشاهير المفسرين فى الآية الكريمة : « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » اي ماضيعنا اثبات شيء منه الا وقد كتبناه فى ام الكتاب ، وهو اللوح المحفوظ) .

فابن جرير الطبري — وهو امام المفسرين — لم يأت في تفسيره الكبير الا بوجه واحد، رواه من ثلاث روايات: الاولى من طريق علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: «ما فرطنا في الكتاب من شيء» اي ما تركنا شيئا الا قد كتبناه في ام الكتاب.

الثانية — قال حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب، قال ابن زيد في قوله تعالى: «ما فرطنا في الكتاب من شيء» قال: لم نغفل، ما من شيء الا وهو في الكتاب، اي في ام الكتاب، كما هو مبين في الرواية الاخيرة عنه.

الثالثة — قال حدثني به يونس مرة اخرى قال في قوله «ما فرطنا في الكتاب من شيء» قال: كلهم مكتوب في ام الكتاب. ا هـ

وهذا ما جاء في تفسير ابن جرير، وهو الوجه الاحق الذي يتفق والآيات الاخرى من امثالها في القرءان مشاركة في الموضوع الواحد بالقرائن الحاقة والبساط المخصص، وبشهادة الواقع الذي يكشف عن الصواب بحق وصدق. ومن اعظم الشواهد — جملة وتفصيلا — تفسير القرءان بالقرءان، وكفى به تفسيرا واضحا يقطع الشك باليقين، ويزيد الذين اهتدوا هدى واطمئنانا.

وفي اقتصار الامام الراوية محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى على هذا الوجه الوحيد من غير ان يذكر غيره مع كثرة اعتنائه بجلب الروايات وشدة حرصه على استقرائها، وسرد اقوال الصحابة والتابعين — فيه ما فيه، وذلك ما يدلنا — فيما يظهر — على انه لم يوجد وجه ءاخر، او كان موجودا الا انه لا يعتمد عليه، او هو مما لا يلتفت اليه عند المثبتين من المحققين، فوجوده كالعدم.

وكذلك الامام ابن كثير — على توسعته في الرواية — لم يذكر في تفسيره سوى هذا الوجه الذي اقتصر عليه ابن جرير من قبل.

وهكذا جار الله الزمخشري صاحب الكشاف لم يذكر في تفسيره الا الوجه المقتصر عليه لدى المحققين.

وفي تفسير الجلالين ما نصه بالحرف عند قوله تعالى: «ما فرطنا في الكتاب من شيء» اللوح المحفوظ — «من شيء» لم نكتبه، ولم يزد على هذا شيئا آخر.

وممن اقتصر من المتاخرين — على تفسير ءاية سورة الانعام بوجه واحد لم يتعده الاستاذ الرباني سيد قطب في تفسيره العجيب «ظلال القرءان» عند قوله تعالى: «ما فرطنا في الكتاب من شيء» — اي —: ما تركنا في الناموس الذي ينتظم الوجود من شيء الا وانتظمه ذلك الناموس ودبر امره ونظم علاقاته بما سواه في هذا الوجود الى ان قال: هذه ءاية كونية واضحة معروضة على الابصار والبصائر، فما يكذب بها الا المطموسون الذين يعطلون جوارحهم وادراكهم عن تملي هذه الآيات — التي جاءت بعد قوله تعالى: «ما فرطنا في الكتاب من شيء، ثم الى ربهم يحشرون» — «والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات، من يشا الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم» واذا فقد المرا حواسه ونطق وهو في الظلام فقد تعطلت حواسه الهادية، وكان مصيره الى الضلال

اما المفسرون الذين قالوا بالوجهين او جاءوا بالروايتين، مقدمين في تفاسيرهم الوجه الاول على الوجه الثاني الذي اغفله المحققون، جاعلين له الصدارة في تفسيرهم: مما يدل على ترجيحهم اياه، واعتنائهم بتقديمه، واحتفالهم بالفهم الاول دون الثاني، معبرين في حقه بكلمة «قيل» الدالة على ضعف الرواية، وفي مقدمتهم الامام القرطبي في تفسيره الشهير.

واستمع اليه يقول — في الآية: «ما فرطنا في الكتاب من شيء» اي في اللوح المحفوظ، فانه اثبت ما يقع فيه من الحوادث، **(وقيل)** اي في القرءان اي ما تركنا شيئا من امر الدين الا وقد دللنا عليه في القرءان، اما دلالة مبينة مشروحة، واما مجملة يتلقى بيانها من الرسول صلى الله عليه وسلم او من الاجماع الخ.

وفي تفسير البيضاوي: «ما فرطنا في الكتاب من شيء» يعني اللوح المحفوظ، فانه اشتمل على ما يجري في العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد — او القرءان فانه دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين والدنيا مفصلا او مجملا.

وفي تفسير النسفي — «ما فرطنا في الكتاب من شيء» اي في اللوح المحفوظ «من شيء» من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان يثبت — او (الكتاب) اي القرءان، وقوله «من شيء» يحتاجون اليه فهو مشتمل على ما تعبدنا به عبارة واشارة ودلالة واقتضاء.

وفي تفسير الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ « ما فرطنا في الكتاب من شيء » اي ما اهملنا ولا اغفلنا في اللوح المحفوظ شيئا من الاشياء ، بل جميع الاشياء صغيرها وكبيرها مثبتة في اللوح المحفوظ على ما هي عليه ، فتقع جميع الحوادث طبق ما جرى به القلم . وفي هذه الآية دليل على ان الكتاب الاول قد حوى جميع الكائنات ـ ويحتمل ان المراد بالكتاب هذا القرءان وان المعنى كالمعنى في قوله تعالى: « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء »

وفي تفسير الشيخ جمال الدين القاسمي : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » اي ما تركنا وما اغفلنا في لوح القضاء المحفوظ « من شيء » اي جليل او دقيق فانه مشتمل على ما يجري في العالم لم يهمل فيه أمر شيء ، والمعنى ان الجميع علمهم عند الله لا ينسى واحدا منها من رزقه وتدبيره كقوله تعالى : « وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين » اي مفصح باسمائها واعدادها ومظانها وحاصر لحركاتها وسكناتها .

وزيادة (من) في قوله : « وما من دابة في الارض» لتاكيد الاستغراق ـ الى ان قال : وما بيناه في معنى « الكتاب » من انه اللوح المحفوظ في العرش وعالم السموات المشتمل على جميع احوال المخلوقات على التفصيل التام ـ هو الاظهر لملاقاته للآية التي ذكرناها « ومن دابة في الارض الا على الله رزقها ـ الى مبين » تاييدا للنظائر القرءانية .

وقيل المراد منه القرءان كقوله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء » قالل الخفاجي : قيل حمله على القرءان لا يلائم ما قبله وما بعده . ا ه

اقول : والذي قاله الخفاجي هو ما ذهب اليه ائمة السلف ، واقتصر عليه المحققون من علماء التفسير او رجحوه على غيره من الروايات او الوجوه التي لاتتفق مع ما جاء من الآيات المماثلة لآية الانعام في الاسلوب والموضوع احاطة وشمولا .

وقد جئنا بهذا ـ البحث وما تبعه من الاستطرادات دحضا للروايات الهزيلة التي تقول : ان القرءان فيه تفصيل كل شيء ـ على حقيقته ـ اخذا من قوله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » والامر واضح بين ـ (ويتلوه شاهد منه) من ان القرءان ليس فيه تفاصيل علم الطب والفلك ، وتفاصيل علم الحساب والهندسة ، ولا الجغرافية ولا الهيئة ، ولا تفاصيل كثيرة من المباحث والعلوم زيادة على المخترعات والمكتشفات العصرية الى آخره ، وليس فيه ايضا تفاصيل مذاهب الناس ودلائلهم في علم الاصول والفروع بل ولا حتى تفاريع الاحكام وفرائض العبادات واركانها من صلاة وصيام وزكاة وحج ، الى آخره .

فليتامل المتاملون فيما تقدم ، وقدمنا بيانه وتفصيله على بساط هذا البحث في هذه الآية الكريمة « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ، راجين من اخواننا اهل العلم ممن عنده توجيه مفيد او استدراك على الموضوع فليتحفنا به مشكورا خدمة للحقيقة ـ التي هي ضالة المؤمن ـ وتنويرا للاذهان بزيادة العرفان، (نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء) والى اللقاء في آية من آيات اخرى من الذكر الحكيم ، من مثل ما تقدم من البحوث تحت الاضواء الكشافة ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

يتبع

الرباط : حسن بغدادي القادري

ترميم الكوجيطو الديكارتي على ضوء الشخصانية الواقعية

للدكتور : محمد عزيز الحبابي

ان المعرفة تبدأ من الشعور التلقائي الساذج ، لتصل الى الشعور ـ بالذات، لكنها لاتستطيع بانفرادها ان تفسر ماهية الموضوع ، بل ولا حقيقة المعرفة . انها تبرز الاشياء ، وقد ازيل عنها الغطاء سابقا ، تبرزها كمشهد ، او كطرف من الاطراف فى نسبة يتقدم وجودها على عملية المعرفة . ان اول ما يفعله الموضوع الذي يريد معرفته ، هو تنبيه الشعور الساذج ، ومن هذا الشعور ، يقع الانتقال الى الشعور ـ كمعرفة ، ثم ان هذا الشعور الاخير ، ينقلنا من الموضوع الى كائن آخر ، كائن اكثر كثافة من الناحية الانتولوجية . فمن طريق الشعور ـ كمعرفة ، نصل الى المعرفة النظرية التي هي مظهر ذو امتياز مرموق من بين مظاهر الشعور ـ بالذات . ثم ان المعرفة والشعور يجدان اساسا لهما ، وهو حتمية تحقيق الـ « انا » ، تحقيقا مليئا ، كذات عاقله .

هناك الشعور ، والوعي ، والذات الواعية ، وموضوع الشعور . ان الشعور يميز ، ويخصص الذات ، ولكنه لا يحددها فى تعريف تام ، فليس الشعور عند الرضيع شعورا بالشعور ،اي وعيا. فوجود وعي يستلزم وجود شعور سابق عليه . والشعور من جهته ، يستلزم وجود الازواج الآتية : « انا ـ انت » و « انا ـ هذا » و « انا ـ ذاك » ... فلا شعور ، ابدا ، الا مع اتصال وثيق بمحور الذات ـ موضوع ، حيث يتمتع الـ « انا » بقوة تموضع الذات «كما فى الكوجيطو مثلا» وفى الحالة التي يوجد فيها « الانا » وجها لوجه مع ذاته كموضوع لها ، يصير الوعي انعكاسا للشعور على نفسه . فامتزاج المعرفة بالشعور ، امتزاج كلي ، دون ان يكون دائما كاملا . وعلى عكس ذلك ، حينما يختلف الموضوع عن الذات ، تحدث ظاهرة مزدوجة : نشاط يتصل بالمعرفة ، ونشاط للاثارة يصاحب الاول ، ويصدر عن الشعور . اذن ، هناك ميدانان يتواجدان ويختلفان فى نفس الحين . وفى هذه الحالة ، يكون موضوع المعرفة موضوعا ، فى ـ موضع ـ هنا ـ الآن ـ امام ...

فالى جانب المدرك يوجد الشيء المدرك ، ولكن ان اختلفت بعض بنياتهما ، فانهما يتصلان عن طريق الادوار التي يقوم بها كل واحد منهما ، فى عملية الادراك المشتركة . نقول انها عملية مشتركة ، لانه لا يمكن حصول اي ادراك اذا انغمس المدرك او المدرك فى سكون تام . فالذات المدركة لا تتحرك الا اذا لفت انتباهها الموضوع المدرك ، اي الا اذا هيج الشعور ودعاه الى المعرفة . هناك الف شيء وشيء يقع فى الحقل البصري . لكن ، لا يصير موضوعا لا دراكي الا القليل منها،لان جميعها لا تشارك بالتساوي،وفى نفس الوقت،فى الفعالية التي تجعلني ادرك ، اي اميز هذا من ذاك . فالصورة التي تنطبع فى شبكية العين تصدر عن مركز اوحد ، حيث الاشياء يغطي بعضها البعض فى تزاحمها ، مما يضيق نطاق ما يقع عليه نظرنا فى العالم . فنحن ، هكذا ، محدودون من الناحية الفيزيولوجية .

لكن ، حتى فى داخل هذه الحدود ، نلاحظ ان الاشياء المرئية ، لا ترى الا طبقا لقانون الاختيار والتدرج . لنفرض اني اجد محبرة بين الاواني ، فوق مائدة الاكل . فوجودها ، فى هذا المكان ، يلفت نظري ، ويثير انتباهي ، كذلك ، الفراغ الذي خلفه تمثال اعتدت ان اراه فى ساحة المدينة . هكذا يمكن لتغيير ، ولو خفيف ، او لفراغ ، ان يكون قوي التعبير والبلاغة، مما يثير حدة انتباهنا . من هنا ، يتبين ان الادراك ليس مجرد نظر يلقى على الموضوع بصفته موجودا

ـ في ـ ذاته ، ولكن الادراك ، هو الاتصال الفعال ، بين شعور المدرك والعالم الحي الذي يوجد فيه الشيء المدرك .

فقطعة من القماش ، زيادة على نسيجها الذي يدخلها في النوع الخاص من الاشياء المسمى « بالقماش » ، لها قوة ذاتية تلفت الانظار وتجعلها موضوع انتباه . فما كان هذا القماش ليرى ، لولا تلك الفعالية السرية الغامضة التي ، بواسطتها تجذب النفوس او تنفرها . وعليه فاني لا ارى القماش الا لانه « يعمل » على ان يرى . انه حينما يرشح نفسه لانتباهنا ، يجعل من نفسه عالما كله معاني وذكريات . انه موجود ، وموجود كشيء « يصلح ـ لـ ـ كذا » ، و « يساوي ـ كذا » ... فكل ادراك (حسي او كلي) يحتوي على مجموعة من الاحكام ، والمقارنات . افلا يكفي النظر الى قطعة القماش لاثارة سلاسل من تداعي المعاني ؟ انه يذكرنا بكثير من الاشياء ، لولاه ما خطرت ببالنا .

فلون القماش ، وثخونته ، و ... تذكر بالصيف او الشتاء ، بالشاطيء او الجبال ... فبهذه المجموعات ، من تداعي المعاني ، تستدعي قطعة القماش الى معرفة ، يبدو في نهاية الامر ، انها سلسلة من التعرفات (اي اعادة ـ معرفة) .

ومن جهة اخرى ، فان كل تذكر يصطحب بفكرة عن العمل . فكل صورة تنطبع ، في شبكية العين ، تفتح المجال لصور ومعاني كثيرة . فديناميكية كل ادراك ترتبط ارتباطا وثيقا بدرجة فعالية الصورة ، ثم ان الصورة ، من جهتها ، تستمد قواها من منابع الشيء المدرك . لانها ليست في الحقيقة الا مرحلة في عملية متصلة تربطنا ربطا لا انفصام له بالاشياء . اني حين ادرك ، اعي الاعمال التي يمكن ، ماديا ، وقوعها بمشاركة جسمي والعالم . ولنزد ان لهذا الوعي جانبين : فهو فعالية ذاتية ، وفعالية اخرى تدعو الموضوع الا يبقى جرما جامدا ، بل ان يقوم بحظ من النشاط . فلنقترب من شيء : ان نظرتنا اليه تتغير بقدر ما نقترب منه (ان ابعاده تكبر في حقلنا البصري، فتتغير هيأته العامة بالنسبة الينا . فهو يتكيف بما حوله ، ويكيف ما حوله) . اننا ننسجم مع الاشياء ، بقدر ما تنسجم معنا . وحتى في الحالة التي يصعب فيها الاقتراب من الشيء ، يتصور امكانية الاقتراب منه ، لان الصورة الحالية ليست الا جزئية ومؤقتة .

* * *

تكلمنا عن العالم الخاص بموضوع مدرك ، عالم « شيئية » الموضوعات ، وما تكنه من امكانيات لاستغلالها ، والقيم التي يعتمد عليها ، والنشاط الذي يصاحب الادراك .

هناك عالم آخر ، يتصل بالاول في معية زمنية : هو عالم الصور التي تدور حول المدرك فتؤكد وجوده، لا ككائن فحسب ، ولكن كمنبع لممكنات يقبلها التصور، ومظاهر يقبلها التخيل . ان حياة امريء كاملة تنفذ قبل أن تنكشف كل الامكانيات التي تكون عوالم شيء مدرك .

ان فكرتنا هذه بدعة ، بلا شك ، بالنسبة للنظرية المتفق عليها ، عادة ، فيما يخص الموضوع . لقد بينا ، فيما تقدم ، ان الموضوع ليس بالجسم الجامد . فاذا اعتبرنا الاستدعاءات التي يوجهها كل موضوع مرشح للادراك الى المدركين ، فهمنا بوضوح القوى الديناميكية التي ينطوي عليها هذا الموضوع. أليس الموضوع بداية لعمليات استذكار ، وتخيل ، وتقويم ، او استعمال ، ينتج عنها الشروع في حركات بالجسم او بالتصور ؟.

حقا ، ان الموضوع لا يخلق الذات ؛ ولكن الذات، من جهتها ، لا تخلق الموضوع: انهما يتعاونان بالتساوي، كلاهما يفرض ، ضمنيا ، وجود الآخر ، بل أن وجود احدهما شرط حتمي لوجود الآخر . فبطواعية الموضوع للذات ، تثبت الموضوع الذات لذاتها . تصيرها شاعرة ، لا بالعوالم الموضوعية المدركة والعوالم التي يمكن ادراكها فحسب ، بل يجعلها واعية كذلك ، لعالمها الذاتي ، انه يساهم ، بحظ وافر ، في تشخص الكائن البشري ، بقدر ما يضفي هذا الاخير صبغة انسانية على كل الاشياء التي تدخل في أفقه .

سر العالم ليس رهن اشارتنا ؛ انه لزام علينا ان نقرأ الحساب للقوى المحركة للعالم ، بما فيها من قوى خاصة بالذوات الشاعرة ، وقوى خاصة بالظاهرات والموضوعات. أليس التشخص الذي يشذي

حيـاة الـ « نحن » والـ « انا » في الـ « نحن » ... هو قبل كل شيء ، وبالاخص ، توافق متصل مع سير العـالـم ؟

على هذا ، فان عالم الموضوعات يلح في ان يعترف له بثبوت وجوده في الواقع ، بقدر ما يعترف بوجود الشعور عند الكائن البشري . فلا بد اذن من اعتبار وجود العالم وجودا مستقلا ، عن الفكر الخاص ، وعن الفكر العام ، **ان الكائنات توجد مستقلة عن الفكر البشري** ، نعم ، العقل يدرك معاني الاشياء ، ولكن الاشياء **توجد بذاتها** ، فبالنسبة «للشيء» غير موجود، يستحيل وجود معنى ، ان الذات العارفة ، وموضوع المعرفة ، يرتبطان ارتباطا وثيقا ، حتميا . فنظريتنا هذه ، تبعدنا كل البعد ، عن النظرية التي تعتقد بوجود عالم لا يتركب الا من التصورات (الحالية منها او الممكنة ، والمادية او الشكلية) .

فقولنا ان الصور الخارجية لا توجد (بصفتها صورا) مستقلة عن علاقتها بالذات ، ليس معناه أن الذات تخلقها . انها تنشأ (كما راينا) بفضل الفعالية المشتركة بين الذات والموضـوع .

يدعي المذهب المثالي ان الفكر مستقل عن الاشياء ، لكن لنا ملحوظة على هذا : فيما ان الواقع ، بمجموعه ، لا يخرج عن محيط الفكر (كما يزعم المثاليون) كيف يمكننا ان ننتقل من الـ « انا ـ فكر » (او الوعي) الى الـ « نحن » ؟ هل يقصدون بالفكر ، فكر الفيلسوف عند قيامه بنشاط عقلي ، ام مجموع الذوات المفكرة الخاصة ؟ ايجب أن نضحي بما بين الذوات الشاعرة من تواصل ، او ان نجعل هذا التواصل يتعلق بفكر شامل؟

هكذا ، لا نرى كيف يمكن اتقاء الفخ الذي ينصبه لنا اللاتواصل . انه لو لم يكن في العالم الا ذاتان اثنتان تفكران لأحدث تواجدهما مشكلا ذا وجهين :

1) اما ان العالم لهما معا ، في نفس الوقت ، وبمقتضى هذا يجب ان يحتوي على عناصر مشتركة، في فكرهما ولفكرهما ، وهذا مما يستلزم ان الفكرين تواصلان ، حتميا (على اساس اتشابهما ، معا ، للعالم الواحد) وان طرق التواصل خارجة عن كليهما.

2) واما ان يكون لكل ، من هاتين الذاتين المفكرتين ، عالم خاص ، لا شريك لها فيه ، وفي هذه الحالة ، ستقع في مشكلة تعدد العوالم ، وبالتالي في تعدد الذوات اللا متواصلة .

ان العالم الخارجي لا يصدر عن عقول خاصة ، ولا عن عقل اكبر ، واع ، شامل ، كما لا يصدر عن نظام من المعاني والافكار ، مستقل عن الذوات الشاعرة. ان العالم موجود ، وهو موجود ككائن لا يفتر ، ابدا ، عن تقديم اجزاء منه للادراكات المتأنية او المتلاصقة ، المنتبهة ، او الخاطفة ، انه يعرض ، ابدا ، مشاهد تتغير دون انقطاع ، بواسطتها ، وابتداء منها ، يشيد المدرك صورا عديدة (1) . اليس هذا مخالفا لما يوصف به المدرك من جمود وسلبية ؟ لابد اذن ان تؤكد بان كل موضوع مدرك مشارك ، فعال ، ومؤسس لعمليات الشعور ـ كمعرفة . ان لكل موضوع فعالية، لكنه لا يشعر بها دائما . وفي الحالة التي يعي فيها الموضوع فاعليته (وبالتالي يعي نفسه كجزء من الشعور ـ كمعرفة) نجدنا امام وعي تموضعت ذاته . ان كل موضوع مدرك (وحتى في الحالة التي لا تكون فيها الذات مموضعة يقوم بفعالية للوساطة . داخل الشعور ـ بالذات ، ليتعرف على الغير ، وليعرفه الغير ، وبفعالية مباشرة داخل الشعور ـ كمعرفة . فقولنا « موضوع للشعور ـ كمعرفة » معناه أن الموضوع ليس بـ « انا » ، ولا يمكنه ان يصير « انا » ، بل انه يتمحور حول مصالح لـ « انا » او لـ « نحن »، وانه يوجد داخل افق انساني (من المعقولات الى الكائنات التي تملأ حقل الادراك : مثل الكائنات الآلية ، اي الصالحة للانتفاع ، وكذلك الكائنات ـ كمشاهد).

الرباط : محمد عزيز الحبابي

---

1) ان معنى عبارة « بواسطة » معنى فعالي ، اي ان الموضوع والذات يشتركان في النشاط ، دون امتياز لأحدهما عن الآخر .

المغرب

في مجمع اللغة العربية بالقاهرة

للاستاذ : عبد الله كنون

من المعلوم ان الاستاذ عبد الله كنون قد عين فى السنة الفارطة عضوا عاملا ممثلا للمغرب فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة . وقدشارك فى مؤتمر المجمع الذي يعقد الآن دورته الثامنة والعشرين ببحث لغوي ، وموضوع تاريخي ، وهذا خطاب الدخول الذي خصنا بنشره :

سيدي الرئيس ، سادتي

ان الدعوة التي توجهت من مجمعكم الموقر الى ممثل المغرب الماثل بين يديكم للمشاركة فى العمل العظيم الذين تقومون به من اجل المحافظة على اللغة العربية والسير بها الى الامام ، كانت نداء عاليا رددت صداه جبال الاطلس الشامخة، وحلل الصحراء الكبرى ، ومعاهد العلم فى ذلك الركن القصي من بلاد العروبة العزيزة . وطبعا ليس هذا التجاوب مع تلك الدعوة من اجل شخص الممثل ، وانما من اجل التمثيل نفسه ، فان مما يعني كل مغربي مغربي ، او كل مواطن عربي فى المغرب ، ان يكون هذا القطر ممثلا فى مجمع اللغة العربية ، الذي هو المصنع الرئيسي لهذه المادة العضوية التي تؤلف بين الشعوب الناطقة بالضاد فى المشرق والمغرب ، ولعلى لا ابالغ اذا قلت ان ذلك مما يعني المجمع ذاته، فان هذه المجهودات التي تبذل ، وهذه الطاقات التي تصرف يجب ان تستفيد منها جميع الاقطار العربية ، وان يروج لها بين ابناء العروبة فى كل مكان، لتحصل النتيجة المرغوبة من اعتزاز العرب بلغتهم ، وايمانهم بمسايرتها لركب الحضارة والعلم والاختراع ، شأنها فى ذلك شأن سائر اللغات الحية التي يخدمها ابناؤها، ويمهدون لها سبيل البقاء والنمو والازدهار ، وبالضرورة فان ممثلي هذه الاقطار فى المجمع ، هم الذين يقومون او عليهم ان يقوموا بنشر مقرراته بين مواطنيهم ، وهم الذين يعملون لتعريف من يمثلونهم بكل ما جد فى الحقل اللغوي من اوضاع ومصطلحات، والا بقيت تلك المقررات وبقي ذلك الجديد من الاوضاع والمصطلحات حبرا على ورق ؛ او معلومات مخزونة فى اذهان المجمعيين الذين لا يؤدون مهمتهم هذه فى البلاد التي لها مجمعيون فكيف بغيرها ؟

اذا كان هذا الدمع يجري صبابة
على غير ليلي فهو دمع مضيع

واني لاعزو هذه الضجة التي تثار آنا بعد آن ، على المجامع اللغوية زعما بانها لم تعمل شيئا فى سد مفاقر اللغة العربية بالنسبة الى متطلبات العصر الحديث ، وهذا التندر الفث على المجمعيين الذين اصبح حجة كل ثرثار متفيهق بعبارة الشاطر والمشطور وبينهما كامخ ، بل أصل الاتهام للغة العربية الذي كثيرا ما يردده الجاهلون بغزارة مادتها ، وقابليتها العظمى للتطور ، فيصفونها بالجمود والموت ، ويدعون الى نبذها واستعمال غيرها من اللغات الاجنبية ، سواء فى البيت او المعمل او المدرسة ، وانهم ليستعملونها فعلا فى حالة التخاطب بينهم وبين ابنائهم ومن كان على دينهم من الخوارج على الامة العربية ، اني لاعزو ذلك كله الى عدم العلم بالاعمال الطائلة ، والفتوح الكبرى التي تمت فى سبيل ترقية هذه اللغة الخالدة منذ اوائل هذا القرن على يد ابنائها البررة من أدباء وصحفيين وعلماء،

ولا سيما المجمعيون منهم ، حتى صارت اداة طيعة للتعبير عن كل ما يختلج بالنفس البشرية من ادق المشاعر واعمق الاحاسيس ، وتصوير كل ما تقع عليه عين انسان من مختلف المرئيات ، ومتنوع المشاهد ، واصبحت تتوفر على عشرات الالاف من المصطلحات العلمية والفنية والحضارية ، التي وضعت حديثا ولم يكن لها وجود قبل جيل واحد فقط من عصرنا هذا ، ثم هي بعد ما تزال تكافح في الميدان ، وتطوى مراحل التخلف بعزيمة لا تكل ، وستربح المعركة لامحالة وتحل من بين اللغات الحية والعالمية المحل اللائق بعظمتها وخلودها . فلو علم العققة من ابنائها بعض هذا العلم ، لخجلوا من انفسهم ، ولراوا ان ما بينهم وبين اخوانهم المؤمنين بعربيتهم ، المتجندين لخدمتها ، لهو ما بين المتناصرين الثابتين في الصف ، والمتخاذلين الفارين من الزحف .

وكيف يعلمون ، وهذه المساعي البارة يكاد امرها يخفى حتى على المهتمين بهذا الشأن ، ولا يسمع لها صدى عند غالب الادباء والمعلمين والمثقفين بعامة ، فاحرى باقي طبقات الشعب . فالمصطلحات العلمية والفنية لاتجد طريقها الى الكليات والمعاهد بله المدارس، والمصطلحات الحضارية قلما يتردد منها شيء على الالسنة او تسيل به الاقلام . والا فمن اين تاتي فوضى الوضع وتعدد المصطلحات ان لم تكن من التقصير في تبليغ عمل المجمع الى كل من يهمه أمر اللغة العربية ، ويحرص على تقدمها بتقدم المعرفة في هذا العصر . ومن اين ياتي تمرد هذا الفرد العربي او ذاك على لغته الاصلية ونكران صلاحيتها للحياة العصرية ، وهي بالحالة التي وصفناها من الانبعاث والنهوض .

ليس هذا تشنيعا في ضمن التنويه بما يقوم به المجمعيون الكرام من عمل عظيم في سبيل المحافظة على لغة الضاد وتجديدها ، ولكنه تدليل على ما يلزم لهذا العمل من اعلان واشهار في كل الاوساط الثقافية لياخذ كل طرف بما يعنيه منه ولتعم فائدته جميع البلاد العربية . ولعل قرار رئاسة الجمهورية العربية المتحدة بتوسيع المجمع وتمثيل الاقطار العربية التي لم تكن ممثلة فيه من قبل ، انما اتخذ لذلك ، وانها لخطوة مباركة يرجى ان تتبعها خطوات يصبح بها هذا المجمع الى جانب الجامعة العربية ثاني مظهر من مظاهر توحيد الامة العربية توحيدا كاملا ، فتكون الجامعة العربية على الصعيد الدولي منار الساسة العرب الذي به يهتدون ، ومجمع اللغة العربية في المجالي القومي كعبة اهل العلم والادب التي اليها يحجون .

سيدي الرئيس ، سادتي

اذا كان هذا من اثر توسيع التمثيل في المجمع على العموم ، فان اثر تمثيل المغرب فيه على الخصوص انه ضم اليه بلدا من اعظم بلاد العرب تاريخا واعرقها حضارة ، فان مما لا يخفى على احد ان المغرب هو الذي فتح الاندلس وركز راية العروبة في ارضها وحماها وذاد عنها مدى القرون الثمانية التي خفق ظلها فيها ، وانتشر سلطانها عليها ، واسس اكبر دولة عربية عرفها شمال افريقية ، اذ كانت تمتد ما بين حدود مصر العربية الى جنوب اوربا ، وامتازت حضارته بما تحتفظ به من عناصر عربية اصيلة ، فانها وان كانت بحكم نشأتها على الصعيد الافريقي وحول البحر الابيض المتوسط ، لا تخلو من بذور تكوين اولية ترجع الى هذه البيئة الخاصة ، الا ان تاثرها بحضارة دمشق ايام حكم الولاة كان اقوى ، وزادها التفاعل مع حضارة قرطبة ايام حكم المروانيين قوة ، فاصطبغت بالصبغة العربية التي لم تزايلها بعد . ولئن بقيت الى عهد المرابطين آخذة ومعطية ، فانها في عهدي الموحدين والمرينيين كانت صاحبة اليد العليا حتى في الاندلس التي تنطق آثارها المتخلفة عن هذين العهدين بأنها وليدة العظمة الموحدية والعبقرية المرينية . وعلى ذلك فانه حين كانت موجات دول المماليك التركية تتدفق على مشرق البلاد العربية ، كان مغربها يتمخض عن دول عربية حسنة الرعاية للتراث العربي ، والحفاظ عليه .

وقامت خلافة الاتراك العثمانيين فظم الواديعلى القرى ، اذ ان سيطرتها لم تقتصر على بلاد المشرق ، بل امتدت الى نهاية المغرب الاوسط ، وانتظمت في حكمها بلاد طرابلس الغرب ، التي هي مملكة ليبيا الان، وبلاد تونس والجزائر ولم يبق من المغرب العربي غير خاضع لها الا المغرب الاقصى الذي كان يعرف ببلاد مراكش ، وبذلك احرز كيانه ، واحرز في الحقيقة كيان الحضارة العربية التي بقيت فيه محتفظة بمظاهرها وخصائصها لم يمسها سوء من هجنة ولا تزييف . حتى لقد قال العلامة التونسي محمد بيرم الخامس المتوفى اواخر القرن الماضي في كتابه صفوة الاعتبار « لعمري ان صناعة الانشاء في الدول العربية كادت تكون الان قاصرة على دولة مراكش » ، وهو قول من تقرى البلاد العربية واطلع على احوالها فوصفها وصف العارف في كتابه المذكور الذي قال فيه المستعرب ادوارد فنديك : انه اوفى كتاب باللغة العربية في الجغرافية العمومية .

وما لنا والاحتجاج بالاقوال ، وباستطاعتكم ايها الزملاء الكرام ان تتعالوا معي الى بلادكم المغرب ، فتشاهدوا بام العين معالم هذه الحضارة ماثلة امامكم فى اسلوب البناء ، وفن المعمار وما يزينه من زخارف ونقوش ، وتوريق وتذهيب وتطعيم وتنزيل ، وهذه (المقربصات) الجميلة التي تخرم السقوف خشبية او جبصية بتجويفها البديع ، وتلك (البخاريات) البارعة التي تملأ الاركان وتتوج (الباحات) ببروزها العجيب، وما يتقاطر ويتقاطع خلال ذلك من اعمدة رشيقة واقواس لطيفة ، وشبابيك مشغولة احسن الشغل ، (وشمسيات) مرصعة بقطع الزجاج الملون اجمل الترصيع ، الى (البلاطات) المفروشة بافخر انواع الرخام المجزع والجدران المكسوة بازر (الزليج) الدقيق الصنع ، الناصع التلوين ، كانه خمائل الزهر، تستند اليها هنا وهناك (السقايات) الرائعة التي تنوق فى وضعها وتجميلها اعظم التنوق ، متدفقة الانابيب بالمياه ذات الخرير المطرب ، على حين تنتصب (الخصات) المرمرية الانيقة فى وسط الصحن تقذف الجو بخيوط الماء الفضية المتوالية ، كانما تحاول الرجوع الى المكان الارفع الذي هبطت منه فلا تكاد تبلل غصون البان المترنحة بعليل النسيم ، او تطالع (شراجيب القبب) الخضر حيث تجلس الحور العين، حتى تعود متناثرة الى الارض فى شكل قطرات كما يتناثر العقد اذا انفرط .

ربما يقول قائل اننا نصف حمراء غرناطة ، والامر ان كان كذلك فانه يتعلق بحمراوات عديدة ، فى فاس ومراكش والرباط والبيضاء وتطوان وغيرها من مدن المغرب . واذا كانت الحمراء وهي خاوية على عروشها تستهوي افئدة الزائرين من كل حدب وصوب ، فان نظيراتها هذه تجلى للناظرين وهي مفروشة أحسن الفرش منجدة اجمل التنجيد ، بكللها واروقتها وبسطها و (لحفها) وزرابيها المبثوثة ، و (اسطرمياتها) المنعوتة ، و (الحائطيات) خوخاتها) من الديباج وشرفاتها من (الاطلس) ، والوسائد مطروزة بابدع الطرز ، ومفشاة بنسيج الدمقس ، الى كل ما ينسجم مع هذه الاشياء من ارائك ونضائد ، و (صينيات) وموائد ، واثاث رفيع وماعون بديع ، تقدم فيه أفخر انواع الاطعمة ، ويسقى منه بآنية اجمل آنية فمان الحضارة ايها السادة اعظم ما تظهر فى المطعوم والمشروب، ولذا قال بعض الحكماء « ارني مطبخ اية امة ، أحدثك عن حضارتها » .

وماذا أقول عن هذه الاطعمة وقد خصها احد المؤلفين فى عصر الموحدين بكتاب احصى فيه أكثر من خمسمائة لون من الوان الطعام والشراب والحلوى والمربى وما الى ذلك ، مما كان يعمل للخلفاء الموحدين والامراء منهم ، ورجال دولتهم على العموم ، ومنها ما يحمل اسم بعضهم لكونه يعجبه كثيرا ، او لكونه من اقتراحه ، ومنها ما يعرف باسمه العلم ، ومنها ما يعرف بصفته ، وكثير من هذه الاسماء لا يزال مستعملا عندنا الى الان ، والمهم ان من هذه الاطعمة ما ينسبه بعض الناس الى الاتراك ، ويعتقدون انه مما اخذ عنهم اثناء حكمهم لجارتنا الجزائر فظهر بعد الوقوف على هذا الكتاب انه كان موجودا قبل ظهور امر الاتراك ووصولهم الى المغرب بكثير .

ولا يتم هذا الوصف بدون احضار جوق الطرب الاندلسي والاستماع الى نغمات هذه الموسيقى العربية الخالدة ، التي وضع اصولها زرياب وسجل اغانيها الحائك ، فهي لانسجامها زمانا ومكانا مع المظاهر الحضارية الموصوفة تعد عنصرا نفسيا من عناصر الحضارة المغربية . اما زمانا فلأن قطعها الفنائيةمقسمة بحسب ساعات الليل والنهار ، فمنها ما يختص بالعشية ومنها ما يختص بالصباح ، وقل مثل ذلك فى بقية الاوقات ، واما مكانا فلان من هذه القطع ما لوشئتم ان تتمثلوا انفسكم فى دار الخلد تصغون الى الحانها العلوية، لامكنكم ذلك بالاستماع الى نوبة الاصبهان التي يقال انها من نغمات الجنة .

ما جنة الخلد الا فى دياركم

ولو تخيرت هذي كنت اختار

لا استرسل فى وصف هذه المباهج وهي انما تمثل الجانب المادي من حضارة بلغت القمة فى اصطناع العلم ، واعتماد المعرفة حتى فى مجال الحكم والعمل السياسي، بحيث تحقق فى ظلهاالقول المأثور « اذا حكم الفلاسفة وتفلسف الحكام سعدت الدنيا » ، الم يرعها يوسف بن عبد المؤمن وهو الخليفة الفيلسوف ويستوزر امثال ابن طفيل وابن زهر وابن رشد وهم الفلاسفة الذين ملأوا سمع الدنيا وبصرها !

ولكن هذا مجال رحب ، وللكلام فيه ذيل سحب ، فلنكتف بالاشارة الى ما نحن بصدده من مباحث اللغة والنحو وتيسير الكتابة ، وهي مجال عملنا فى هذا

المجمع ، لننظر كيف اسهم المغرب قديما في خدمة العربية كما تخدمونها اليوم بموضوعية واختصاص ومنطق ، اي بالطرق العلمية والاساليب المنهجية مستهدفا ما تستهدفونه من اصلاح الفاسد ، وتقويم المعوج ، مع اثراء اللغة وتسهيل مداركها للعموم .

فالابحاث التي حررها الامام السهيلي دفين مراكش في تطور دلالة كثير من المفردات العربية خلال الزمن ، واودعها كتابه القيم « الروض الانيق » الذي طبعه ملك المغرب الاسبق مولاي عبد الحفيظ ، هي مما لا يقل شانا عن الابحاث التي يقوم بها المختصون في هذا الشان من علماء العصر . ومثلها ابحاث العلامة ابي القاسم الشريف في شرحه لمقصورة حازم ، الذي طبع بعناية احد الولاة المغاربة ، واما الكتاب الذي الفه العلامة ابن هشام اللخمي في الرد على الزبيدي وابن مكي فيما زعما انه من لحن العامة ، فقد كان دراسة تحليلية للالفاظ واشتقاقاتها ، ونقضا لمآخذ هذين العالمين بالحجة والبرهان ، وهو لا يزال مخطوطا ينتظر النشر العلمي الجدير به، ومثله كتاب العلامة ابن هانىء السبتي المسمى « انشاد الضوال وارشاد السؤال في لحن العامة » وامتازت تحقيقات ابن الطيب الشرقي بالعمق والاصالة في كل ما كتبه من موضوعات لغوية شتى ، ولاسيما حاشيته على القاموس المحيط التي استقى منها السيد مرتضي الزبيدي في تاج العروس ، وعول عليها وعلى مؤلفها اذا كان استاذه المعتمد في علم اللغة تعويلا كاملا ، وهي لا تزال مخطوطة ايضا .

ولون ءاخر من البحث اللغوي قريب من المعاجم العلمية التي تهتمون بوضعها الآن ، وهو يتمثل فيما الفه جماعة من اهل الاختصاص في الطب على الخصوص من كتب لتعريف المفردات الطبية ، وذكر مرادفاتها في اليونانية والرومية ، يعنون اللاتينية ، وفي العامية المغربية والبربرية ، وذلك كما فعل ابن الحشا في كتابه « مفيد العلوم ومبيد الهموم » الذي فسر فيه الالفاظ الطبية الواقعة في الكتاب المنصوري للرازي ، وهو مطبوع في الرباط ، وكما فعل ابو القاسم الوزير في كتابه « حديقة الازهار » المعروف بمفردات الوزير وهو ما يزال مخطوطا ، وكما فعل اخيرا السيد عبد السلام العلمي وهو ممن درس الطب بمصر في اواخر القرن الماضي ، فكتب رسالته « ضياء النبراس في حل مفردات الانطاكي بعامية اهل فاس » وهو يعني بالانطاكي الشيخ داوود صاحب التذكرة المعروفة في الطب القديم .. على انه ذكر اصطلاحات طبية حديثة، ومسائل اخرى مما يتعلق بعلم الكيمياء والتشريح وقعت في كتاب « كنوز الصحة » من مؤلفات اوائل عصر النهضة .

وشرع في كتاب ءاخر قال عنه في طالعة هذه الرسالة « لما توجهت بالاذن الشريف لمصر القاهرة بقصد المزيد مما يخصني من علم الطب الجديد ووجدته مطلسما باصطلاحات غامضة ، واسماء غريبة شرعت في مؤلف خاص ببيان تلك الاصطلاحات كاشف لرموز تلك العبارات وهو مؤلفنا المسمى « بالاسرار المحكمة في حل رموز الكتب الطبية المترجمة » فلما راى ذلك بعض المحبين ممن لا تمكنني مخالفته وعلم أن لابد لاتمام ذلك الكتاب من زمن طويل ، طلب مني أن اقدم عليه كتابا مختصرا مفيدا ، لمن كان للطب القديم مستفيدا الخ .. ورسالة ضياء النبراس هذه مطبوعة بفاس .

هذا في ميدان العمل اللغوي البحت ، وفي النحو كانت محاولة الاستاذ ابي موسى الجزولي لتقنين هذا العلم فريدة من نوعها ، وبقيت كراسته المسماة بالقانون وبالاعتماد ايضا ، موضع الدراسات والتعاليق والشروح من نحاة القرن السادس الهجري الى ما بعد ، حتى قال فيها بعض ائمة العربية المشار اليه في وقته كما حكاه عنه ابن خلكان « انا ما اعرف هذه المقدمة وما يلزم من كوني ما اعرفها ان لا اعرف النحو» وكان ابو موسى الجزولي من كبار النحاة في عصره ، ويحكى أن ابا علي الشلوبي قصد مراكش وهو يدل بما يحويه من بضاعة نحوية عظيمة فدخل اليها من باب دكالة ، ومر بمسجد هناك سمع فيه لغطا فدخله فاذا ابو موسى في مجلسه ، والطلبة ملتفون حوله ، فدنا منه وانصت اليه ، فعجب من تبحره وسعة اطلاعه ، وغوصه على الفرائد ، وقال في نفسه اذا كان هذا حال رجل منهم منعزل في ناحية نائية ، ومسجد صغير من البلد ، فكيف يكون حال غيره ممن هو اكبر منه قدرا واعلى شانا ؟ ورجع من حيث اتى الى بلده وكان بعد ذلك ممن شرح الكراسة الجزولية بشرحين كبير وصغير . وما تزال الكراسة وشروحها لم تعرف طريق المطبعة .

ولقد شهد القرن السادس في المغرب نشاطا كبيرا في مجال الدراسات النحوية ولكنا لا نشير الا الى الاعمال الطريقة الرامية الى الاحياء والتجديد، ومن ذلك مشروع العلامة ابن مضاء لاصلاح النحو المضمن

فى كتابه الرد على النحاة فانه يشتمل على اقتراحات عملية لتيسير قواعد الاعراب والتخفف من التعليلات المنطقية التي عقدت هذا العلم ، وكان ابن مضاء يتولى منصب قاضي الجماعة فى مدينة مراكش ، وله صلة بالخليفة الموحدي يعقوب المنصور ، فلا شك ان ءاراءه هذه كانت وليدة الحركة العلمية الشاملة ، التي قامت فى ذلك العصر .

وتأدت فكرة اصلاح النحو وتيسير قواعد الاعراب الى العصر المريني فظهر اول نحوي طبقها بالفعل فى كتاب تعليمي صغير طار صيته فى المشرق والمغرب وصار هو الكتاب المفضل فى الدراسة الاولية لعلم النحو عند العرب كافة ، ذلك النحوي هو ابن ءاجروم ، وكتابه هو مقدمة الآجرومية المعروفة ، ان هذا الكتاب الصغير الحجم كان تجربة ناجحة لتبسيط النحو العربي وجعله بمتناول الجميع لان صاحبه الذي كان نحويا متمكنا من مادته ومعلما مخلصا لمهنته اختار له من المذاهب النحوية او فقها ، ونبذ المسائل النظرية مقتصرا على ما له نتيجة فى تركيب الجمل او نطقها ، وفضلا عن انه لم يكن يتقيد بمدرسة البصرة ، ولا بمدرسة الكوفة ، فانه كان يجتهد فى بعض الاحيان ، ويستقبل بالراي فمثلا الاعراب عنده امر معنوي كما قال الكوفيون ولكنه قسمه الى اربعة اقسام فذكر الجزم كما عند البصريين ، ولم يذكر فى التوابع عطف البيان اكتفاء عنه بالبدل وهي طريقة الكوفيين ، وطرد باب النواصب فجعلها كلها ناصبة بنفسها واستغنى عن تقدير ان المضمرة وجوبا او جوازا بعد هذه الاداة او تلك كما هو مذهب الكوفيين فى بعضها ، وهكذا لم يكن ابن آجروم متحجرا ولا جبانا ففكر فى الاصلاح واقدم عليه ، وان يكن فى دائرة صغيرة . ولو ان المصنفين فى النحو بعده درجوا على مثل طريقه لسهل النحو ودنت قطوفه للطالبين .

وانتقل ايها السادة الى الكلام على تيسير الكتابة العربية فلا ادعى انه كانت هناك محاولات من هذا القبيل ، وانما احب ان اوجه نظركم الى دراسة الخط المغربي واشكاله المختلفة ، من مسند ومجوهر ومبسوط ، والاصل الكوفي الذي تفرع عنه ، وهذا له هندسة خاصة ، يخالف بها الكوفي المشرقي الذي هو الاصل الاصيل ، وابادر فاقول ليس المراد من هذه الدراسة الا الاستعانة بها على تيسير الكتابة العربية بما يمكن ان يقتبس من هذا الخط من بعض الخصائص، كنقطة القاف الواحدة من فوق ، بدل نقطتين فى مقابل نقطة الفاء الواحدة من تحت ، واحيانا يستغنى عن نقطهما بالمرة ، وكعطفة الياء بعد الكسرة فى مثل على . والعربي والذي منعا لالتباسها بياء الالف فى مثل على والمصطفى وبلى ، وبعض الحركات المختصرة كالشدة المضمومة التي تمثل بصورة الرقم (٨) الهندي فوق الحرف المشدد المضموم ، والشدة المفتوحة التي تمثل بصورة الرقم (٧) الهندي فوق الحرف المشدد المفتوح والشدة المكسورة التي تمثل بصورة الرقم (٨) الهندي تحت الحرف المشدد المكسور ، وغير ذلك من التسهيلات التي توخاها الخطاط المغربي ، ويمكن ان يستفاد منها فى تيسير كتابتنا العربية ، بل وان يقرب بها بين الخطين المشرقي والمغربي .

وما دمت قد ذكرت الخط المغربي والارقام الهندية ، فاني اشير الى الارقام المستعملة عندنا والمعروفة فى بلادالغرب عموما بالارقام العربية. ان هذه الارقام تسمى عندنا فى كتب الحساب القديمة بالحرف الغباري او حرف الغبار ، ويقال ان البابا سلفيسطري الثاني هو الذي ادخلها الى اوربا واشاعها هناك حتى حلت محل الارقام الرومانية لسهولتها وضبطها . وكنا دائما نرى ان العرب اولى باستعمالها لانها منهم واليهم ، ولان الارقام الاخرى المستعملة عندهم تنسب الى الهند ، فالصواب ان يرجعوا الى ارقامهم التي اهدوها الى العالم المتمدن معتزين بها ومتوحدين فى الوقت نفسه مع شعوب هذا العالم . على اننا لم نكن نحقق اصلها ومصدرها ولم نزل نتتبع تاريخها واقدم كتاب ذكرت فيه حتى وقفنا فى العام الماضي على كتاب تلقيح الافكار فى العمل بحروف الغبار للرياضي المغربي ابن الياسمين ، وهو مخطوط محفوظ فى المكتبة العامة بالرباط فوجدناه يذكر ان حروف الغبار هذه لها شكلان احدهما هذا المستعمل فى المغرب والمعروف عند الاوربيين بالارقام العربية ، والثاني هو هذا المعروف بالارقام الهندية المستعمل فى بلاد المشرق ، ورسم اشكالها على المعهود فيها ؛ فتبين لنا ان كلا الرقمين عربي ، وان المشرق اخذ شكلا والمغرب اخذ شكلا ، وهي حقيقة مدهشة لم نملك ان اطلعنا عليها جميع المهتمين بهذا البحث واحلناهم على الكتاب المذكور . وبما ان هذا المؤلف هو من اهل القرن السادس الهجري ، وانه يشير فى كتابه الى شدة تطلبه لهذه الارقام وضياعها منه اولا ، ثم عثوره عليها ثانيا عند بعض اصدقائه ؛ فان تاريخ ظهورها هو هذا القرن بالذات .

سيدي الرئيس ، سادتي

بعد هذا العرض الوجيز ، اسمحوا لي ان ارجع عودي على بدئي لا قول ان المغرب الذي هذا وزنه في خدمة العلم واللغة العربية قديما ، والذي يحتوي على كنوز رائعة من حضارة عربية اصيلة سبق وصفها، اذا كان قد اصبح ممثلا في مجمعكم الموقر فلن يكون حاضره اقل شأنا من ماضيه في خدمة العربية والبر بها ، والغيرة عليها ، والتعاون معكم على مواصلة العمل الذي بدأتموه في غيابه لاعلاء رايتها ، واعزاز جانبها ، والبلوغ بها الى اوج الرقي والكمال ، علما منه بان حياة امتنا العربية ، وانبعاث حضارتها من جديد رهن بحياة لغتها ، ومجاراتها للنهضة العلمية الحديثة ، ولانه وهو شعب مؤمن بعروبته اشد الايمان ، ومؤمن بالتطور كذلك ، فان رجاله الغيارى وشبابه الابرار لن يهدا لهم بال ، ولن يقر لهم قرار ، حتى يروا الكلمة العربية والحرف العربي وقد رد لهما اعتبارهما يغزوان كل مكان من الوطن العربي ، ويحلان في المدرسة والمعمل والبيت محلهما الذي لا ينازعهما فيه غيرهما وهذا من عمل المجمع الذي يجب ان تتظافر عليه جهود جميع الشعوب العربية حتى يتحقق الجلاء الاكبر ، جلاء الرطانة الاعجمية عن لساننا ، والفكرة الاجنبية عن ثقافتنا ، فتتحرر التحرر الكامل ، وتصبح القومية العربية حقيقة ثابتة يلتف حولها العرب اجمعون في مشرق البلاد ومغربها من الخليج الى المحيط ، حيث يرابط اخوانكم المغاربة ابناء طارق بن زياد وادريس بن عبد الله ، ويوسف ابن تاشفين ، وعبد المؤمن بن علي ، وابي الحسن المريني والمنصور الذهبي ، ومحمد الخامس .

طنجة : عبد الله كنون





تطلع علينا الحياة كل يوم بوجه جديد ، ولعل هذا سر تعلقنا بها ، فلو كنا نعلم سابقا ما تخبئه لنا فى الغد لبطل سحرها وفترت جاذبيتها ولم يبق امامنا الا الفراغ والعدم ، فالحياة ، فى الواقع ، ما هي الا رواية طويلة متسلسلة نتتبع فصولها واحدا فواحدا ونبقى متلهفين ومشتاقين الى معرفة الفصول الباقية ، ونحن تجاه هذه الرواية قد نقف مواقف مختلفة .

فتارة نبقى على الهامش ونتفرج من بعيد ونضحك على هذه الحادثة ونتألم من تلك ، ونسخر من هذا ونرثى لذاك ، ولكننا ، فى كل هذه الاحوال يخيل الينا اننا اذكى من الغير وادهى منهم لاننا نتفرج عليهم ولا نتركهم يتفرجون علينا ولاننا نبقى فى موقف القوي بينما هم يظهرون ضعفهم ، ولكن ، لنترو قليلا ونبحث فى انفسنا بشيء من التمحيص ، فلربما تبين لنا ان ما كنا نعتقده قوة ومناعة ، انما هو فى الحقيقة برودة طبع وفقر فى الشعور ونضوب فى الخيال ، فالشخص الذي يبدي عواطفه امامنا بدون تحفظ او حياء مزيف فيغضب فى ساعة الغضب ، ويفرح فى ساعة الفرح ، ويجرؤ امام المجتمع على الافصاح عن افكاره ورغباته، انما هو الرجل الذي يتمتع بشخصية حقيقية ، لانه يذهب قاصدا نحو الاهداف التي رسمها لنفسه ويتحمل مسؤولية اعماله بشجاعة امام الابصار الشاخصة اليه من كل جانب ، فهو لا يكذب على نفسه ولا يذهب ضحية الغرور ، ولا ينخدع بالسراب بل انه يعيش حياته بكامل جوارحه ويقبل عليها اقبال صدق وجد ويحاول ان يصنع منها شيئا ، اننا نضحك على مثل هذا الشخص ونهزأ من انفعالاته وحركاته الفجائية وثرثرته ، ولكنه بالرغم من ذلك يبقى متفوقا علينا فى جوهر الامور ، فهو البطل الذي يعيش قصته ، بل يصنعها من العدم يوما بعد يوم ، اما نحن فماذا نكون؟ اننا لا نزيد على كوننا نقنع بمقعد المتفرج العادي .

وطورا نندفع نحو الحركة ، نحو العمل ، ونريد ان نبرز بشيء فى الحياة ، شيء يجعل لوجودنا معنى فى اعيننا وفى اعين الغير ، وما نخطو خطواتنا الاولى فى هذا السبيل حتى ندرك اننا تحملنا مسؤولية جسيمة، لقد كنا مستورين وسط الجمهور لما كنا فى ركن المتفرج ، اما وقد برزنا وسط المسرح ، فقد اصبح لنا وجه وشخصية يجب ان نصونهما ونحافظ عليهما وندافع عنهما ، لقد اصبحنا معرضين لنقد الناقدين وقذف الاعداء وملاحظات الاصدقاء ونفاق الاعداء الذين يلبسون ثوب الاصدقاء، ها نحن الآن نجد انفسنا وسط الخضم وحولنا الامواج تصطخب من كل جانب ماذا نعمل ؟ هل نختار طريق السلامة فنرجع تائبين مستكينين الى زاويتنا المتواضعة ، زاوية المتفرج ام نتقدم نحو الخطر والهول والمجهول ونستمر فى السير ؟

ان شاطيء السلامة والدعة والراحة لازال قريبا منا ولا زال يبسم لنا من بعيد ويعرض علينا كل مغرياته وما لنا وهذا العناد ؟ وما لنا وركوب الخطر والمشقة والحياة حلوة مريئة بجانبنا ؟ لنترك المغامرة ، اذن ولنعد الى الشاطيء .

وهكذا نتراجع شيئا فشيئا وننزوي بصمت وتواضع فى مقعدنا لاننا لا نريد ان يرانا الغير وقد ذهبت عنا دواعي الفخر والكبرياء .

لقد خانتنا الشجاعة فى وسط الطريق واجفلت نفوسنا امام ضخامة المجهود الذي ينتظرنا ، وفى وسط الطريق يحتاج الرجل الذي ينشد البطولة الى الثبات والجلد ، وفيه يقبض على مصيره بيديه فيرفعه او ينخفض به ، ان طريق البطولة يكتنفها الترغيب والترهيب ، ولكنها تغري كل رجل حر ابى لانها تخرجه

من تلك الحياة الرخيصة المبتذلة السهلة التي يهوى فيها كثير من الناس ويقبرون انفسهم وكأنهم دخلوا فى قبور من زجاج ينتظرون الموت .

ها نحن اولاء نقوي عزائمنا ونسلك هذا السبيل المحفوف بالاخطار ، ولكنه ، على ما يتراءى لنا ، سبيل الحياة الحقيقية ، وقد يطول سيرنا فيه ، وقد لا نجد فى نهايته اي شيء ما عدا هذا الانتصار الذي حققناه على نفوسنا وعلى ضعفنا وعلى تلك الوساوس والمغريات المثبطة التي كانت تتهامس فى افئدتنا .

ومهما يكن ، فالبون شاسع بين الموقفين : الموقف السلبي للرجل المتفرج الذي لا طموح له ، والموقف الايجابي للرجل الذي يريد ان يقترن وجوده فى الحياة باثر يشهد عليه ويتوازن مع حجم شخصيته ، وبديهي ان العالم ما كان ليسير ويتطور لو لم يوجد الرجل الثاني وان التاريخ مدين له بالشيء الكثير .

وليس من الضروري ولا من المفيد ان يكون كل الرجال من الصنف الثاني ، ففي كل مجتمع حي لا توجد الا اقلية من المبتكرين والمؤسسين ، فهم كالملح فى الطعام لا ينبغي ان يتجاوزوا مقدارا معينا .

* * *

وهنالك موقف ثالث ، وهو الذي يجعلنا ننظر الى الحياة لا نظرة الواقع ، ولكن نظرة من ينشد الجمال اي نظرة الفنان ، وليس معنى هذا ان الفنان يجهل الواقع ولا ان الجمال يتنافى وجوبا مع الواقع ، وانما كون الفنان يكيف بشعوره وخياله عالما آخر قد يقترب من الواقع وقد يبتعد عنه ، ولكنه عالم ينبني على فكرة جمالية .

فاذا كان الفنان يجد فى الواقع الصورة التي ينشد ، فيكفيه ان يمسك ريشة الرسام ليقدم لنا المشاهد والمناظر التي تعطي فى رايه فكرة حقيقية عن الحياة وكنهها .

وقد يكون مقبلا على الحياة ينسجم ويتجاوب معها بشعوره وفكره ، فينعكس ذلك على فنه وتجد فيه المصور المتحمس الذي يكشف لك عن الوجود صورا ضاحكة مشرقة طريفة ، فهو الشاعر الذي يتغنى بسعادته وهو المنشد الذي يسحره الكون بانواره المشعة والوانه الزاهية وبهجته فلا يفتأ فى تراتيمه وتراجيعه ؛ ففنه ، على كل حال ، ملحمة شعرية ذات فصول مختلفة كلها مدح للحياة وتغزل فيها .

وقد يكون الفنان ، بالعكس، برما بالحياة متضايقا متضايقا منها لا يرى فيها الا شقاء وتعبا وبؤسا ولا تثير فى نفسه الا الشعور بالعبث والسخف والدمامة، فيكون فنه تصويرا لمأساة الانسان فى العالم وما يكابده من اهوال ومحن ، وما يلاقيه من انواع القساوة والجور من الطبيعة ومن اخيه الانسان وما يحمل فى نفسه من تناقض وضعف ، انها صورة تبعث تارة على التشاؤم واليأس وطورا على الغضب والنقمة والثورة، ولكنها صورة تنتزع الانسان من مقعد الراحة والاستسلام .

وقد ينصرف الفنان عن الحياة الواقعية بالمرة ليصور لنا عالما مثاليا ، العالم الذي يتمنى ان يعيش فيه ، عالم الصدق والطهارة ، عالم الملائكة ذوي النظرات الواضحة الصافية والعواطف النبيلة السامية ، انها صورة ترتبط بالواقع لانها مقلوبة عنه ، انه العالم الذي ترتاح اليه نفوسنا ونفر اليه باحلامنا عندما نضيق بعالمنا الواقعي وما يخيم عليه من بؤس وسخافة .

ومهما يكن ، فالفنان وان كان هدفه هو الجمال فهو لا يأتيه من جهة واحدة وانما من جهات متعددة لا حصر لها ، ومن هنا امكن ان يكون لكل فنان حقيقي شخصيته واسلوبه اللذان يتميز بهما .

* * *

تلك بعض المواقف التي يمكن للانسان ان يقفها من الحياة ، موقف المتفرج ، وموقف الرجل العامل ، وموقف الفنان ، فالاول يبقى فى سلبيته مستريحا من كل مسؤولية ، والثاني لا يرى معنى لوجوده الا فى تحمل المسؤوليات الصعبة وتأكيد ذلك الوجود بالعمل الايجابي ، والثالث يعيد خلق العالم حسب حاسته الجمالية .

ولكن هذه المواقف وان اختلفت وتباعدت فى اتجاهها ، فانها تلتقي عند نقطة واحدة وهي ان الحياة لابد وان تمسك الانسان فى شبكتها وتجرفه فى تيارها وتستبد بالجزء الاوفر من تفكيره واهتمامه، فكلنا، مهما

كنا ، ومهما انشغلنا بالعمل المسترسل او بالفـــن او باللذة او بغير ذلك نظل متطلعين الى ما ياتي به الغد المجهول وننتظر وفى انتظارنا خوف وشوق ، وهذا هو السر الذي تجتذبنا به الحياة اليها ، من حيث لم نكن نريد ونتوقع ، وما اضعف جبلتنا ووسائلنا الانسانيـة امام اغراء المجهول .

نعم اننا كلنا ننتظر شيئا من الحياة ، فى لهفـة واشتياق ، ولكن ، كلما حصلنا فيها على مرغوب نقول ليس هو الشيء الذي كنا نبحث عنه ، بحيث اننا نظل الى ساعة الممات ونحن فى حالة الانتظار ، فماذا ننتظر؟ انه يصعب علينا ان نعين شيئا بالذات ، وكل ما نعلم هو اننا لا يمكننا ان نعيش بدون ذلك الانتظار ، فنحن اشبه ما تكون بالذي ياتي للموعد آملا ان لا يلقى صاحبه حتى يبقى دائما فى انتظاره .

وهذا ما سماه بعض المفكرين فى هذا العصر بعبث الوجود ، وسخافته ، ويكفي ان نقف فى كل لحظة من لحظات حياتنا فاحصين مستكشفين لنجد صورة او صورا للعبث ، ويكفي ان نعود الى فكرة الانتظار لنرى فيها صورة للتناقض الجدلي الذي ينم عن مأســاة الانسان فى الوجود ، فكل الناس يتضايقون بساعــة الانتظار فى المقهى ، فى محطة القطار ، فى اي مكان . ولكن، كم مرة وجدوا ان ساعة الانتظار كانت احسن مــن ساعة اللقاء ، وهكذا فالزمان الذي كان يعتبر ثانويــا ضائعا اكتسب من بعد اهمية وامتيازا فى اعيننا ، بينما الزمان الذي كنا نراه اساسيا ملآن بالنسبة الينا وجدناه باردا ، خاليا من المفاجأة التي كنا نطمع فيها ، ونجد فى النهاية ان ترتيبنا للاشياء فى هـذا العالـم يصطـدم بترتيب آخر لا يحفل مطلقا بسلم القيم الذي آمنا به واتخذناه معيارا لنا فى الحياة .

وهذه صورة اخرى للعبث ، لقد رايت منذ ساعة وردة جميلة يتلاعب بها الريح فى شجيرتها ، فوقفت مبهوتا انظر اليها واحدث رفاقي عنها ، وكلي اعجـاب وطرب ، ولم اتمالك عن قطفها وانا فرحان ، ولكن انتهى كل شيء مع الاقتطاف ، فما وقعت فى حيازتي حتـى نسيتها ولم اعد التفت اليها ، اننا لا نتعلق الا بما هو بعيد عنا ، وقيمة الشيء مرتبطة بصعوبة ادراكه ، واي جوهر يبقى للقيم ، اذا نظرنا اليها بهذا المنظار النسبي؟

ومثال الوردة هو مثال العاشق الذي يدنفـــه الغرام فيعيش فى الم وسهاد وصورة من يحب لا تفارق فكره ، حتى اذا ابتسم له الحظ واجتمع بمحبوبــه ، نزل من عالم الاحلام الى الواقع وادرك ان خياله كـان يكذب عليه ويذكي جذوة الشعور فى نفسه ويوهمه ان لقاءه بالمحبوب حدث عظيم وعجيب تنتهى عنده كـل الاحداث وتقصر دونه كل الغايات ، ولكن ، ها هو الان امام الواقع وقد طارت النشوة من راسه : فماذا بقي من احلامه ؟ وكم ليال سهر ؟ وكم دموع سكب ؟ وكم كابد من اشجان واحزان ؟ كل ذلك لهذا السـراب الذي يسمونه الحب ، الم يكن العوبة فى يد الاحداث وفى يد نفسـه قبل كل شيء ؟

ويغلق العاشق المخدوع عينيه حتى لا يرى من قريب هذه الحقائق المرة ويكره الحياة وياس منهـا ، ويختم هذا الفصل من الرواية التي لا تنتهي فى الجـو البارد ، المعتاد ، المبتذل ، لينتقل الى الفصل التالــي مشوقا متلهفا وقد اخذ القنوط والسآمة من نفسـه كل مأخذ .

وتسألني : اين نقطة الارتكاز التي يعود اليهـا الانسان كلما ضل عن الطريق وتاه ؟ اين هي الحقيقة النهائية التي يتمسك بها وتجعله قويا امام الاحـداث الطارئة ؟

واجيبك انه لا توجد اي نقطة للارتكاز ، فنحـن نسبح فى بحر واسع بعدت عنه الاراضي ، وكل نقطة منه تشبه اختها ، فالمهم هو ان نقطعه بدون تعـب ولا ملل ، اجل ، ان كل ساعات الحياة تتشابه مثلمـــا تتشابه قطرات الماء ، فلنمر من الساعة الى التي تليها دون ان نفقد شجاعتنا ويختل توازننا ، فساعات العمر ما اكثرها .

ولكن المصيبة ، كل المصيبـة ، هـي فى ان تاتـي احداهن فتفسد علينا ما بقي منها ، فلنضعها امامنا اذن كما يضع البخيل دراهمه نصب عينيه ليتملى برؤيتهـا وينفق منها بتأن وحيطة وحذر .

سـلا : محمد زنيبـر

تجديد الشابي بين روافد الشرق والغرب

للاستاذ عباس الجراري

بدا لي الشابي كما يبدو لكل من يدرس اشعاره واقواله في الادب والنقد ، انه يتقن لغة اجنبية يجيد بواسطتها فهم كثير من آداب هذه اللغة وغيرها تذوقا وتأثرا ، فهو مجدد في شعره ووجداني في نزعته، ثم هو معجب بالادب الغربي ومتحايل على الادب العربي ، مما لا يدع مجالا للشك في انه درس لغة اروبية حديثة ربما كانت الفرنسية . وكم كانت دهشتي وانا اطالع بعض ما كتب عن حياته ، حين علمت ان حدود معرفته لا تتجاوز اللغة العربية والثقافة الاسلامية ، فهو خريج جامعة الزيتونة التي لا تختلف كثيرا او قليلا عن الازهر والقرويين ، اي ان دراسته تقليدية لا تتعدى العلوم الشرعية واللسانية ، واذا تعدتها فالى الادب القديم ومحاولة تمثله ومحاكاته .

لكن شيئا كاد يحول دون اقتناعي بهذه الحقيقة، ذلك هو التحاق الشابي بكلية الحقوق بعد حصوله على شهادة (التطويع) من الجامعة الاسلامية ، واذا كنا نقبل ان تكون الزيتونة معهدا عربيا خالصا فاننا لا نقبل ان تكون كلية الحقوق عربية كذلك لسبب بسيط هو ان الاستعمار الفرنسي قد فرض لغته وجلعها اجبارية، بل هي اللغة الاولى في جميع مراحل التعليم ، واذا كان قد تخلى عن الزيتونة ، لم يحاول فرنستها لعوامل واسباب ، فهو لن يترك معهدا للحقوق ، ينشأ في كنفه ، ان تكون العربية لغته الوحيدة ، هذا بالاضافة الى ان التعليم العالي حتى في البلاد العربية المستقلة لا يخلو من تدريس لغة اجنبية الى جانب اللغة الوطنية .

ولم البث في غمرة من الشك ان اتصلت ببعض مواطني الشابي ، وكان فيهم من زاول التعليم بهذا المعهد الحقوقي ، فتبين لي انه منذ انشائه حتى الان ، ليس اكثر من مدرسة متوسطة يلتحق بها من حصل على ثانوية الزيتونة ، يلقن فيها خلال ثلاث سنوات وباللغة العربية وحدها ، مبادىء بعض القوانين الوطنية منها بصفة خاصة ، ثم يحرز على شهادة تسمح له بالاشتغال في المحاكم الاهلية ، وانتهيت الى ان الشابي لم يدرس اية لغة اجنبية تخوله القراءة في آدابها ، وانه ثقف نفسه ثقافة شعرية عربية هذبت طبعه وسليقته ، وان ما نرى من تحامله على ادب قومه واعجابه بالادب الاروبي ان هو الا مظهر من مظاهر روحه الثائر الطموح ورغبته الملحة في التطوير والتجديد . وبعد ان كان في عزمي ان اتخذ من تاثر الشابي بالادب الفرنسي موضوعا لدراسته ، عدلت عنه الى ما ستكشف عنه سطور هذا البحث القصير الذي لم تكتمل له اسباب دراسة عميقة من مراجع وافية ووقت طويل .

ولا شك ان الشابي في نشأته الاولى ، وقبل ان يتاثر بالعوامل الخارجية، كان قد تتبع حركة التجديد التي عاصرته في تونس ، وشارك فيها متأثرا بمبادئها ثم مؤثرا فيها ، وهي الحركة التي قاربت بين الادب والشعب وطرق شعراؤها موضاعات في الاجتماع والسياسة والوطنية عامة .

فالهادي المدني كان يؤثر بحماسياته على جماهير الشعب ، والطاهر الحداد كان يدعو الشعب في شعره الى النهوض والكفاح ويكثر من تصوير مآسي الاستعمار ، وظهرت عند بعضهم ممن تأثروا بالادب الفرنسي نزعة رومانسية تدعو الى الثورة على الادب العربي والتركيز على الوجدان وضرورة التعبير عن النفس وشعور الفرد ، ومن وراء تلك النفس وهذا

الشعور ، نفس الشعب التواقة للحياة الحرة الكريمة وشعوره فى ان عليه ان ينهض وينفض غبار الخمول ، وابرز هؤلاء عبد الرزاق كرباكة شاعر النفس والوجدان ، ومحمد بوشربية وكانت تطغى عليه روح الكآبة والتشاؤم ، ومصطفى خريف وكان يرى فيه الشابي شاعر تونس الاول ، لما كان يصادف فى شعره من تحقيق للمقاييس التي كان يدعو اليها

وقبل هؤلاء جميعا ، وقبل مطلع القرن ، عرفت تونس كثيرا من الشعراء الذين ثاروا على التقليد ، جددوا فى الموضوع وحافظوا على الاسلوب ، نذكر منهم صالح السويسي ، وحسين الجزيري ومحمد الشاذلي خزانة دار ، وسعيد ابو بكر ، وكان يغلب عليهم قول الشعر الوطني لايقاظ الشعب وبث الحماس فيه .

فالشابي اذن كان مسبوقا من الشعراء الشباب الذين كانوا يسعون الى البعث والتجديد فى الادب والحياة ، بل ربما كان فى ثورته ودعوته للتطوير صدى لاصوات هؤلاء الذين سبقوه او عاصروه ، ولكنه لم يلبث ان سما عليهم بحكم عبقرية فذة لا شك ، وبحكم مطالعاته المستمرة فى الادب العربي والادب الغربي مما صقل شاعريته وهذب قريحته وارتفع بروحه درجات عليا فى سماء الفن الاصيل .

ولا ريب انه كان يكثر من قراءة الادب الحديث ، وخاصة ما كان ينتجه شعراء المهجر فى الغرب، وشعراء مدرسة التجديد فى الشرق سواء منه ما كان موضوعا او منقولا .

ويكاد يجمع الدارسون للشابي ، ومواطنوه بصفة خاصة ، انه كان يدمن على مطالعة الادب المهجري ويحفظه شعرا كان ام نثرا ، وانه تاثر فى اسلوبه وتفكيره ، وخاصة بما كتبه جبران ، وحاولوا مبالغين رد كل صغيرة وكبيرة الى هذه المدرسة المهجرية ، ولكن اغلبهم لم يحاولوا تفصيل القول او اثباته ، وانما هم اطلقوا احكامهم فى كلام عام يظهر واضحا فيه التحمس لادباء المهاجر ، بالرغم من ان مشكلة التاثر هذه تكاد تعتبر فى عداد المسائل النفسية التي لا ينبغي للباحث ان يقطع بحكم فيها ما لم تتوفر له الدلائل الكافية والمستندات اللازمة .

وقد يحاول بعضهم اثبات ما يقول ، فيعمد الى قصيدة للشابي واخرى لشاعر مهجري ويستدل بهما، لوجود شبه فى الموضوع او غيره ، على هذا التاثر ، كأن يلاحظ ان الشابي فى قصيدته (فى ظل وادي الموت) التي يستهلها بقوله :

نحن نمشي وحولنا هاته الاكوا
ن تمشي لكن لاية غاية

قد تاثر بطلاسم ايليا ابي ماضي التي اولها :

جئت لا اعلم من اين ولكني اتيت
ولقد ابصرت قدامي طريقا فمشيت

مع أن الفرق شاسع بين القصيدتين ، فخواطر الشابي ذاتية نابعة عن نفس حائرة مضطربة ، فى حين ان خواطر ابي ماضي تتسم بالعمومية والشمول ، ولعلها جاءت نتيجة تفكير عميق ، وقريب من هذا ما ذهب اليه الاستاذ ابو القاسم كروحين :قارن بين قصيدتين للشابي وجبران لمجرد تشابههما فى صدر المطلع ، يقول جبران :

وما السعادة فى الدنيا سوى شبح
يرجى فان صار جسما مله البشر

ويقول الشابي :

وما السعادة فى الدنيا سوى حلم
ناء تضحى له ايامها الامم

ولو قرانا بقية الابيات لوجدنا اختلافا فى الاتجاه يؤكد لنا ان التشابه بين صدر المطلعين لا يعني ان الشابي قلد جبران ، وان كان لا ينفي انه قرا قصيدته وتاثر بها ولو فى مطلعها .

وربما كان كتاب الاستاذ التليسي (الشابي وجبران) اكثر موضوعية فى هذا الباب ، ولكن البحث خانني فى العثور عليه فلم استطع قراءته ، ومع ذلك فانا اذكر نقدا للكتاب لاحظ فيه صاحبه على المؤلف ، انه جمع مظاهر التشابه بين الشاعرين فى الحب والحرية والتمرد ، وهي عناصر عامة ، وانه نظر الى جبران كشاعر فرد ولم ينظر اليه كعضو فى مدرسة ادبية هو رائد من روادها لاشك .

ولو عدنا الى ديوان الشابي وحاولنا حصر مواطن التجديد فى شعره ، وما يقابلها من مظاهر تجديدية فى الشعر المهجري لانتهينا الى ثلاث نقط تنحصر فى مفهومه وشكله وموضوعه .

اما عن المفهوم فلنصغ الى الشابي وهو يخاطب شعره :

يا شعر انت فم الشعور وصرخة الروح الكئيب
يا شعر انت صدى نحيب القلب والصب الغريب
يا شعر انت مدامع علقت باهداب الحياة
يا شعر انت دم تفجر من كلوم الكائنات

*

يا شعر يا وحي الوجود الحي يا لغة اللائك
غرد فايامي انا تبكي على ايقاع نابك

*

يا شعر هل خلق المنون بلا شعور كالجماد
لا رعشة تعرو يديه اذا تملقه الفؤاد ؟

*

فيك انطوت نفسي وفيك نفخت كل مشاعري
فاصدع على قمم الحياة بلوعتي يا طائري *

والشعر عنده هو * ما تسمعه وتبصره فى ضجة الريح ، وهدير البحار وفى نسمة الوردة الحائرة يدمدم فوقها النحل ويرفرف حولها الفراش ، وفى النغمة المفردة يرسلها فى القضاء الفسيح وفى وسوسة الجدول الحالم المترنم بين الحقول ، وفى دمدمة النهر الهادر المتدفق نحو البحار ، وفى مطلع الشمس ، وخفوق النجم ، وفى كل ما تراه وتسمعه وتكرهه وتحبه وتالفه وتخشاه) ، وهو عنده (تصوير وتعبير تصوير لهذه الحياة التي تمر حواليك مغنية ضاحكة لاهية ، او مقطبة واجمة باكية ، او وادعة حالمة راضية، او مجدفة ثائرة ساخطة ، وتعبير عن تلك الصور او هاته الاثار باسلوب فني جميل ملؤه القوة والحياة) .

والشعر عند نعيمة (هو غلبة النور على الظلمة ، والحق على الباطل ، هو ترنيمة البلبل ونوح الورق وخرير الجدول وقصف الرعد هو ابتسامة الطفل ودمعة الثكلى وتورد وجنة العذراء وتجعدوجه الشيخ، هو جمال البقاء وبقاء الجمال ، الشعر لذة التمتع بالحياة والرعشة امام وجه الموت ، هو الحب والبغض والنعيم والشقاء هو صرخة البائس وقهقهة السكران ولهفة الضعيف وعجب القوي .. هو الحياة باكية وضاحكة وناطقة وصامتة ومولولة ومهللة وشاكية ومسبحة ومقبلة ومدبرة (*)

ولو امعنا النظر فى المفهوم عند كل من الاديبين لوجدنا تشابها كبيرا يكاد يمس الالفاظ : فالشعر عندهما هو شدو الحياة وتغريدها بما فيها من لمسات رقيقة ومشاعر انسانية ، وبما فيها من صدق وجمال، فبالحياة وللحياة يكون لحن الشعر واشراقته وخلوده، وبالحياة وللحياة يتحرك وينفعل فيؤثر فى القلوب والارواح وكل ما يحس معانيها السامية الرفيعة .

ثم ان للشعر رسالة مقدسة على الشاعر ان يؤديها فى اخلاص وصدق ، وان يذيعها كما نزلت عليه رفيعة طاهرة يتمثل فيها نقاء الوجود وجمال الحياة ، وما هذه المهمة او الرسالة سوى انارة الطريق للبشرية وقيادتها نحو المثل الاعلى فى الحياة حتى يسمو ابناؤها عن شوائب الارض ، ويرتاحوا من عناء الدهر ، ويرتفعوا الى عالم روحي يشاطرهم ما يختلج فىنفوسهم من نبضات حية واحاسيس صادقة ، فالشاعر كالنبي قائد روحي ينير السبيل امام الانسانية التي تحذو حذوه متتبعة خطاه ، ومستضيئة بنبراس الفن الذي يحمله ليكشف به مجاهل الحياة ومخابئها ، ويتحدث جبران عن هذه الرسالة فيقول : (انما الشاعر رسول يبلغ الفرد ما اوحاه اليه الروح العام فان لم يكن هناك

---

* قصيدة (ياشعر) ديوان اغاني الحياة ص 35
* من رسالة بعث بها الشاعر الى صديقه محمد الحليوي ، نقلا عن زين العابدين السنوسي فى (ابو القاسم الشابي حياته وادبه) ص 53
* الغربال : فصل (الشعر والشاعر) ص 63

رسالة فليس هناك من شاعر) (*) ويقول محمود شريف : (الشعر عبقرية او رسالة تولد مع الانسان وتشب وتكبر معه حتى اذا نضج طغت على نفسه وقادتها وانطقتها، والشاعر روح قدسي خلق للانسانية بلسما على جرح المكلوم) (*) ، ويفصل الشابي القول عن هذه الرسالة ، متأثرا خطى المهجريين الذين كانوا يحسون الحاجة الملحة الى فلسفة علوية تقف في عالمهم الجديد جنبا الى جنب مع الفلسفات المادية يظهرون بها روحانية الشرق السامية ، فيرى ان الشعراء انبياء يرتفعون بارواحهم الى آفاق فسيحة ارحب واسمى من سماء البيئة المحدودة متغزلين بدنيا رائعة لم تخلقها الحياة الا في اعماق قلوبهم الملأى ببهاء الكون ومثل الحياة العليا ... وهم اولئك الموهوبون الذين يسبقون عصورهم فيغنون اشهر اغاني الجمال واعذب اناشيد القلب البشري لاجيال لم تخلق بعد ؛ وهم اولئك الذين لا يصورون عادات العصر المتغيرة المتحولة بل عادات الحياة الخالدة على الدهر ، ولا يصفون احاديث الوعاظ والمتكلمين والمتفلسفين بل احاديث نفس الانسان التائهة في بيداء الزمان ولا يعلنون اسرار القصور والمجالس بل اسرار الازل والابد) (*) .

واما عن الشكل فالحقيقة ان الشابي لم يتأثر بشعراء المهجر او غيرهم من دعاة التجديد في بناء قصيدته ، وانما تأثر في ذلك بنفسه وحدها يسير مع خواطرها واحاسيسها حتى يستنفدها ، لا يهتدي في ذلك بغير فطرته السليمة وشاعريته المتقدة والحاجة الملحة الى استنزاف قلبه ووجدانه . ومع ذلك فهو قد تبع المهجريين في العودة الى الموشحات الاندلسية والاقبال عليها مع بعض التعديل في نظامها ، وكان جبران يرى في تعدد اصواتها (ما يزيد في وقع القصيدة ومداها ويسترعي انتباه القارىء اكثر من صوت واحد).

وفي احدى الموشحات يقول جبران متحدثا عن البحر :

في سكون الليل لما تنثني
يقظة الانسان من خلف الحجاب
يصرخ الغاب : انا العزم الذي
انبتته الشمس من قلب التراب
غير ان البحر يبقى ساكنا
قائلا في نفسه : العزم لي

ولقد عدد الدكتور فروخ اشكال الموشحات عند الشابي فردها الى سبع كل شكل منها يسير على نظام خاص في ترتيب القوافي والاشطار ، ومن اشكاله قوله :

رفرفت في دجية الليل الحزين
زمرة الاحلام
فوق سرب من غمامات الشجون
ملؤها الآلام

*

شخصت لما رأت عين النجوم
بعثة العشاق
ورمتها من سماها برجوم
تكسب الاحراق*

واذا كان الاسلوب عامة قد ينزل عند شعراء المهجر الى مستوى لغة وضيع ، نتيجة تساهلهم وبعدهم عن ديار العربية ، وسعيهم وراء الرزق (الذي لم يترك لهم متسعا من الوقت للانصراف الى التعمق في درس اللغة من حيث هي لغة ، ولا للمطالعة الواسعة في آثارها القيمة) (*) فان الشابي بحكم ثقافته العربية المتينة لم ينجرف في تيار التساهل اللغوي مما جعل في شعره رونقا واصالة لانجد هما في كثير من الاحيان عند الادباء المهجريين .

يتبـــــع

باريس : عباس الجراري

* التجديد في شعر المهجر لمحمد مصطفى هدارة ص 78
* نقلا عن « كفاح الشابي » لكرو ص 25
* انظر كتابه (الشابي شاعر الحب والحياة) ص 149
* قصيدة : (في الظلام) ديوان ص 19 .
* ميخائيل نعيمة ، نقلا عن التجديد في شعر المهجر ص 191 .

مستقبل الثقافة في المغرب

ابريجاني

للاستاذ جعفر الطيب الكتاني

لـو سئلت ان اعرف الثقافة ما هي ، لقلت **انها مجموعة من المدركات الحسية، تتبلور في صيرورتها اخلاقا ، ثم تنعكس على تصرفات الافراد والجماعات في تقييمهم للاشياء ، وتحديدهم للمعايير .**

وبمدى تناسق التقييم للاشياء بين فرد وآخر وبين الافراد والجماعات ، تتقدر نوعية الثقافة التي تلقاها اولئك الناس .

ولا نهوض بمجتمع ما على وجه الارض ، دون ان تتوفر لمن بوجودهم يقوم المجتمع ، ثقافة موحدة في الشكل والمضمون .

وللثقافة في اي ظرف كانت ، مرايا مبينة « عاكسة » من بينها باطراد ، ولو في المجتمعات المتبدية، تصرفات الشخص في معاملاته ، كما ان منها في المجتمعات المتطورة الكتاب والصحيفة ، والمسرح والاذاعة والسينما . وللثقافة في هذا الشوط ، اجهزة مكيفة هي المدرسة والمعهد والجامعة .

وتحديد الاستفسار عن مستقبل الثقافة بالمغرب هو تقييم ضمني من المستفسر ، لما تعكسه مظاهر الثقافة ببلادنا ، مما يخشى منه على مستقبل الثقافة ذاته ، وهذا خليق بان يوجه مجال الحديث الى اجهزة الثقافة باعتبارها الملاذ الاول والاخير ، في تغيير هذه الدنيا التي نعيش فيها ، والتي نامل جميعا في ان تتغير الى ما هو افضل ، ذلك ان الحديث عما تعكسه الصحيفة والاذاعة او الكتاب والمسرح والسينما في بلادنا ، لن يكون في رايي دراسة جدية ايجابية بسبيل التطلع الى مستقبل افضل ، بقدر ما يصورنا لانفسنا مجتمعا مشوشا متخلفا .

وليس بيننا من المثقفين من لا يلمس هذا التخلف في **قدرتنا** ــ باعتبارنا وحدة اجتماعية ــ **على تقييم الاشياء وتحديد المعايير .**

وان السبيل للانعتاق من هذا التخلف هو اهتمام المثقفين والمسؤولين باجهزة الثقافة ببلادنا كيما يهيئوا للاجيال المقبلة في المغرب ثقافة موحدة في الشكل والمضمون فنستطيع ان تكون مجتمعا في بلادنا، اما جيلنا هذا فقد قال عنه محمد الخامس ــ رحمه الله ــ انه جيل التضحية .

وان قضاء فترة من العمر في مجتمع ما كفيلة بتهييء المرء ــ ان هو اراد ــ لان يكون فكرة عن ثقافة ذلك المجتمع من خلال مظاهر النشاط الثقافي لديه ، ولو حاول واحد منا ان يكون موضوعيا في اعطاء صورة عن ثقافتنا من خلال تصرفاتنا ومما تعكسه وسائل الاعلام عندنا ، لاحتار في اي صنف من الحضارات يضعنا .

ولا شك في اننا امة عريقة بامجادها ، وتلك مفخرة لنا ــ ان كنا في ميدان التفاخر ، ولكننا ونحن امة من اخص مميزاتها دقة الملاحظة ، يجب ان نعترف بان العراقة اذا اقتصرت على اقفال الحدود المكتسبة في وجه الدخيل ، في وقت فتحت فيه حدود اخوة لنا في التاريخ المشترك على مصراعيها ، فانما تقتصر اوجه الافتخار بهذه العراقة على نواح ، لن تكون منها على كل حال ناحية المستوى الثقافي الراهن بيننا ، والموضوعي الجاد في تصويرنا ، لن يعنى بالتاريخ عنا، ولا بالاجيال المخلفة منا ، بيد انه ، لن يلفينا شرقيين ولا غربيين بين حضارة من الحضارات الحية .

ومن الموضوعات التي تتباين في مقاييسها حتى الان ، اوجه الراي بيننا ، شكل الاجهزة الثقافية نفسها ، ومسالة الحكم على شهادة كلية ما ، بانها نظير ثقافي لما يقابل تلك الشهادة من كلية اخرى .

ولا خلاف في صحة المعادلة بين الشهادات المتوازية ، فيما يكفل لحملتها عموما نفس التقدير الاجتماعي والاداري ، اما ان تعتبر الشهادات المتوازية بانها جميعها مخولة من حيث مضمونها لنفس الدراسات العليا ، فذلك امر له من الخطورة ما يتعدى اثره الاطر التعليمية ببلادنا ، الى مضامين الشخصية الثقافية ذاتها ، عندنا ، **اذ ان مشروع معادلة الشهادات العلمية في بلد ما ، لا يقتصر تتاجه على تلك الناحية الشكلية فقط ، ولكنه يصور ايضا مدى تناسق تقييم الامة للاشياء ، وتحديدها للمعايير .**

وان قضية معادلة العالمية ــ او الاجازة ــ في الشريعة مثلا بما يوازيها من شهادات كلية الحقوق ، وكلية الاداب من التعليم الحديث لم تكن قضية تلفت الانتباه ، لو ان المعادلة اقتصرت على الوجهة الادارية منها ، ولكن المعادلة اثارت دويا بين طبقة المثقفين عندما اعتبرت ايضا من الوجهة التعليمية ، ذلك انها اتاحت للمجاز من التعليم الاصلي ، وزميله من التعليم الحديث ، فرصة متساوية في المدة الزمنية ، للحصول على دبلوم الدراسات العليا في العلوم القانونية ، وفي العلوم الانسانية من التعليم الحديث .

والذي يعنيه هذا المشروع ، هو تخويل صاحب العالمية او الاجازة في الشريعة حق الالتحاق بقسم الدراسات العليا بالحقوق ، وقسم الدراسات العليا بالاداب ، وقسم الدراسات العليا بالشريعة في حين لم يقيم المشروع الطالب المجاز في الادب او في الحقوق نفس التقييم .

وفهم المعنيون بهذا ، ان تقييم المسؤولين للاجازة في التعليم الاصلي ، يختلف تمام الاختلاف عن تقييمهم للاجازة في التعليم الحديث ، وباجتهاد موضوعي منا في تعليل هذه النظرة المختلفة ، يمكننا ان نلقي سببها في انحراف التقييم عن منهجه المعين له ، الى اعتبارات اخرى ، ليس من بينها الناحية العلمية على الاطلاق .

فالذين اخرجتهم المعاهد الاصلية ، كانوا في بداية تاريخ اليقظة الاجتماعية في المغرب خلال هذا القرن اول من كشفوا عن جديتهم وعمقهم وقدرتهم على خوض كثير من معارك مجتمعنا الحديث ، كما ان شهادتهم التي اجيزوا بها تشعر بانهم مطلعون على التشريع الاسلامي ــ وهو من مواد كلية الحقوق الحديثة ــ ــ وعلى اسرار اللغة العربية ــ وهي من مواد كلية الاداب ، ولا اقل في الاعتراف بالجميل لما اسداه اولئك الرواد ، من ان تتاح لهم ولهؤلاء المحدثين من زملائهم فرصة حيل بينهم وبينها في عهد الطغيان الاستعماري ، اذ ان حكومات الاستعمار الفرنسي ــ الاسباني ــ كانت تعرقل حياة هؤلاء الشباب ، وتوصد في وجوههم سائر ابواب المعرفة ، وترفض الاعتراف بالشهادة التي افنوا من عمرهم اثنتي عشرة سنة دراسية للحصول عليها ، ولا تسمح بمجرد نقل مدلولها في العربية الى الفرنسية او الاسبانية لفتي الادارة ، حتى لا يكون لها اعتبار في الوظيفة العمومية ، ولا في الوسط المدرسي .

فالتفكير من المسؤولين اذن بعهد الاستقلال في معادلة العالمية او الاجازة في الشريعة ، بما يوازيها في الطرف الاخر من التعليم الحديث ، هو في حقيقته العميقة تفكير في رد الاعتبار الادبي الى العالمية بعد ان رد اليها اعتبارها المادي منذ فجر الاستقلال .

ولكن المعادلة في راي المجازين في التعليم الحديث ، ما كان لها ان تقيم نواحي التخصص العلمي بمعايير خارجة عن نطاق الجامعة ، طالما ان الهدف من المعادلة هو احلال مختلف الشهادات محلها اللائق بها في اشواط الثقافة الجامعية. واذا فان قبول اجازة التعليم الاصلي في قسم الدراسات العليا في التعليم الحديث ، هو اجراء لا يتوخى مستقبل الثقافة في البلاد ، ولا احتياجات الاطار الاداري ، وانما هو حدث مخل بمعنى الحرية والاستقلال السياسي اللذين احرزنا عليهما بعد كفاح مرير ، وانه لمن مصلحة المجازين في التعليم الاصلي ان يستمروا في التخصص في نطاقهم الجامعي ، لانهم في كلية الشريعة اكثر كفاءة وافادة ، وان التحاق اجازة الشريعة بالدراسات العليا في الحقوق ، او بالاداب ، انما هو ضرب من الفوضى الثقافية ، والتحلل من المسؤولية ، والخروج بالاختصاص عن سبيله ، وهو بالتالي ضرر لن تعود آثاره الوخيمة على الفرد فحسب ، ولكنها سوف تعم المجتمع الحديث الذي نسعى الى تكوينه ، **ولن تقوم للمجتمع قائمة اذا لم يهتم فيه كل بما يسر له ، اذ ان التخصص والاهتمام به ، والدقة فيه ، هو عنوان التقدم السريع بمجتمعنا الحديث ، وان اي محاولة تخالف هذه القاعدة ، مآلها الى انحلال اجتماعي ، وتدهور ثقافي ، وانحطاط سياسي ، وذلك فساد عانينا منه ما عانيناه ، فيتعين تلافيه اليوم في عهد الاستقلال .**

اولم يكن من خير مستقبل الثقافة فى بلادنا ، ان نستفيد من تجربة الجامعات التي سبقتنا ، فما من جامعة فى الشرق تأذن لمجاز من احد فروع كلية ما ، ان يستأنف دراسته العليا فى غير فرع تخصصه،بالذات، فعلى اي مقياس اعتمدنا ، نحن فى بلادنا ، عندما تأذن لمجاز فى كلية ما ، بان يتم دراسته العليا فى كلية اخرى؟ افما كان يثير اهتمامنا معادلة اولى ؟ تلك التي ترتبط بالوظيفة العمومية ؟ فبأي معيار تنهج اطرنا ، عندما لا نسوي من الناحية الادارية مجازا يعمل فى وزارة التربية الوطنية ، بزميل له يعمل فى وزارة الخارجية ، او بآخر فى وزارة العدل ؟ .

اترانا مثلا نطبق على المجاز المدرس فى تعليمنا ، نفس القوانين التي تركها الاستعمار ، غفلة منا عما ترمي اليه نتائج تلك القوانين ؟

ان التعليم عندنا ، طالما هو لم يفرغ فى قالب موحد من اول سنة ابتدائية الى ءاخر سنة جامعية ، فان اي نوع آخر من الجهد تبذله وزارة التربية الوطنية او غيرها من الوزارات انما ينتهي الى نقيض الغاية المتوخاة من الثقافة فى جملتها . ولن يربث التعليم العالي فى توحيد مقاييسه ، انتظار ما عساها تسفر عنه منهجية التوحيد من ادنى ، وانما ينبغي أن يشرع فى توحيد منهجية التعليم بالنسبة لجميع مستوياته ، وفى آن واحد ، حتى تتكتل جميع الجهود فى دفعة هائلة ، بقصد التخلص من النتائج الوخيمة التي خلفها الاستعمار فى ميدان التربية الوطنية مرة واحدة .

وخذ لتلك البذور الاستعمارية التي يتطلب المستقبل منا تغييرها فورا فى كون هؤلاء المجازين ، فى التعليم الحديث انفسهم ، ليس يربطهم من وحدة الثقافة ، ما يمكن ان يجعل تقييمهم للاشياء قائما على نسق مشترك ، فهم بين خريج من فرنسا ، وآخر من اسبانيا ، وخريج من الشرق العربي وثان من بلاد اروبية اخرى كالمانيا وبريطانيا لا يكاد يوحد بينهم سوى ارض الوطن والجنسية المغربية، ولا يكاد يعرف الواحد منهم عن الآخر مؤهلا ثقافيا من اية درجة ، فبعضهم اتم دراسته الثانوية من حيث حصل على دراسته العليا الاولى ،وبعضهم غير فى دراسته الثانوية نفسها قطرا بقطر ، وقليل منهم من اكمل ثانويته بالمغرب ، وحتى من اكملها منهم كانت مناهج دراسته فرنسية او اسبانية ، ونتيجة لذلك كله ، فان اي مجموعة من هؤلاء المثقفين تشكل عالما قائما بذاته ، هذا اذا لم يوجد داخل المجموعة الواحدة عوالم متعددة لكل منها قيمه ومعاييره ومثله ، انضم اليها مؤخرا مجازو جامعة الرباط التي تتفرع بدورها الى تعليم فرنسي وآخر عربي ، بالاضافة الى المجازين الاصليين ، **فكان من كل ذلك فى مجتمعنا ، هذه الاشتات من الثقافات التي استحالت الى اخلاق، تنعكس على تصرفات الفرد منهم والمجموعات فى تقييمهم للاشياء وتحديدهم للمعايير،** وما من مجموعة بينهم ، الا وبحسبانها ان مظاهر ثقافتها ومنهج تفكيرها خير انموذج يحتذي ويقاس عليه .

وتلك بعض نتائج التفرقة التربوية التي خلقتها نظم التعليم الاجنبية فى بلادنا . **فالاجنبي كان يعمل فى بلادنا على ان نعيش بتفكير وبيئة 1912 ، حتى وان كنا تجاوزناها الى سنة 1953 مثلا ، ولكي يكون امينا فى تطبيق عقد الحماية ، كان يجعلنا نعيش داخل قنينة من صفيح ، بلعومها لا يكفي لمجرد القاء نظرة واحدة على ما يجري فى العالم ، وكان الاستعمار يوهمنا بانه ، هو ايضا يعيش معنا داخل القنينة التي هي المغرب المقفل، ولكنه عندما كان يفرض على مجتمعنا ان يتجه الى بلعوم القنينة الضيق ، كان هو يعطينا بظهره ، ليفتح مؤخرة القنينة على سعتها ، له ولرعاياه من الاجانب ، او ممن يسيرون فى فلكه الثقافي ، ثم يضع المائدة له ولاصحابه ولا يدعونا ، بدعوى ان على مائدته ما يحرمه علينا ديننا ، وهو اي الاستعمار حريص على ان يطبق عقد الحماية ، ومن جملة ما يحرمه علينا ديننا — وهو من اصناف ما على مائدته — الثقافة الحديثة ، والتي لا تؤخذ يومئذ الا بلغة ما على مائدته.** ومعنى ذلك فى النهاية ان يبقى الاستعمار على مواد التعليم فى بلادنا ، كما كانت عليه قبل القرن العشرين ، وبالضرورة ، هو لن يشغل فى اطر الوظيفة العليا لسياسة الدولة الا الذين يعرفون لغته ، اي الذين تمكنوا من اللغة الصالحة للسياسة ولادارة الحكم فى البلاد .

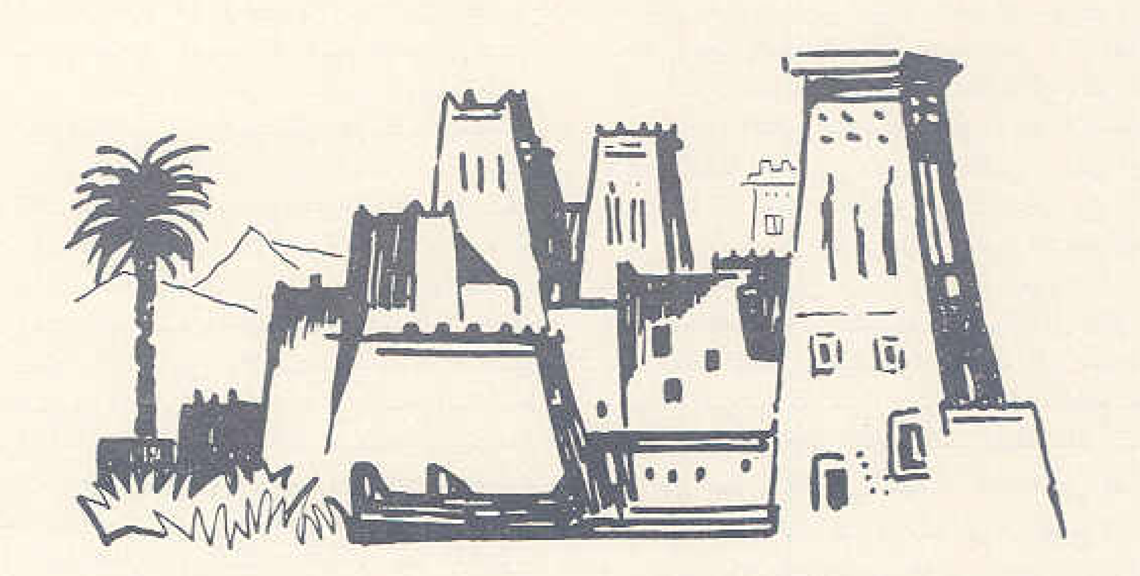
واستطاع نفر من مجتمعنا ، ان يتسلل الى التهام بعض ما على مائدة الاجنبي ، فاخذوا اللغة ، ولكن حيل بينهم وبين محاولة استعمالها اداة للثقافة ، وذرا للرماد فى الاعين اخذ المستعمر من هؤلاء النفر عددا للوظائف الحكومية ، برغم جهلهم بالثقافة ، ولكنه لم ياخذ من اولئك المتعلمين فى المعاهد الوطنية من يشغل

وظيفا ، حتى وان كان منهم ، من استطاع ان يكون ثقافة سليمة متينة ، لا لعذر لدى المستعمر ، الا، لكون ذلك المتعلم يجهل لغة الثقافة ، اما لغة الثقافة هذه ، فهي الفرنسية او الاسبانية ، ومتعلمها هو المثقف ، حتى وان كان لا يقرأ بها ، الا جرائد الصباح ، ونشرات ادارة الحماية ، وتقارير المخابرات ضد سلامة مجتمع المواطنين ، ومن هنا بدات العقدة .

توهم المتعلمون بالفرنسية او الاسبانية انهم فعلا، حصلوا على ثقافة العصر ، وتوهم المتعلمون بالعربية انهم ليسوا على شيء ، يبرر ذلك لدى نفسياتهم انهم دائما في المؤخرة ، يدخلون ادارة فلا يتفاهمون مع المشرفين عليها ، يكتبون كتابا او يتلقونه فيحتاجون دائما فيه الى مترجم، فاحسوا بانهم وضعوا على الرف، ولما كان الحاكم في كل زمان ، يستطيع ان يوهم المحكوم بانه هو الاقوى ، وكان المحكوم في كل زمان ايضا يقتفي اثر الحاكم ، فان الذي توهمه جل المثقفين بالعربية في بلادنا ، هو ان الفرنسية او الاسبانية هي لغة العلم الحديث ، وان من لا يعرفهما ، اقل مستوى وكانت تصرفات الذين يتحدثون ويقراون بغير العربية ، تنم عن مدى غرورهم ؛ وكان يسندهم منطق الغلب للاقوى فاثروا نفسيا في المثقفين بالعربية وبدات العقدة النفسية تدب وتبدا الى نفسية اصحاب التعليم القومي ، وعندما اشتدت كانت شعورا بمركب النقص.

ـ للحديث صلة ـ

الرباط : جعفر الطيار الكتاني



العالم العربي ومستقبل اسرائيل

للاستاذ المهدي البرجالي

ان مرور اكثر من ثلاث عشرة سنة على قيام النظام الاسرائيلي في فلسطين يجب أن يكون كافيا لتطوير مفهومنا الكلاسيكي المالوف عن المقاومة ومقتضياتها ، وحافزا لنا على الشعور بضرورة توسيع نظرتنا الى هذه المقاومة والسعي في تطويرها على شكل يضمن مراقبة ادق واحكم لنشاط الدولة الصهيونية ومظاهر نموها الذاتي ، وامتدادها الخارجي بمجموع القدرات والممكنات التي تتوافر لها ، والنفوذ بعد ذلك الى تحديد القوى الايجابية الكامنة في هذه المقدرات والممكنات .

لا مشاحة في ان الوجود الاسرائيلي الماثل في فلسطين ـ يعد في حسبان المراقبين المحايدين غير المتأثرين ـ من كثرة الظواهر السياسية تأثيرا على منطقة الشرق الاوسط واستقرار الاوضاع العامة في ربوعه . وتنبني هذه الملاحظة على اعتبار ان طبيعة الوجود الاسرائيلي ومتطلبات بقائه واستمراره لا يمكن ان تكون متفقة مع الاحوال الطبيعية التي تتأكد في ظلالها مفاهيم المعقولية والمشروعية بكل ما لها من اشكال وصور سياسية واجتماعية وغيرها ، بل ان نوعية الوجود الاسرائيلي والاوضاع الخاصة المنبثق عنها تقتضي في سبيل الحفاظ عليه وضمان ثباته واستمراره . الاعتماد على حالات مصطنعة واوضاع مفتعلة . يحوطها الغموض والريب والالتواء ، وتقوم ـ في الدرجة الاولى ـ على وسائل المدافعة والمزاحمة والتوغل المستند الى روح التهديد المباشر وغير المباشر .

وهذا التهديد الذي يشكله وجود اسرائيل قد اتخذ بالفعل ومنذ سنة 1948 اشكالا مؤسية قاتمة كان من اللازم ان تفضي الى ما افضت اليه من مشاكل سياسية دولية معقدة لم تفتأ تغمر جو الشرق الاوسط وتضفي عليه رداء من البلبلة وعدم الاستقرار ، غير ان مجموع هذه التطورات التي نشأت عن قيام الواقع الاسرائيلي الجديد في المنطقة والحقائق التي اسفر عنها ، هذه التطورات والحقائق ، قد اصبحت الآن اكثر ارتباطا بالماضي منها بالمستقبل ، بل ان بعض مظاهرها قد غدت منفصلة انفصالا نهائيا عن الماضي ولم تعد تشكل في جوهرها الا مجرد اصداء لقصة الصراع الطويل بين هذه القومية العربية المنبعثة وبين مختلف القوى التوسعية الدولية في عالم اليوم، ان احداث الماضي القريب قد غدت اذن مجرد عبر وعظات اكثر من اي شيء آخر ولم تعد بالطبع تعكس صورة التهديد القائم الذي كانت تمثله منذ سنوات لكن هل يعني ذلك ان التهديد الاسرائيلي قد اصبح اخف وطأة مما كان عليه في السابق ؟ بالطبع لا ، فهناك الى جانب ذكريات الماضي المرير بوادر واحتمالات تهديدية اخرى ناشئة عن امتداد البقاء بالدولة الصهيونية في صميم منطقة الشرق الاوسط ، واستمرار قيامها ووجودها بكل ما ينطوي عليه هذا الاستمرار والوجود من تعقيدات ومضاعفات .

وهذه التهديدات التي تمارسها اسرائيل باستمرار تكون في الواقع عنصرا هاما من عناصر المشكلة الدولية العامة بالشرق الاوسط وتتداخل عواملها وتفاعلاتها مع كثير من الاتجاهات المريبة التي اتخذتها هذه المشكلة في الماضي او يمكن ان تسلكها في المستقبل .

واذا اشرنا الى التهديدات الاسرائيلية ، واتجهت اذهاننا الى تصور المخاطر التي تنطوي عليها ، فانه سرعان ما تمثل امامنا وضعية جيش اجنبي كامل الاستعداد كالجيش الاسرائيلي الذي يرابط بوحداته وجموعه في جزء هام واساسي من عالمنا العربي وتتوافر له امكانيات العدوان السافر وغير المباشر ، وذلك نتيجة لوجوده مرتبطا بتوجيه سياسي تسلطي ، تحدوه اهداف توسعية امتدادية ، وتذكي عزمه مقاصد اكتساحية ، هذا بالاضافة الى ما هو مهيأ لهذا الجيش من وسائل التسلح الهجومي بمختلف اصنافه وانواعه وما ينعم به من تواطؤات دولية واسعة النطاق تمتد شبكاتها المعقدة عبر القارتين الامريكية والاوربية .

والتهديد الاسرائيلي يتمثل لنا ايضا فيما تبديه السلطات الصهيونية من حرص على تحقيق اكبر قسط من التوسع الاقتصادي والتبادلي والفني والمالي عبر القارتين الافريقية والآسيوية .

ان عالم الدول النامية في آسيا وافريقيا هو عالم زاخر بالامكانيات البكر من كل نوع ، طافح بمصادر الطاقة والقوى الطبيعية على اختلاف مصادرها وصلاحياتها ، متهيىء لاستيعاب الانتاج والتنمية بكل فروعها وتشعباتها ، متفتح ـ كسوق عالمي ضخم ـ لاستقبال واستهلاك ثمرات النشاط الصناعي والاقتصادي القائم على اسس هذه المشاريع .

والتطورات السياسية والدولية الهامة التي افضت الى تصفية النظام الاستعماري القديم وقيام اوضاع سياسية جديدة مرتكزة على اساس الحكم القومي في اغلبية ارجاء القارتين الملونتين ، هذه التطورات قد كان من بين نتائجها ان ساعدت اسرائل على استشراف آفاق جديدة للامتداد والتوسع الاقتصادي واستدراج كثير من الحكومات الافريقية والاسيوية الى احتضان بعض المشاريع الاقتصادية الاسرائيلية المقترحة تتيح لهذا التوسع والامتداد ان يبلغا مداهما . ولا شك ان استمرار هذه المظاهر وتطورها من شانه ان يشكل تهديدا مباشرا للمصالح العربية في افريقيا وآسيا سواء من الناحية السياسية او الاقتصادية . والى ذلك فان التهديد الاسرائيلي يتجلى لنا في صور اخرى عديدة غير هذه ، يتجلى فيما يحدثه وجود هذه الدولة الواغلة من تاثير على استقرار الاحوال السياسية والدولية بقطاع الشرق الاوسط ومنطقة المتوسط الشرقي ، وما تثيره اتجاهاتها الملتوية الغامضة من ارتجاجات وتعقدات سياسية بهذا القطاع ، ذلك ان واقع الكيان المنبثق عن قيام اسرائيل والملابسات السياسية والدولية والاقتصادية والاجتماعية المعقدة التي تحيط حتميا بوجوده ، هذا الواقع المبهم ، وهذه الملابسات الملتوية من الطبيعي ان تكون لهما انعكاسات حقيقية على منهج السلوك السياسي الاسرائيلي ، والاسلوب الذي تتقفاه هذه الدولة في ممارسة نشاطها السياسي والدبلوماسي ، والطريقة التي تنهجها في تعاملها الدولي وتفاعلها مع تطورات الاحداث المتلاحقة على الصعيد العالمي بصورة عامة وفي منطقة الشرق اولاسط بصفة اخص .

وليس هناك من ريب في ان التواءات التخطيط السياسي الاسرائيلي وانطواءه على عناصر تآمرية وتسللية بارعة واستناده اساسا الى جملة من المعطيات المبدئية ذات الصبغة المكيافيلية المعقدة ، لاشك في ان هذا التخطيط السياسي يقوم كعامل رئيسي في استمرار بعض حالات الارتباك الدائم في منطقة المتوسط الشرقي ومظاهر عدم الاستقرار العام الذي تسود بعض ربوعه .

ان الكثير من التداخلات الدولية التي تعاني منها هذه المنطقة ، والتي تتخذ احيانا صورا سافرة واحيانا اخرى اشكالا مقنعة ، هذه التداخلات تسهم فعليا في تعقيد الاحوال العامة بالشرق الاوسط ، ومن الجلي ان السياسة الاسرائيلية في الحقل الدولي والاقليمي تستثير بطبيعة اتجاهاتها ومراميها مثل هذه التداخلات والتعقيدات ، اما تعليل ذلك فيتجلى في حرص اسرائيل على اصطناع اجواء البلبلة والغموض في المنطقة العربية التي تجثم على جزء منها ، وذلك باعتبار ان هذه الاجواء تؤثر ـ الى حد بعيد ـ في تعزيز بوادر التسلل السياسي عبر دول هذه المنطقة، وتركيز عمليات الحرب النفسانية بين ربوعها بشكل دائم ومستمر .

ان مظاهر التسرب الاسرائيلي في المنطقة تمتد ـ في الواقع ـ على ابعاد مختلفة وواسعة ، وتشكل في مجموعها تهديدا اساسيا وبعيد الخطورة يستهدف المستقبل القريب والبعيد للامة العربية .

ونحن على هذه الرقعة الارضية الشاسعة الممتدة من الخليج الى المحيط يتوافر لنا ـ بالفعل ـ بعض الادراك والوعي لحقائق الواقع الاسرائيلي، وما يجسمه من احتمالات ذات خطورة متناهية تمس اهدافنا وغاياتنا ، ومطامحنا في الوجود والاستقرار والنمو والتطور ، وتتوافر لنا ايضا ارادة قوية مشتركة تضمنا على « القول » بوجوب مجابهة هذه الاحتمالات ومواجهة ما تنطوي عليه من تعقيدات ممكنة ، وهذه الارادة المبدئية الجماعية قد كانت بالفعل اساسا لحدوث هذا التطور النسبي على مفهوم مقاومتنا للتوسع الاسرائيلي فكان لنا من ذلك سبيل الى اصابة قدر من النجاح في تحديد النطاق حول هذا التوسع ، وعزل الميادين التي يمتد عليها عزلا جزئيا او شاملا ، ومن مظاهر ذلك :

1 ـ احكام حلقات الحصار الاقتصادي حول الدولة الصهيونية وذلك بصورة ـ وان كانت محدودة ـ الا انها ذات فاعلية وتاثير لا تنكر اهميتها .

2 ـ تحديد المجال الذي يمتد عليه نشاط هذه الدولة في المضمار الدولي والعالمي وتدمير كثير من عناصر التخطيط السياسي التوسعي الذي تعتمده في هذا السبيل .

3 ـ اجبارها على البقاء باستمرار داخل دوامة الحرب والتاهب للحرب سواء على الصعيد النفساني او العملي واضطرارها الى استنفاذ المزيد من طاقاتها وممكناتها المالية والاقتصادية والتنظيمية من اجل هذا التاهب وفي سبيل احكامه . ان ظواهر المقاومة العربية هذه تمتد ـ كما تمكن ملاحظته ـ على جوانب حيوية وهامة ، ان لم تكن تنال من جوهر الاساس الذي يقوم عليه بناء اسرائيل ، فانها تمس ـ في الوقت الحاضر على الاقل ـ قدرا مهما من المصالح الاسرائيلية الضرورية في ميادين السياسة والمال والاقتصاد ، وتسهم ـ علاوة على ذلك ـ في تجميد بعض الامكانيات التي تتوافر للدولة الصهيونية في مجال العلاقات الدولية العامة .

غير ان مرور اكثر من ثلاث عشرة سنة على قيام النظام الاسرائيلي في فلسطين يجب ان يكون كافيا لتطوير مفهومنا الكلاسيكي المألوف عن المقاومة ومقتضياتها ، وحافزا لنا على الشعور بضرورة توسيع نظرتنا الى هذه المقاومة التي يتوقف عليها استمرار وجودنا الدولي الفعال ، والسعي في تطويرها على شكل يضمن مراقبة اكثر دقة وتنظيما ، واشد فاعلية وعمقا لنشاط الدولة الصهيونية ومظاهر نموها الذاتي وامتدادها الخارجي بمجموع المقدرات والامكانيات التي تتوافر لها ، والنفوذ بعد ذلك الى تحديد القوى الايجابية الكامنة في هذه المقدرات والامكانيات .

ان الدولة المقامة في عقر الوطن العربي ـ على الرغم من عدم طبيعية الاساس الاقتصادي والديمغرافي والسياسي الذي ترتكز عليه فانها ـ مع ذلك تعتمد بعض الامتيازات الهامة التي تتهيا لها ، والتي هي نتيجة حتمية لطبيعة تكوينها الخاص القائم على هذه الصفة غير الطبيعية ، ومن هذه الامتيازات :

1 ـ صفة سكانها ، واكثريتهم من اولئك الذين تم تهجيرهم على اساس برنامج منظم ومنهج مدروس يستهدف تزويد الدولة الجديدة باقوى العناصر الديمغرافية واكثرها ملاءمة لعمليات التطور والتوسع والانماء واوفرها استعدادا من الناحية الذهنية والتنظيمية والمالية وغيرها .

2 ـ ارتباطاتها شبه العضوية ببعض دول الغرب ذات الامكانيات الواسعة الضخمة ، كالولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا ، وعلاقاتها القوية المحكمة بدول اخرى لها اهميتها الاقتصادية والسياسية في القارة الاوربية والامريكية على الاخص.

3 ـ سيطرتها المعنوية على عدد من العناصر السكانية في كثير من بلاد العالم بحكم اصلية هذه العناصر واعتزائها جذريا الى السامية اليهودية ، وتاثرها بجواذب الحملات الدعائية التي يشنها الصهيونيون في هذا المضمار ؛ ولا شك ان ما يصل اسرائيل بهذه العناصر يكفل للدولة الصهيونية الحصول على عدد من المنافع السياسية والمالية والاقتصادية مختلفة الاهمية والقيمة .

4 ـ الوضعية الناشزة التي تعيشها اسرائيل في قلب الوطن العربي ، وعلى الرغم من ان شذوذ هذه الوضعية يعتبر حالة سلبية لا تحفل بالامكانيات

والاحتمالات الانشائية ، فان هذا الشذوذ مع ذلك من شانه ان يحدو بالسكان الاسرائيليين الى السعي الدائب للتغلب على ءاثار هذه الوضعية التي تحوطهم بالشرق العربي ، وذلك عن طريق الاعتماد على وسائل الانجاز المادي التقني فى مختلف الميادين ، واستغلال الفرص التي تتوافر لهم فى مجال التعاون والتواطؤ الدولي ومضاعفة عمليات التسلل العلمي والاقتصادي على اختلاف درجاته ونسبه ، والاستفادة من كل ذلك فى اصطناع نوع من التوازن فى الامكانيات التي تتوافر لهم من جهة ، وللعالم العربي الشرقي من جهة اخرى.

والواقع ان المسيرين الاسرائيليين يغالون كثيرا فى تقدير قيمة هذه الامكانيات التي تتوافر لهم ، وهم يركنون الى الاعتماد على بعضها وذلك الى درجة غريبة تتجافى والمنطق السليم ؛ غير ان هؤلاء المسيرين لابد ان يدركوا ــ معذلك ــ ان الاتكال على مشاعر الجاليات اليهودية العالمية، والاستناد الىمظاهرة الدول الاجنبية العاطفة لا يمكن ان يستمر الى ما لا نهاية له ، وان المبالغة فى تقييم اهمية العون الخارجي وتأثيره على مستقبل الدولة اليهودية ليس من الحكمة والحصافة فى شيء ، ولهذا فقد كان من الطبيعي ان يزداد حرص اسرائيل على توسيع ءافاق نشاطها التطوري فى بعض الميادين الحيوية الضرورية ، وكان من المعقول ايضا ان يشتد ولعها باستكمال بعض عناصر النمو الداخلي فى صوره المختلفة المتعددة حتى يكون لها من ذلك سبيل الى توفير المزيد من الطاقة التي تمكنها من الاستغناء عن العون الخارجي فى المستقبل وتيسر لها وسائل الاكتفاء الذاتي فى مختلف الميادين ، ولا يقتصر اهتمام المسؤولين الاسرائيليين ــ فى هذا المجال ــ على النواحي التقليدية المألوفة من مشاريع التوسع والانماء ، بل انهم يبدون ــ الى ذلك ــ قدرا كبيرا من الحرص على تطوير مجموع القطاع الاقتصادي العام وادماجه فى القطاع العلمي المختبري بكل ما يتصل به من ميادين البحث والاستكشاف والابتكار ، وهذه الناحية بالذات ــ ناحية التطور العلمي الحياتي فى اسرائيل هي من ابرز نواحي التهديد الذي تشكله هذه الدولة على مجموع البلاد العربية ، خاصة وان هذا التطور يكاد يتخذ شكل «تواطؤ» دولي منظم يستهدف احداث قدر من التفاوت فى الطاقة والاستعداد بين الدولة الصهيونية من جهة وبين مجموع دول الشرق الاوسط العربي من جهة ثانية ، ولذلك كان من اللازم ان تصبح الاوساط العلمية فى اسرائيل وهي تكاد تلتقي فى خط واحد من التعاون والتساند مع الكثير من الهيئات والمؤسسات العلمية فى فرنسا وغيرها ، وليس من غريب الصدف ان ينفسح اطار هذا التعاون والتساند ويتسع مضمونها اتساعا بعد ازمة السويس وفشل الحملة الثلاثية على مصر ، ومن الطبيعي ان تفضي الجهود الدولية فى ميدان هذا النوع من التعاون مع اسرائيل الى بعض نتائجها المتوقعة هذه النتائج التي كان من ابرزها فى الفترة الاخيرة : النجاح فى اقامة مفاعل ذري فى صحراء النقب ، مع ما يمكن ان يكون هناك من ارتباط بعيد المدى بين تنصيب هذا الجهاز وبين الاتجاهات المريبة التي يتبناها الاسرائيليون ويقيمون على اساسها قواعد وجودهم واستمرارهم بالمنطقة العربية فى الشرق الاوسط .

وقد اعلنت السلطات الاسرائيلية ــ منذ عدة اشهر ــ عن نبا التوصل الى طريقة علمية حديثة تمكن الدكتور جرجي على اساسها من عزل العناصر الكيميائية التي تسبب ملوحة مياه البحر ؛ وغدا فى الامكان اعتماد هذه الطريقة فى اعذاب كميات لا حصر لها من مياه البحر الابيض المتوسط الذي تتوفر اسرائيل على خط طويل من شواطئه .

وقد استغلت الاجهزة الدعائية الاسرائيلية فرصة الاعلان عن هذا النبا ، فكان لها من ذلك سبيل الى توسيع نطاق حملاتها السيكولوجية المنظمة ، والاغراق فى اصطناع التظاهرات الدعائية المحبوكة التي تستند اليها كثيرا فى تركيز وجودها الدولي بمنطقة الشرق الاوسط .

وليس هناك من التفاصيل الدقيقة ما يمكن ان يبلور فى الاذهان صورة واضحة عن القيمة العملية لجهاز الدكتور جرجي الباحث الاسرائيلي ، وقد تكون نسبة كبيرة من هذه القيمة ذات فاعلية دعائية اكثر منها علمية تطبيقية .

وان الاساليب النفسانية التي تم الاعتماد عليها فى الاعلان عن هذا الجهاز قد توحي بذلك وتؤكده بعض الشيء ، وقد ذهبت المصالح السيكولوجية الاسرائيلية فى استغلال هذه الاساليب الى حد الادلاء بمدعيات غريبة تستهدف ابراز حكومةالجمهورية العربية المتحدة فى مظهر المشدوه من طرافة جهاز الدكتور جرجي ، الحريص على الاستفادة منه ، والانتفاع به فى تنفيذ برامج الري واستصلاح الاراضي الصحراوية .

وهناك من الدواعي ما يبرر الاعتقاد بان الجهاز المعلن عنه قد لا يكون موازيا في قيمته الفعلية لتلك الهالة الدعائية التي اجتهد في احاطته بها بصورة مضجرة .

وقد عنيت الاوساط المسؤولة في حكومة العربية المتحدة بابراز حقيقة الفعالية العملية التي قد تفترض لجهاز الدكتور جرجي ، مؤكدة – في نفس الوقت – بان مشاريع الري العربية لا توجد مطلقا في حالة افتقار الى استخدام نماذج عالية من هذا النوع وذلك بالنظر الى ضخامة الموارد المائية العذبة التي تتوافر لكثير من لبلاد العربية ووجود الوسائل الضرورية التي تمكن هذه البلاد من تخطيط سياسة مائية ناجحة وبعيدة المدى .

وهذا صحيح الى حد بعيد ، لكن القيمة التي يضعها الجهاز المائي المعلن عنه في اسرائيل – ليست – في جوهرها – قضية افتقار العرب الى الانتفاع بهذه الوسيلة المبتدعة – ان صح ان لها قيمة عملية – او استغناءهم عنها ، بل ان القضية الاساسية تتمثل فيما تحرص عليه اسرائيل من ايجاد الوسائل الكفيلة باستصلاح اراضي النقب وامكانية تحويلها الى مناطق زراعية منتجة، وبالتالي تهيىء قاعدة جديدة لاستيعاب اعداد اخرى من المهاجرين والواردين بكل ما يحدثه ذلك من مضاعفات سياسية وعسكرية واسعة المدلول. ان ما تبديه اسرائيل من كلف بتحويل مجرى مياه الاردن قد يكفي للبرهنة على ان الدولة الصهيونية لا تزال تعاني – فعلا – من معضلة المياه وما يتصل بها من مشاكل السقي واستصلاح الاراضي القاحلة التي تشكل جزءا كبيرا وهاما من فلسطين المحتلة ، واستمرار وجود هذه المعضلة – كما تعكسها تصرفات اسرائيل – يمكن ان يوحي – في الواقع – بان الجهاز المنسوب للدكتور جرجي لا يزال كثيرا دون المستوى الذي يفترض له كاداة كافية لتنفيذ برامج التوسع الزراعي ، هذه البرامج التي تعد من بين القطاعات الهامة في مجال النشاط الاقتصادي الاسرائيلي .

غير ان امكانية التسليم بهذه الملاحظات لا تحجب – في الواقع – بواعث التساؤل عن الطريقة التي يقوم على اساسها تركيب هذا الجهاز ، وهل من الجائز ان تؤدي – في الاجل البعيد – الى آفاق هامة من حيث مناهج التطبيق واساليب الانتفاع بها على نطاق واسع جدا ، ان طبيعة الارتباطات التي تصل اسرائيل بكثير من الاوساط الصناعية والعلمية بالغرب لا تبيح الجواب على مثل هذا التساؤل بالنفي ، فمن الطبيعي جدا ان يشتد حرص السلطات الصهيونية على الاستفادة من نتائج هذه الارتباطات التي تتوافر لها بكل سهولة ، ومن المعقول كذلك الا يتوانى الاسرائيليون – والحال هكذا – في استنزاف اكبر قسط من المساعدات العلمية والفنية التي تتيحها لهم الاوساط الموالية في الغرب من اجل تحسين فاعلية الطريقة المعزوة للدكتور جرجي وتجويد اساليب استخدامها بصورة اكثر دقة واوفر جدوى وكل ذلك في سبيل العمل على تعديل الوضع الزراعي في صحراء النقب ، وبالتالي تطوير الوضع الاجتماعي والديمغرافي في هذه البقعة العربية الشاسعة مع كل ما يؤدي اليه ذلك من تجميد لقضية اللاجئين ، وتنشيط لحركات التهجير الدولي الى القطاع المحتل من فلسطين .

ان علينا – امام هذه الآفاق الجديدة الباعثة على الاهتمام – ان نعنى بوضع مجموع قضية التوسع الاسرائيلي في اطارها الحقيقي الذي يعكس الصورة الواقعية المتكاملة لمظاهر هذه القضية ، وما تحدثه من تاثيرات على مصالحنا القومية والانسانية وحقوقنا الدولية والقانونية ومطامحنا في العودة واعادة الفتح والاستقرار .

الا انه من غير الممكن مطلقا ان نستطيع الاحاطة بجوانب هذه القضايا المعقدة الا على اساس النظر الى واقعنا العلمي الانتاجي نظرة موضوعية مجردة ، واستيعاب مواطن النقص الهائل الذي يتمثل في هذا الواقع ويساهم في رسم ملامح الحياة العربية بكل ما تعكسه من مظاهر التخلف بل والبدائية احيانا .

الا ان الاوضاع العلمية التجريبية في الوطن العربي تفتقر – ولا شك – الى كثير من عمليات التطوير والتركيز والتحويل لان هذه الاوضاع لا تزال بحق في مستوى لا يتناسب وحقائق الواقع السياسي والاقتصادي الذي يكتنف وجود العرب الدولي في عالم اليوم ، وبالاخص ما يثيره استمرار الوضع الصهيوني في فلسطين من مشاكل ومعضلات تمتد آثارها على ابعاد مختلفة وشديدة التعقيد .

وليس المهم في الامر السعي في توقيف وعرقلة النشاط العلمي الدولي في اسرائيل ، فالقضية هنا لا يمكن ان تكون قضية حصار او تطويق – كما هو

الشان بالنسبة للقطاع الاقتصادي من حياة الدولة الصهيونية ومحاصرة العرب له بجميع الوسائل الممكنة، وانما هي قضية تلاؤم مع المقتضيات الخطيرة التي يخلقها الوجود الصهيوني في فلسطين ، وتحتمها التطورات العالمية المعاصرة ، والحرص على الاستجابة لمقتضيات هذا التلاؤم هو سبيلنا ابدا الى مواجهة الواقع الاسرائيلي المائل بما يشكلهمن تحديات سياسية واقتصادية وغيرها ، وذلك عن طريق التطور الدائم للقواعد التي نعتمدها في مجابهة هذا الواقع وتلك امثل الطرق للعمل على تحديد خطورته وتجميد امكانياته ومحاولة تصفية وجوده من الاساس . ولناخذ قضية الحصار الاقتصادي العربي كمثال ، فهذا الحصار من اقوى الوسائل التي نستند اليها في مقارنة نمو وامتداد النظام الصهيوني القائم في فلسطين ، ويقوم مبدا هذا الحصار في الدرجة الاولى على مراعاة العامل الاقتصادي في تطور اسرائيل ، وبالنتيجة محاولة تحديد نموه وترعرعه ، ووسيلتنا الاساسية في ذلك هي ممارسة انواع من الضغط المباشر على الحكومات والهيئات والشركات الاجنبية التي تقدم على التعامل مع الصهيونيين ، والتلويح لها بامكانية اللجوء الى تطبيق نظام من المقاطعة ضدها ينسحب على مجموع علاقاتها مع العالم العربي اذا لم تمتنع عن الاستمرار في توثيق روابطها من اسرائيل، وبالفعل فانالكثير من الشركات العالمية تتحاشى لحد الآن جانب التعامل مع الدولة الصهيونية خشية الوقوع في محاذير الاصطدام مع البلاد العربية ، والتعرض لنتائج مقاطعتها الصارمة ، ومن الجلي ان هذه الشركات لا تبني اختيارها في هذا المضمار الا على اساس الموازنة بين مصالحها في البلاد العربية ، وما يمكن ان يكون لها من مصالح ناشئة عن التعامل مع اسرائيل ، والاوضاع الحالية في الشرق الاوسط تتحكم كثيرا في تحديد اختيار الكثير من الشركات التي تتنكب سبيل الاتجار والتبادل مع الاسرائليين مؤثرة على ذلك مصالحها القوية الواسعة في الوطن العربي . غير انه من الضرورى ان ندرك جيدا ان هذه الاوضاع الملائمة لمقتضيات المقاطعة العربية يمكن ان تتعرض لبعض التقلبات في المستقبل البعيد ، والعامل الاساسي في ذلك هو حالة توازن القوى الاقتصادية والانتاجية والطاقية بين الاقطار العربية ومحور الصهيونية العالمية في فلسطين . اما القاعدة الرئيسية التي يمكننا ان نرتكز عليها في هذا المضمار فتتجلى في المحافظة على نسبة التفوق الاقتصادي والعلمي العربي ، والحرص على مضاعفة عناصر هذا التفوق ، وتركيز اساسه حتى يمكن بذلك التاثير على اتجاهات الاوساط الاقتصادية الدولية ويسهل استدراجها الى الاستمرار في مقاطعة اسرائيل ، والاحجام عن التعامل في مختلف الميادين ، وبذلك فقط يجوز لنظام الحصار العربي ان يحافظ على فاعليته القوية ، وقدرته على تطويق الدولة الواغلة في فلسطين ، والاخذ بتلابيب نموها الاقتصادي والانتاجي بشكل جدي وعميق .

ان هناك قدرا كبيرا من الترابط والتفاعل بين مقتضيات التقدم الاقتصادي في بلد من البلدان وبين تطور البحث العلمي والمختبري في ربوعه ، ومن نافلة القول التاكيد على الصلة الوثيقة — في هذا المجال — بين المعامل والمختبرات والحقول في مضمار الاقتصاد المتطور عصريا .

ولهذا فليس ثمت من داع الى التاكيد بان الاوضاع العلمية في العالم العربي توجد كأساس ضروري لامكانية تحقيق الاقتصاد المنشود ، والتغلب على عوامل النمو والامتداد الصهيوني في الشرق الاوسط ، وبالتالي ربح المعركة بين القومية العربية والصهيونية الدولية تلك المعركة التي تمتد على كثير من الجبهات ، وخاصة جبهة الصراع من اجل النمو الاقتصادي المؤدي الى اكتساب القدرة على قهر العدو وابتلاعه .

ان من اللازم اذن — لكي يكون النضال العربي ضد الصهيونية مركزا ومثمرا — ان نعنى في جميع انحاء الوطن العربي بتطوير الاداة الاقتصادية والانتاجية في جميع انحاء هذه البلاد ، واخضاع الحياة المادية في مجموعها لنظام صارم من التخطيط والتنهيج الدقيقين على اسس علمية وتكنولوجية حقيقية . هذا الى العمل على توسيع آفاق البحث العلمي الابتداعي وتنظيم النشاط المختبري تنظيما يساعده على ان يصبح عاملا ايجابيا وفعالا له اثره في تقدم الحياة العربية العامة بالنسبة لكثير من الميادين والقطاعات ومن النتائج التي يمكن استحصالها من كل ذلك :

1 — تعزيز ومضاعفة اسباب التحول الاجتماعي بمختلف مراحله وصوره ونتائجه في مختلف ربوع الوطن العربي .

2 — « ابتلاع » قيمة التطور العلمي الاستكشافي الذي يمكن ان يحققه التعاون الدولي في اسرائيل ، وتجريد هذا التطور من محتواه التهديدي الناشيء عن امكانيات التفوق والرجحان .

3 ـ مسابقة العوامل والمؤثرات التي تبيح لاسرائيل مجالا اوسع للبقاء والاستمرار، وتيسير الوسائل المادية والتنظيمية العربية التي تعين على اختصار قوة هذه العوامل، واختزال ما تنطوي عليه من طاقات وامكانيات .

ان شعاعات من الوعي القوي الفعال قد استطاعت ـ بحق ـ ان تتسرب الى عقلية بعض الاوساط العربية المسؤولة في هذا المضمار، وقد بدا ـ كنتيجة لتركز هذا الوعي ـ ان بعض البلاد العربية قد طفقت تتخذ من مشاريع التوسع العلمي والاستكشاف المختبري نهجا منظما متناسقا يجوز الاعتماد عليه كاداة للتطور الذاتي اولا وكوسيلة لتطوير اساليب العمل النضالي ضد الوجود الاسرائيلي من جهة اخرى .

ومن مظاهر هذا التطور العربي ما اخذ يبدو على حكومة الجمهورية العربية المتحدة من مزيد الاهتمام بمناحي البحث العلمي والمختبري، وبوادر الحرص على تنظيم مناهجه وتنمية طاقته الابتداعية الايجابية . وكان من آيات العناية المبذولة في هذا المجال انشاء وزارة فنية خاصة بشؤون العلم والبحث العلمي تستهدف تنوير الاوضاع العلمية، واخضاعها لمقتضيات التطور الصناعي والتكنولوجي والاجتماعي في ربوع الجمهورية العربية المتحدة، هذا الى تعدد المنشآت ذات الصبغة العلمية والاستكشافية في كثير من مرافق الحياة ومناحيها كمركز البحوث القومي الذي يضم اكثر من ثلاثين وحدة علمية، وتتوافر له شبكات من التجهيز الفني العالي تتصل بميادين الكيمياء والفيزياء وعلوم الحياة وغير ذلك، والمؤسسة العامة للطاقة الذرية التي تمتلك في ضاحية القاهرة مختبرا للفزياء النووية ومفاعلا نوويا وقسما للنظائر المشعة والكيمياء ذات الطبيعة النووية بالاضافة الى مراكز علمية متعددة ترتبط بشؤون الزراعة والطب وغير ذلك من فروع التخصص العلمي التطبيقي في مختلف الحقول والميادين . والواقع ان مثل هذه المظاهر من التطور العلمي التطبيقي في النطاق القومي العربي تنطوي بالفعل على مدلولات هامة في مجال الانبعاث العام الذي تتدفق تياراته في شرايين الامة العربية الا ان الذي يبدو واضحا اكيدا ان انهيار سياسة التخطيط العلمي هذه في اطار اقليمي وبحدود الابعاد ـ بالرغم من توافر بعض الوسائل والممكنات ـ لا يمكن ان يؤدي الى التوصل لانجازات عربية عملاقة ضخمة تكون في مستوى التحدي العلمي والحضاري الذي تجسمه ظواهر التطور العالمي المعاصر، وتمتد مفاعيلها على مجموع ارجاء الوطن العربي مشرقه ومغربه .

وبعد ان تطورات الواقع العالمي حولنا من شانها ان تؤكد مدى الاهمية التي يكتسيها التطور العلمي التطبيقي في وطننا العربي، وذلك في حالة ما اذا تم اخضاع ميادينه لتخطيط عقلاني مشترك يلائم الحاجيات العربية في مختلف الميادين الاجتماعية والاقتصادية والعقلية وغيرهما ويكون جديرا باستيعاب المشاكل العربية المعاصرة في صورها الانسانية والمادية، هذا الى كفايته في الاحاطة بالقدرات والممكنات المتوافرة في العالم العربي وضبط استقلالها فيما يكفل النهوض بالانسان العربي والارض العربية في مختلف الحقول والميادين، ومن ملاءمة الظروف ان هذا النوع من التعاون لا يجوز ان يصطدم بالتناقضات السياسية العربية الا اذا كان ذلك تحت تاثير بعض العوامل المفتعلة التي قد لا يوجد لها اي مبرر معقول .

وهذه الحصانة التي تتوافر لمبدا التعاون العلمي العربي امام التعقيدات السياسية المختلفة هي ـ في واقع الامر ـ ميزة عظيمة جدا تخول السير في طريق هذا التعاون الى مدى بعيد حقا، والارتكاز عليه في ضمان فاعلية وتناسق التطور الاقتصادي والتكنولوجي والدفاعي والانساني الذي قد يعرفه العالم العربي ـ مشرقه ومغربه ـ في غضون الاربعين سنة المقبلة اي قبل نهاية القرن الحالي (بمشيئة الله طبعا) فهل في الافق العربي ما يوذن بامكانية الاحساس ببعض عناصر التفاؤل في هذا المضمار ؟ قد لا يبدو ذلك شديد الاحتمال كثيرا ولكنه ـ مع ذلك ـ ممكن جدا على كل حال .

سلا : المهدي البرجالي

العدالة فى انجلترا

ابرهيم

للاستاذ محمد بن تاويت

المحاكمة المدنية The Civil Trial

حينما يحل اليوم المعين ، تزدحم قاعة المحكمة بالمحامين والشهود ، والذين لهم علاقة بالقضية ، وآخرين ممن يرغب فى الحضور ، كما يحضر مراسلو الصحف ايضا ، لان جميع القضايا بانجلترا، سواء منها المدني والجنائي ، تسمع علانية وبين العموم ..

ويوجد فى المحاكم القانونية للندن ، ومنها المحكمة العليا ، رواق للعموم ، اما فى اول الصف ، فيجلس المتهمون ووكلائهم ، ويخصص الصف الثاني لمستشار الملك او الملكة ، Queen's Counsel ثم ياتي الصف الذي يخصص للمحامين Barristers الذين ليسوا مستشاري الملك ويجلس الشهود والاقرباء والاصدقاء فى الصفوف الاخرى ، وفى جانب القاعة تقع اريكة يؤدي فيها الشهود شهاداتهم ، ويقابلها فى الجانب الآخر اريكة اخرى تخصص للمحلفين .

وكلا الطرفين فى النزاع له ان يطلب هيئة المحلفين ، الا ان الرئيس او المسجل Registrar هو الذي يقرر ما اذا كان لازما حضور المحلف اولا ، وفى بعض القضايا المدنية ، لابد من وجود المحلفين ، وهذه هي قضايا القذف ، والهجو ، ونكث الوعد بالزواج ، والاغواء لهتك العرض ، والسجن بغير موجب ، والمحاكمة الجائرة Malicious prosecution

ثم ان الصحفيين يكون لهم مكتب خاص ، وفى اعلى وسط القاعة عند نهايته وتحت الشعار الملكي Royal arms يجلس القاضي بمقعده المخصص له .

وهكذا ياتلف الجمع فينادي الحاجب «السكوت ، الرجاء السكوت» . ويخرج القاضي من غرفته التي تقع فى صدر المحكمة ، فيقف جميع الحضور اجلالا له ، ولما ياخذ القاضي مكانه يبتدىء السماع ..

وتتبع المحاكمة المدنية نفس الاجراءات ، وتخضع لكل الترتيبات التي تتبعها المحاكمات الجنائية ، فالمدعي المدني Plaintiff يكون مكان المدعي الجنائي Prosecutor والمدافع Defendant يكون مكان المتهم Accused ويبتدىء المدعي بعرض القضية فيذكر الاضرار ، او يذكرها محاميه بالنيابة عنه (وفى محاكم الاقاليم قد يقوم بذلك الوكيل Solicitor) ثم يدعو شهوده ليؤدوا شهادتهم فيما يقول . ثم يستنطق المدافع هؤلاء الشهود ، ثم يضع الدفاع قضيته بنفس الطريقة ، ويدعى شهود الدفاع ، ويختبرون ويستنطقون ، ثم يقوم المدافع او محاميه بالمرافعة الثانية لتعضيد قضيته وتقويتها .

وحينئذ يتكلم المدعي او محاميه مرة اخرى.

ونلاحظ انه فى جميع المحاكمات ، سواء منها ما كان مدنيا وما كان جنائيا ، ان المدعي يضع قضيته فى مرحلتين، فهو الذي يفتتح الدعوى وهو الذي يختتمها ، اما الدفاع فيقع جميعه فى مرحلة واحدة ، يتبع قسمه الاول باستدعاء الشهود ثم يتابع دفاعه ويزكيه بكلامه النهائي .

وهذا يمكن الدفاع من الفرصة ، حيث ان جميع دعواه قد القيت مرة واحدة ، بينما دعوى المدعي توزع على قسمين ، فتفقد بذلك بعض قوتها ، ومن ناحية اخرى تكون للمدعي الكلمة الاخيرة ..

فان كان هناك هيئة محلفين ، فى القضية المدنية، فان القاضي يوجه اليهم كلامه اخيرا ، بعد ما يختم مرافعته المدعي ، وذلك تماما كما هو الشأن فى القضية الجنائية ، فانه يقرر الحجج ويعتمد على الحقائق الهامة ، ثم يصرفهم اي المحلفين لينظروا فى فتواهم ، فاذا عادوا سالهم القاضي :

يا اعضاء هيئة المحلفين ، هل اتفقتم على فتواكم؟

نحن كذلك يا سيدي (وفى محاكم الاقاليم ، نحن كذلك يا صاحب الفضيلة)

هل انتم مع المدعي او مع المدافـع ؟

فان كان الجواب ، مع المدافع ، فان ذلك يكـون نهاية القضيـة ، الا ان كانت هناك دعوى فرعية

فان كانت هناك دعـوى فرعية ، او ان هيئـــة المحلفين كانت مع المدعي ، فان القاضي يوجه السؤال: على اي مبلغ ؟ فيقرر المحلفون هذا المبلغ . وهذا هـو الفرق بين القضايا الجنائية ، حيث ان هيئة المحلفين ليـس لها الا ان تقول : « مذنب » ، او « غير مذنب » والقاضي او المسجل هو الذي يقرر العقوبة . امـا في القضيـة المدنية ، فان هيئة المحلفين هي التي تقـــرر ــ معا ــ الذنب في احد الخصمين وماذا تكون عقوبته .

وحينما لا تكون هنـاك هيئة محلفين ، في القضية المدنية ، فان القاضي هو الذي يقرر الحكـم . لكـن القاضي ، بخلاف هيئـة المحلفين ، عليـه ان يبيـن تماما الشـواهد والعلل التي اعتمد عليها في اصدار حكمه ذلـك .

فان لم تتفق هيئة المحلفين على حكم ، فان المدعي يمكنه ان يطلب محاكمة اخرى، تكون فيها هيئة محلفين غير هـذه .

المصـاريـف

ان النظام المتبع في القانون الانجليزي ، ان المصاريف تكون تابعة لنتيجة الحكم ، ومعنى هذا ان الطرف الذي حكم عليه ، عليه ان يؤدي كل تكاليف القضية ، قضيته التي خسرها ، وقضيـة خصمـه الـذي حكم لـه ، والرئيس او المسجل هو الذي يقدر هذه المصاريـف المعقولة ، الا ان هذه المصاريف الرسمية (المصاريـف التي تؤدى ضريبة كما يدعونها) ربما تكون اقل بكثير من المصاريف الحقيقية ، اذ ربما يكون طرف النزاع او الطرفان معا قد استعملا الوكلان المعروفين باجورهـم المرتفعة ، وكذلك المحامون Barristers . كما انهمـا ربما يكونان قد انفقا اموالا كثيرة على الشهود ، حيـن حشدهم كحجج للقضية ، فيكون ذلك اكثر مما يقدره المسجل ، ويحسبه تقديرا معقولا . وعليه فالشخص الذي يسترجع جميع مصاريفه يعد نفسه محظوظا جداً، ومع هذا فان العدالة في انجلترا تجري في سرعة ، وفي بساطة ، وعدل متناهي الدقة ، فلم يقع مطلقا ان احدا ادعى ان قاضيـا او مسجلا يمكن ان يرتشي ، او ان يتأثر بالدولة في اي حال من الاحوال . .

والمصاريف في المحاكم الاقليمية اخف بكثير مـن غيرها في المحكمة العليا ، ولهذا فان الخصوم يتوقـون الى ان تسمع قضاياهم في المحاكم الاقليمية ، مـــا استطاعوا الى ذلك سبيلا . وفي جميع جهات انجلترا توجد هذه المحاكم الاقليمية ، وحتى في لندن نفسـها .

اختصاصـات محاكم الاقاليم

ان القضايا المدنية الصغيرة تسمـع بالمحاكـم الاقليمية ، اما القضايا الاكثر اهمية فتسمع بالمحكمة العليا ، اما في لندن او بالمحاكم الدورية وبهذه المناسبة يجب علينا ان تكون اكثر ضبطا ، فتبين مـاذا نعنـي بالقضايا الصغـرى ؟

ان كل قضية يكون فيها النزاع على ما قيمته اقل من 100 ليرة ، تعتبر قضية صغيرة ، فتسمع لـدى محاكم الاقاليم .

اما ان كان المبلغ المدعى به اكثر من 100 ليرة فان المدافع له ان يصر على عرضها لـدى المحكمة العليـا ، وهذا يكون سواء في العقود وفي الجنـح .

الا ان محاكم الاقاليم لا يمكنها ان تباشر قضايا القذف ، والهجو ، ونكث الوعد بالزواج ، والاغــواء لهتـك الاعراض .

وبالرغم من ان المصاريف تتبع نتائـج الحكـم في كثير من القضايا ، فان القاضي يمكن ان يخالف المعتاد فيامر بان يؤدي طرفاالنزاع هذه المصاريف، كل حسب ما ينوبه . فان كان المدعي في المحكمة يدعي بقضيته نكث اتفاق يؤدى فيه كتعويض خسارة اقل من 40 ليرة ، فـان المصاريف التي تنوبه لا توخذ من المدافع ، كمـا انه في الجنح لا توخذ منه ان لزم المدافـع اقل من 10 ليرات كغرامة .

الشهـود في القضايـا المدنيـة

ان اجراءات الشهود في المحاكم المدنية هي نفسها في المحاكم الجنائية ، ونفس القواعد حول القضايا التي تفضي اسئلة الشهـود فيهـا الى اسئلـة اخـــرى « Leading questions »

ويحلف الشاهد انه : « سيقول الحق ، وكـل الحق ، ولا شيء الا الحق » . ويقـول هذا علانيـة ، حينما يذهب الى منصة الشهود . فان اتضح انـــه ادى عن عمد شهادة زور، فانه يحاكم بتهمة خطيـرة ليمينه الشموس .

وكلا المدعي والمدافع يمكنه ان ياتي بالشهود ، وفى القضايا الجنائية ينتج وقع سيء اذا هما لم يفعلا ذلـك .

قسم ديوان المستشار The Chancery Division

جميع القضايا المدنية يمكن ان تسمع لدى الاريكة الملكية ، بالمحكمة العليا ، الا اذا كانت قضايا محاكم الاقليم الصغرى) وهناك قضايا خاصة مستثناة تحول على قسم ديوان المستشار ، وكذلك قضايا الوصية ، والطلاق ، والبحرية ، الا ان القاضي مع ذلك قد يسمع قضية الطلاق لدى المحكمة الدورية . ويقع قسم ديوان المستشار من المحكمة العليا فى نفس البناية (المحاكم القانونية) مثل الاريكة الملكية ، ونظريا يمكن ان يوتى باية قضية الى قسم ديوان المستشار ، لانه كما قد رأينا متفرع من اختصاص السيد المستشار لاقامة العدل To administer Equity ولكن بعض النزاعات يقضي فيها القانون بصفة خاصة ان تسمع لدى قسم ديوان المستشار دون غيره .

واهم القضايا التي تسمع بقسم ديوان المستشار هي ما يلـي :

وصية متوفـى بعقـار

قضايا الشركـة

جميع قضايا تسديد الرهن او استرداد العقـار المرهـون .

المطالبة بانجاز العقود (الاجراء النوعـي) .

جميع النزاعات حول الاطفال (ويعني هذا فى القانون الاشخاص الذين هم دون 21 سنة فى عمرهم)

قضايا الوصيـة ، والطلاق ، والبحريـة .

هذه الاقسام من المحكمة العليـا ، تتناول ثـلاث قضايا جـد مختلفـة

1 ـ فقضية الوصية تتناول صحة الوصيـة . وكل الوصايا يجب ان تكون مسجلة ، ومصادقا عليها من محاكم تحقيق الوصية ، وهذا التحقيق يقرر ما اذا كانت الوصية صحيحـة ، وصدرت قانونيا . والنزاع حول معناها يسمع فى قسم ديوان المستشار ، كما تقـدم .

2 ـ والطلاق ، كان من قبـل مائة سنة خلت ، ممكنا بواسطة حكم البرلمان ، ولكن المحاكم الكنسيـة استطاعت ان تمنـح وتقـر التفريـق Separation بين الزوج وزوجته بدون فسخ الزواج ، اما الآن فـان الدولة تستطيع ان تزوج ، وان تفرق ، وتطلق .

والتفريق يصدر عن المسجلين حماية للزوجـات المظلومات او الازواج وحينئذ يؤدي نفقة Livelihood احدهما الطرف المسيء ، كما يقع الطلاق لدى المحكمة العليا بقسم « الوصية ، والطلاق ، والبحرية ، » لمـا يلـــي :

الزنـى من الزوجـة او الزوج

القساوة الدائمـة

اختلال العقل الذي دام خمس سنوات

الهجـران « Desertion »

فكل هذه الدواعي تلزم الزوجة والزوج ، وكلاهما يمكن ان يطالب بالطلاق ، من اجل ذلـك .

3 ـ والبحرية ، فان المحكمة قد ورثت اختصاص السيد امير البحر الاعلى The Lord High Admiral الذي كان من اختصاصه ان ينتزع السفن من يـد المغتصبيـن (فى بعض الاحيـان مـن المتمرديـن او القراصنة) فيدها على اصحابها الملاك الحقيقيين . وان يطرد رؤساء السفن ، الذين يستوجبون ان يزالوا، وان ينهوا الخصام بيـن ملاك السفن المختلفين ، ويمكـن هذا القسم ان يباشر قضايا السفن الاجنبية ، ولكـن لا يمكنه ان يفعل ذلك بـدون مصادقة ممثلين للبـلاد التي ينتمي اليها اصحاب السفـن المذكورة .

كما انه يمكنه ان يفصل فى المنازعات التي تقـع حول جميع السفن التجارية ، فى انجلترا او ولز ، وله كل الصلاحية لسماع جميع الدعاوي بالضرر الواقع على اية سفينة من السفن المذكورة او شخص فيها ، سواء كانت فى البحر او البر او فى النهر بانجلترا اولز .

ولا سلطة له على السفن الحربية ، وكذلك سفن الملك او الملكة ، فلا يمكن ان تحجز مثلا ، وكل ما يقع من ضرر بواسطة السفن الحربية فان الاجـراء يكون بان ترفع دعوى على قائد السفينة ، كما ان هذا القسم يباشر القضايا المتعلقة باجر لانقاذ السفينة من الغرق، او الحمولة او انقاذ حياة ركابها ، وقد عطبت سفينتهم بالبحـر .

تطـوان : محمد بن تاويت

التشريح النفسي للطلاق

للاستاذ
جمال الدين البغدادي القادري

اذا كانت الاسرة هي الخلية الاولى للبنية الاجتماعية فان سلامتها هي سلامة المجتمع ولذلك وجبت المحافظة عليها بشتى الطرق ، لان المجتمع المستقر يبدا انحلاله يوم تتفسخ هذه الحجيرة الاساسية وهي الاسرة ، وقد بدا العلماء يقومون بدراسات جدية منذ اواخر القرن التاسع عشر (واخص هذه المذاهب بالذكر مدرسة « فريديريك لوبلي » صاحب حركة الاصلاح الاجتماعي سنة 1870) فالقوا الاضواء على اساليب التعاون والعلاقات في صميم الاسرة .

وهذا الاهتمام التشريحي بكيان الاسرة هو بمثابة دراسة الخلية او الجسم حينما يكون سليما من الامراض ، فلابد من ان يتبع بمرحلة اخرى حول تشخيص الاخطار والامراض التي قد تحف او تصيب الاسرة ، ولا شك ان ظاهرة الطلاق هي الداء العضال او الميكروب المميت الذي يتحقق بمفعوله التقويض الشامل لاقدس بنيان اجتماعي ، وتشريح هذه العلة من مستلزمات العلاج ولو ان علاج الامراض النفسية والاجتماعية لا يتوقف على ظاهرة واحدة حيث ان الجوانب متداخلة متشابكة .

ان الزواج السعيد يقوم اساسا على جملة من الشروط ولعل اهمها شروط اربعة : النضج العاطفي عند الزوجين ، والاحترام المتبادل ، والاستعداد للتضحية في سبيل الآخر وابداء مظاهر الاهتمام والحنو ، واخيرا التجاوب الجنسي ، ومن النادر ان نجد هذه الشروط متوفرة جميعها قبل الزواج بل كثيرا ما نرى هذه الاستعدادات تنمو ابان الحياة الزوجية المشتركة وقد تتحقق وقد لا تتحقق ، ولعل الزواج الناجح هو في المحاولة الدائمة والرغبة الحرة في خلق هذا الانسجام النفسي الاجتماعي الجنسي ، فهنالك جهد مبذول متبادل لتحقيق التوازن من طرف الزوجين اولا ثم من البيئة الاجتماعية اخيرا

ويرى بعضهم ان التجاوب الجنسي هو هذا الشرط الاساسي الذي اذا لم يوجد يجعل الاسرة تعيش في جحيم ، لان عدم الارتواء الجنسي يخلق ردودا على كافة التصرفات من قبل الزوج والزوجة، والواقع ان فقدان التوازن الجنسي آت من اسباب نفسية اخرى كعدم قبول المراة للحمل اذ يجعلها تمانع ولا تقبل على العلاقة الجنسية بكل ابتهاج ، وهذا النفور يؤثر على التصرف الجنسي للرجل فينعدم التجاوب ، وكذلك اذا صمم الرجل على عدم احترام الرابطة الزوجية كان يتعرف على امراة اخرى فيبدأ النفور من الزوج . وهكذا نجد في اغلب الاحيان ان البرود الجنسي له سبب او اسباب نفسية اخرى .

ومن العلل الاخرى اللانضج الانفعالي والنفسي اذ الكثير من الناس لا يستطيع الحياة الزوجية بطبيعتهم ، لكن قلما نجد اباء يدركون هذا فلا يتصورون ان هناك اشخاصا لا ينسجمون مطلقا مع الزوجة لصغر السن مثلا ، او لنقص في التربية الاجتماعية ، فاذا هم تزوجوا وقعوا في ازمات نفسية قد تؤدي بهم الى الجنون ، وهنالك اخرون لم يدربوا بعد على الحياة المشتركة ، لان نموهم الانفعالي متاخر وهؤلاء يجب اعدادهم لهذه الحياة ، وهنالك من اخذوا افكارا خاطئة عن الزواج على اساس انه تقييد للحرية وقضاء على الشخصية ، وهؤلاء جميعا اذا ما تزوجوا فقد حملوا معهم البذور للطلاق وكانوا زبائنه المقربين

واذا كانت الاسباب النفسية قد تشرح ظاهرة الطلاق في حياتنا فان العامل الاجتماعي يمكن ان يلقي بعض الاضواء على هذه الظاهرة ، فمثلا نرى ان الحياة المعاصرة حررت الى حد كبير المراة من الواجبات المنزلية التي كانت تقعدها فيما مضى في المنزل طيلة اليوم فبدات المراة تهتم بالحياة الاجتماعية في العالم الخارجي حيث الاندية والجمعيات ودور اللهو، والعمل المباح للمراة قد يشجعها على الطلاق ما دامت تستطيع الحصول على المال اللازم لتوفير ضروريات الطعام والايواء واللباس ، والعمل قد يعطيها الشعور بالتحرر والاكتفاء الذاتي بل قد يكون عندها الشعور بالتعالي والافضلية على الزوج ، وهذا الزهو يجعلها تتحرر بسهولة اذا ما وقع اي خلاف بينها وبين زوجها .
والمدرسة المعاصرة تهتم بالفردكفرد مستقل له شخصيته المستقلة وله كيانه دون تمييز بين الرجل والمراة ، فتكاد التربية تكون تربية انانية لانها لاتهتم — الا قليلا — بغرس الشعور بالمسؤولية والتدريب على الحياة الزوجية على اساس ان الحياة المشتركة في الاسرة لها مشاكلها الخاصة بها ، والمدرسة لا تؤهل الشباب الى حل هذه المشاكل ، فكان النظام الاجتماعي المعاصر يشجع على تقويض الاسرة ما دام لم يقدم اي اعداد لها ، فهو يحرر المراة ويشجعها على هذا التحرر ، ثم يقدم للرجل جميع المغريات التي تجعله يعبث بالواجبات الزوجية ، ومن جهة اخرى نرى برامج التعليم لم تقدم الوقاية اللازمة منذ فترة المراهقة بان تخصص للطلبة حصصا اسبوعية تتناول كافة مشاكل الزواج والحياة الزوجية ، بل تركت الشباب والمقبلين على الزواج يستقون الاخبار حول الزواج من افواه العوام والجهال والمغرضين والفاشلين، فيقبلون على الزواج وهم يحملون بصفة قبلية الاستعداد للطلاق بطريقة لا شعورية ، وهذا هو الذي يشرح لنا الاسباب التي جعلت الطلاق في امريكا مثلا يصل الى نسبة حادثة طلاق في كل أربع زيجات وكانت هذه النسبة فيما قبل تصل الى نسبة واحدة الى خمسمائة عقود زواج .

ومن جملة هذه الاسباب الاجتماعية البون بين مستوى الزوجين في الاعتبار الثقافي والتربوي والعقائدي والعائلي ، فكلما كانت المسافة شاسعة بين الحدود الثقافية والعقلية ، كانت الاسباب متوفرة للنزاع والخلاف فالطلاق ، فالجامعي الذي يتزوج فتاة جاهلة يصعب عليهما تحقيق التفاهم المنشود ، وكذلك اذا كانت التربية الاجتماعية مختلفة ، كأن يتزوج شاب محافظ نشا في وسط متدين بفتاة متحررة الفت الاستقلال في الراي والسلوك او العكس ، وكذلك اختلاف الدين عند الزوجين فهو من دواعي الشقاق والنزاع .

وهنالك سبب آخر يتعلق بالقوانين السائدة كأن تكون القوانين تستجيب بسهولة لكل راغب في الانفصال فان النهاية المحتومة تعدد حوادث الطلاق ما دام الامر بهذه السهولة وكلما اشتد القانون في عدم مجاراة العابثين بعرى الزوجية كلما قلت حوادث الطلاق الذي لا يسمح به الا في الظروف القاهرة التي لا مناص منها .

ويلاحظ ان الاسباب الاجتماعية للطلاق لا تكون ذات مفعول الا اذا كان هنالك استعداد نفسي لها فكان العلل الاولى مستمدة من اعماق النفس قبل ان تخرجها الى الوجود الدواعي الاجتماعية .

ويخطىء الظن من يعتقد ان الطلاق هو نهاية مأساة اي زواج فاشل ، فالطلاق هو نفسه مشكل معضل لان ءاثاره النفسية السيئة على الزوج والزوجة لا تقل خطورة عن مشاكل الزواج .

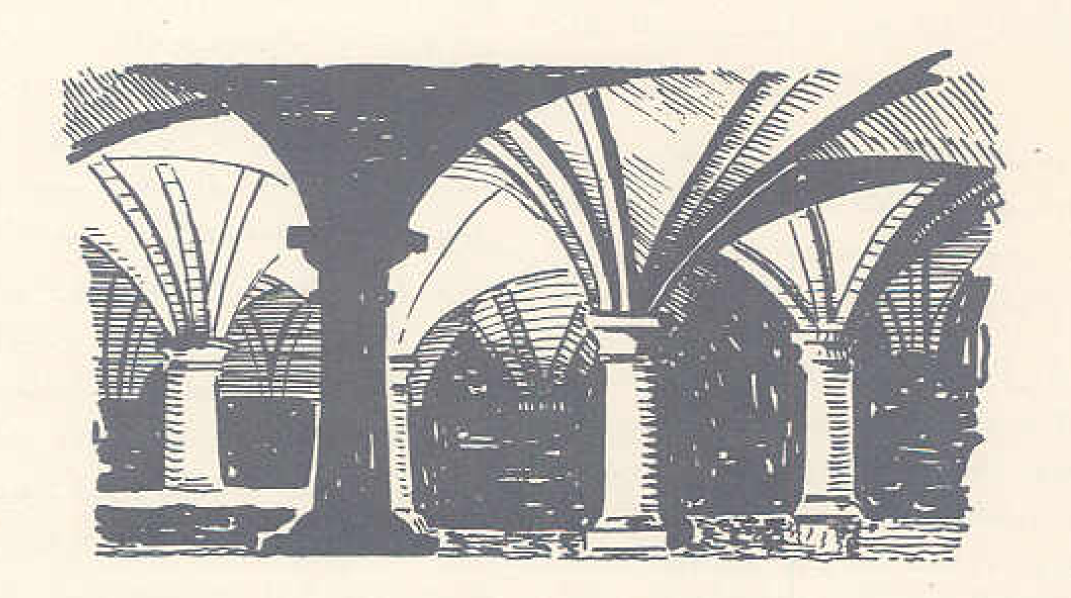
فالطلاق في معظم الاحيان لابد من ان يقترن بالكثير من المشاكل المتعلقة بالنفقة وتربية الاولاد ومؤخر الصداق وشتى التسويات المادية وهذه جميعها تكون سببا في التوتر الوجداني والصراع النفسي ، وبمجرد ما يتم الطلاق فان المطلق يجد نفسه في عالم جديد لم يالفه فيبدا في التكيف مع الوضعية الجديدة ، ولعل اول هذه التبدلات ما يصيب العادات الجنسية ، فهو اما ان يرتمي في احضان الفجور والفساد ويعيش حياة

بوهيمية تحفها المشاكل والاخطار والامراض ، واما ان ينطوي على نفسه فيقع في امراض عشق الذات وفي الاساليب المنحرفة للاشباع الجنسي ، وهذا ما يقع تقريبا للمراة ولو ان الدواعي لذلك مختلفة حيث ان المراة بعد الطلاق غالبا ما تعود الى اهلها وهنالك في هذا الوسط الجديد القريب عليها قد تشعر بالنقص والفشل والتفاهة ، فتحاول التخلص بشتى الوسائل واغلب الاحيان ما تكون هذه الوسائل شاذة منحرفة .

واضرار الطلاق تصيب اكثر ما تصيب الاولاد ، لان الابناء يجدون انفسهم في وسط بيت محطم واسرة مفككة ، فالاطفال في حاجة ماسة ومستمرة الى السند العاطفي ، ولا يمكن لاية هيئة اجتماعية او لاي فرد كان ان ينوب عن الام او الاب ، وهكذا تتكون لديهم العقد النفسية، كالشعور بالنقص، والانطواء على النفس والاضطرابات الجنسية بالاضافة الى الافات الاجتماعية الاخرى كالتشرد وسوء التربية .

وصفوة القول ان مشكلة الطلاق مشكلة نفسية اجتماعية معقدة المظاهر خطيرة العواقب ، وعلاجها لا يكون آنيا بل يجب ان يحصل منذ المراهقة ان لم يكن قبل ذلك ، واذا كان الطلاق ظاهرة طبيعية لا سبيل من القضاء عليها كل القضاء فان لدينا الكثير من الوسائل لتخفيف مناسبها ، والمسؤولية تقع اولا واخيرا على المؤسسات الاجتماعية من الاسرة الى الدولة لان الزواج السعيد هو وحده الكفيل باعداد الجيل الصالح والناشئة الصالحة هي المستقبل المشرق باتفاق كافة الآراء والمذاهب .

الرباط : جمال الدين البغدادي القادري



فى الحكم الادبي

للاستاذ : عبد العلي الوزاني

كثيرا ما نقرا او نسمع المحاولات النقدية للاعمال الادبية ، فنرى اصحابها يسارعون الى اصدار احكامهم الادبية الجازمة وكانها القول الفصل الذي لا مرد عليه ، وقل ان نرى منهم من يحتاط لنفسه ويتحرى الدقة والتريث فى التحليل ، حتى ينتهي الى الحكم الذي ياتي كالنتيجة الطبيعيةلما سبقهمن مقدمات او كالمرحلة النهائية التي تستريح عندها النفس والفكر بعد جولة فى مطاوي العمل الادبي وما فيه من دروب العقل او معارج العاطفة ، فما اشد شغف النقاد بالوصول سريعا الى ابقاء الحكم الادبي على العمل الادبي بانه غث او سمين ، رفيع او وضيع ، وكان الحكم غاية يقصد لذاته ، ليؤكد لنا ان للناقد رايا يجب ان نعرفه فى الاداب والفنون ، وما اشد ما تضيق بهذه السرعة وهذا الارتجال فى اصدار الاحكام ، ذلك انها تفوت علينا لذة التحليل الفني العميق الهادىء ، وتحرمنا متعة التعرف الى شخصية الاديب المنتج ، والجو النفسي الذي تهيا له فيه أن يقول قصيدته ، او يكتب قصته او مقالته ، طالما ان هذا هو المفتاح الذي نفتح به مغاليق الاثر الادبي ،فنغوص الى اعماقهوابعاده النفسية والفكرية ، ففي اعتقادي ان الناقد يخطيء عندما يستاثر بمتعة القراءة النقدية المتانية ، حتى اذا فرغ منها القى الينا بحكمه النهائي ، اذ فاته اننا لا يمتعنا شيء كما يمتعنا ان يشركنا معه فى قراءته ، وتفاعله مع الاثر المنقود ، وان ياخذ بيدنا ليضع اصابعنا على نواحي القوة ونواحي الضعف فى اعمال الادباء .

ونحن لا نبعد اذا قلنا ان التسرع فى اصدار الاحكام علامة على ضعف الوسائل ، وعدم استكمال الاداة النقدية الصحيحة ، فاشد النقاد ولعا باصدار الحكم قبل التريث والاناة وحسن التاني ، هم اولئك الذين يخطون الخطوات الاولى فى ميدان النقد الادبي، ولكن كثيرا ما نرى حتى النقاد الذين تقادم العهد بهم ، لم يتخلصوا من هذه السذاجة ، سذاجة السرعة فى اصدار الاحكام ، اما لانهم لم ينموا ثقافتهم النقدية واما لانهم لا يحترمون القاريء ، فما ان يتناولوا عملا ادبيا بالنقد حتى يبادروا الى الانتهاء منه بعد نظرة جد سريعة .

اما بعد ، فان هذا الذي نسميه (حكما ادبيا) يعد فى عرف نقاد الادب امرا خطيرا يخضع لمؤثرات ولعوامل معقدة ، ويترك آثارا كثيرة فى التاريخ الادبي ، ولهذا سنحاول ان نوضح بقدر الامكان خطورة الحكم الادبي وما يكتنفه من عوامل ، ويحيطه من ملابسات ، وما يتاثر به من ظروف .

ان الحكم علي الاشياء المادية المحسوسة سهل ميسور ، فما ايسر ان نرى امراة فنحكم بانها جميلة او غير جميلة ، وما اسهل ان ندخل الى حديقة وبمجرد ان نشملها بنظرة نحكم بانها رائعة اولا ، وقل هكذا فى جميع المحسوسات ، ذلك لانها نتصل بها اتصالا مباشرا عن طريق الحواس ، وسرعان ما تنشيء فينا اثرا واضحا يقذف الى لساننا بالحكم للشيء او عليه ، ولكن تعال لننظر الى الامور المعنوية كالادب ، فاننا سنجد ان الاحاطة بخصائصها ومميزاتها — وهي ضرورية للحكم — فى منتهى التعقيد والغموض ، وان التفاعل معها يحتاج الى قوى روحية وفكرية اعمق وابعد مدى ، ومن تم جاءت كثرة اختلافات الادباء والنقاد فى المذاهب والاتجاهات ، فالامر يتعلق بالمعنويات ، وهي مما يتفاوت الناس تفاوتا كبيرا فى تصوره والشعور به ، والاستجابة له ، والحكم عليه ، اضف الى ذلك ان رصيد القاريء للادب من التجاريب ، له اثر كبير فى مدى ما يعنيه النص الادبي بالنسبة اليه ، فالناقد ذو الرصيد الضخم يدرك من النص الادبي اعمق اسراره ، ويشعر بادق نواحيه الفكرية والعاطفية ، وهذا ما لا يستطيعه الناقد المتوسط الرصيد او الضئيل الرصيد ، واذا قلت

التجارب فانما اعني بها المواقف الفكرية والعاطفية التي وقفها الشخص امام صور الحياة والوانها المختلفة ووجوهها الكثيرة .

والحكم الادبي يتطلب دقة فى البحث ، وتانيا فى الدرس ، وتثبتا من خصائص المنقود ، لوضعه فى مكانه الصحيح ، حتى لا تختلط القيم ، وتضطرب الموازين ، وتوضع الامور فى غير مواضعها ، فيرفع من الادباء من كان من شانه ان يوضع ، ويوضع من كان من شانه ان يرفع ، ولا ننسى ثقافة الناقد ، فانها من اسس النقد الادبي ، وهي عدة الناقد ــ الى جانب الذوق الجميل ــ فى الوصول الى احكام صادقة عادلة، فكم من ادباء ظلموا لانهم ابتلوا بنقاد ليسوا من الثقافة الممتازة فى شيء ، فشوهوا مزاياهم ، ومسخوا خصائصهم ، وزوروا اقرارهم ، واساءوا الى الحقيقة والتاريخ ، وشر ما يبتلى به اديب ناقد جاهل ؛ فمن يتصدى للقضاء الادبي خليق به ان يتخذ العدة ، ويستكمل الوسائل ، من ثقافة صحيحة ، واطلاع واسع ، وادراك شامل لمشاكل الادب والنقد ، وتمكن من ناصية اللغة .

وشيء آخر ؛ فالحكم الادبي له ارتباط متين بالجو النفسي الذي عاش فيه الناقد عند اصدار حكمه، من انقباض او انبساط من تفاؤل او تشاؤم ، من صحة او مرض ، من قلق او استقرار ، من صفاء او كدر ،وكل هذه الاجواء تلقي ظلالا كثيرة على احكامنا الادبية ، وتعطيها لونها الخاص ، لهذا قد يناقض الناقد نفسه فى اليوم الواحد ، تبعا لتطوراته النفسية ، وقد يقرأ عملا ادبيا فلا يثير فيه كبير اهتمام فتمر بضعة ايام فيعيد قراءته، فيدهش ان يرى ان فيه نواحي جديرة بالاهتمام لم يفطن لها من قبل ، فليكن الناقد على حذر من مزاجه وحالته النفسية ، فكثيرا ما تفسد عليه عمله ، وتجعله ــ عن غير قصد ــ يتلاعب بمصير الادباء واقرارهم ؛ ومن هنا وجب الاخذ بمقاييس النقد الادبي ، ومحاولة التوفيق بينها وبين الذوق الخاص بالناقد ، حتى نامن الفوضى والاضطراب فى تقرير مصير الاعمال الادبية ، وحتى نكون موضوعيين ما امكن ، نتخذ من تلك المقاييس ضابطا لاذواقنا المتباينة ، وامزجتنا المتقلبة .

ويخطىء الناقد خطأ فادحا عند ما يحكم على اديب او له بالسمو او الانحطاط ، مقتصرا على نموذج واحد من اعماله الادبية ، فالحقيقة ان شخصية الاديب ذات جوانب وابعاد ، وهذه لا تظهر فى عمومها الا بالنظر الى كل ما انتجه او جله ، والشخصية الادبية اذا كانت لها جوانب قوية رائعة ، فهي لا تخلو من جوانب اخرى ضعيفة باهتة ، واذن فالاقتصار على لون واحد من انتاج الاديب قمين ان يجعلنا بعيدين عن الالمام بشخصيته الكاملة ، ومن هنا جاء ضعف النقد الادبي العربي القديم ، فغالبا ما كان يقضي للشاعر او عليه بقصيدة من قصائده ، بل ببيت من قصيدته ؛ بل بشطر من بيته ، ان ملامح الاديب تتوزع بين اعماله الادبية . فاذا شئنا الالمام بها كلها وجب ان نقرا له جميع ما انتج او اكثره ، واذا امتنع عندنا ان نحكم على اديب بالنظر الى اثر واحد له ؛ فان من الممكن ان نحكم على الاثر نفسه ، منفصلا عن بقية الاثار الادبية الاخرى لصاحبه ، فانا مثلا اقرا كتاب (زهرة العمر) لتوفيق الحكيم ؛ فان لي ان احكم له او عليه ، مستقلا عما عداه من كتب الحكيم الاخرى ، ولكن لا ابيح لنفسي الحكم على توفيق الحكيم نفسه بالنظر الى هذا الكتاب فقط ؛ هناك فرق اذن بين الحكم على العمل الادبي ، وبين الحكم على الاديب نفسه .

والحكم الادبي يجب ان يكون بعيدا عن الحسم والجزم ، اذ الاحكام الجازمة القاطعة ، من شانها ان تغلق الباب امام الباحثين الاخرين ؛ وهي تسد الطريق على صاحبها نفسه ، اذ لا يمكنه ان يغيرها بسهولة متى عن له خلافها ، او ظهر له ان فيها تجاوزا عن الحقيقة. الحكم الادبي الجازم القاطع غل فى عنق ماقيه ؛ يفقده المرونة ، ويجعل كلمة تخرج من فيه او من سنان قلمه ضربة لا رب ، نعم هو يستطيع ان يلغيها بجرة قلم ، ولكن كم يكلفه ذلك من فقدان ثقة القراء باحكامه ، ومن وقوع فى التناقض وتخبط فى مزالق فكرية وعرة ، وعلى هذا ليكن الحكم الادبي مرنا محتملا للتغيير ، قابلا للتحوير ، لنفرض انني مثلا عثرت على قطع ادبية لاديب غير معروف ،فلو تصديت للحكم عليه من خلالها للزمني ان اجعل حكمي من المرونة بحيث يمكن تعديله فيما لو اكتشفت له نماذج اخرى اقتضت اعادة النظر فى ادبه على اسس جديدة فلو اني حكمت عليه حكما جازما قاطعا لصعب علي جدا ان اغير من اسس هذا الحكم .

وقد غالى بعض نقاد الادب، فذهبوا الى ترك الاخذ بمبدأ الاحكام الادبية ، والاستعاضة عنها بذلك النقد التحليلي الوصفي الذي يكتفي بابراز الصفات الفنية والعاطفية للعمل الادبي دون ان يحكم لها او عليها ، تاركا امر قبولها او ردها الى اذواق القراء ، وهم يستأنسون بان التحليل المحايد يعوضنا عن الحكم بنعمة الدرس العميق ، والتحليل الدقيق ، ويخفف عن

الادب عبء الاحكام التي كثيرا ما تكون ارتجالية غير مبنية على نوع من البحث الجاد المخلص ، ولكني ارى ان هذا النوع من النقد الوصفي لابد ان يشي بذوق الناقد ، وبموقفه من العمل الادبي الذي ينقده ، فياتي حكمه حينئذ ضمنيا لا صريحا ، بل نذهب الى ابعد من ذلك فنقول : ان مجرد اختياره لعمل ادبي بالذات ليجعله موضوعا للنقد او التحليل يتضمن حكما من نوع ما بالنسبة لهذا العمل ، غير معقول اختار — مثلا — قصيدة لشوقي او لمطران لانقدها دون ان اكون قد اعطيتها نوعا من الافضلية الضمنية ، ومعنى هذا اني باختياري لها قد حكمت لها ضمنيا بانها مما يستحق النقد ، دعك من طريقتي في التحليل ، واسلوبي في ابراز الخصائص والسمات ، وما يبدو من اعجابي ببعض الصور ، وفتوري امام اخرى ، فلفتي ولهجتي وكلماتي وما بين سطوري ، كل ذلك يشي بموقفي من القصيدة، ويوحي بمكانتها عندي ، مهما بذلت من جهد لاخفي حكمي على جمهور القراء .

وعندي ان الحكم على الاثار الادبية او لها امر لابد منه ، وهو ضرورة تقتضيها اعراف النقد الادبي وتوحيها الرغبة الملحة في وضع الامور مواضعها ، وتصحيح اوضاع الحياة الادبية ، فكم يملأ الكتب والمجلات الادبية من اخطاء كثيرة في الاراء والمذاهب والاتجاهات ، فلو لم يكن لها النقاد بالمرصاد ليبرزوا منها الصحيح والزائف ، والاصيل والمموه المزور ، لتفاقم امرها ، ولاصبح الادباء المنتجون في منجى من هيبة محكمة النقد التي ترد الامور الى نصابها ، وتصحح الاوضاع ، وتصون القيم ، وتحفظ للادب حرمته ان يعتدي عليها معتد زائف ، بالامس القريب طلع الدكتور طه حسين على الناس بفكرة اطاحت بالنشاط الادبي لدى العرب الجاهليين ، وانكرت كل ما ينسب اليهم من شعر ، فاي ضرر كان سيلحق تاريخ الادب العربي لو لم يقل النقد كلمته في الموضوع ، ويبين ما في الفكرة من خطأ فاضح ؟ اذن فلابد من الحكم ، وكل ما نطالب به الناقد ان يجنب احكامه الجزم والقطع والتعميم ، ما دام الادب لا يعرف الكلمة الاخيرة في مسألة من مسائله كما هو معروف .

والاحكام الادبية نوعان : نوع صادر عن النقاد المتخصصين الذين انصرفوا الى هذه الصناعة فحذقوها والموا بدقائقها ووقفوا جهودهم عليها ، فكانوا كالصيارفة الذين تربت فيهم المقدرة على التمييز بين الدرهم الصحيح والدرهم الزائف ، ونوع صادر عن الجمهور الذي يحتوي على اصناف متباينة من القراء من حيث شكل الثقافة ومداها ونوعيتها ووجهتها ، وقد استقر الان في اذهان الباحثين ان حكم الجمهور على عمل ادبي لا يصح ان يكون مقياسا لتقديره ووضعه في مكانه اللائق به ، كما ان شدة اقبال الجمهور على عمل ادبي واعجابه به ، ليس دليلا دائما على سموه واستحقاقه للبقاء ، ذلك ان اوسع الاثار الادبية انتشارا لدى الجمهور هي تلك التي غالبا ما تتملق غريزة ، او تدعو الى بدعة في الحياة ، او تتناول قضية من قضايا الساعة، فتكون قيمتها موقتة ، فاذا ما مرت اسباب الافتتان بها اصبحت منسية مهملة ، ولكنا في الوقت الذي نقول فيه هذا الكلام يجب ان نعترف بان الجمهور قد يعجب باثر ادبي عظيم حقا وقد يستمر اعجاب الاجيال به آمادا طويلة ، ولكن نادرة هي تلك العبقرية الادبية التي تستطيع ان تخلق من الاعمال الادبية ما يجمع الى عمق الفكرة وسمو الوسيلة ، القدرة على التسلل الى قلب الجمهور والاستحواذ عليه .

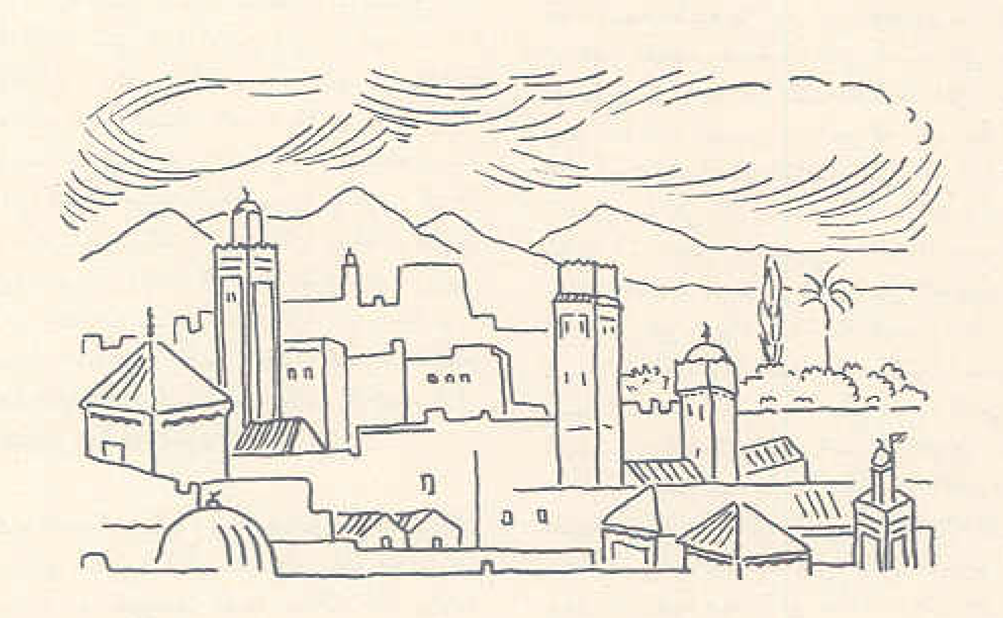
فالحكم الذي يصدره الجمهور على عمل ادبي — بناء على ما تقدم — لا يصح الاخذ به ، طالما ان الجمهور — واغلبه من القراء العاديين — تاتي احكامه مرتجلة ، وبعيدة عن الدقة والتحقيق الجديرين بالناقد الحق ، وللادبية المصرية سهير القلماوي راي في هذا الموضوع ، وهو ان الجمهور يصح ان يؤخذ رايه في الفن الادبي ذي الصبغة الاجتماعية كالمسرحيات ، ذلك ان هذه تتجه بطبيعتها اولا الى الجمهور ، لتنشر فيه فكرة او تثير عاطفة معينة ، ولكني اعقب على هذا الراي بان الجمهور لا يدرك من المسرحية الا اقل جوانبها شانا ، وهو الجانب الحسي ، فالحركة الحسية التي قوامها الاشارات وسلسلة الاعمال التي تتوالى على انظار الجمهور ، هي التي تستبد باهتمامه وانتباهه ، وكلما كانت هذه تمثل ما يجري في الحياة تمثيلا صادقا كلما اشتد اعجاب الجمهور بها ، ولكن الجمهور لا يقف ليتساءل عن العناصر الفنية للمسرحية ، هل بينها انسجام اولا ، وما مبلغ البناء الفني للمسرحية ، هل بينها انسجام اولا ، وما مبلغ البناء الفني فيها من التنسيق والجمال ، وعن اسرار الحوار ، — وهو العمود الفقري للمسرحية — وما مبلغه من القدرة على رسم الشخصيات ، وخلق الجو ، والقاء الظلال ، وما مكانة هذه المسرحية بالذات بين اعمال الاديب الذي انتجها، وهل كان فيها مبتكرا او مقلدا ، وهل قفز بها الى الامام او ارتد الى الوراء ، او وقف عند مستواه المعهود ، ثم ما مكانة مسرحيته بين الوان الانتاج المسرحي في الادب

الذي ينتمي اليه وهلم جرا . فكل هذه النواحي وغيرها من الدرس ، لا تعني الجمهور ، وانما تعني الناقد المتخصص ، الذي يسلط على المسرحية من شعاع فكره الناقد ، فاذا هي تتكشف عن موضوعات كثيرة للدرس والتحليل .

وقد يعن لاحد ان يعترض : ولكن الجمهور متى كان واسع الاطلاع ، عميق الثقافة ، بعيد مرامي التفكير ، لا يصدق عليه ما تقول ، وانما يصدق على ذلك الجمهور البسيط فى ثقافته وذوقه الفني ، ويكون جوابي على هذا الاعتراض المفترض ، ان الجمهور ولو بلغ ما بلغ من الثقافة ، لا يستطيع ان ينصرف لنقد اثر ادبي كما ينصرف اليه الناقد المتخصص ولا يملك من وسائل النقد الادبي وادواته ما يملك ذلك الناقد الذي وهب للنقد الادبي حياته واعصابه وفكره ، وجعله المحور الاساسي لنشاطه الادبي .

وعلاوة على ما تقدم فالجمهور تتفاوت درجات تجاوبه مع المسرحية حسب اختلاف انواعها ، فالمسرحية الاجتماعية اقرب الى مداركه من المسرحية التاريخية ، وهذه اقرب اليه من المسرحية الاسطورية او الرمزية ، ثم ان المسرحية النثرية اقرب اليه من المسرحية الشعرية ، وهكذا نجد ان هناك انواعا من المسرحيات شكلا وموضوعا لا ينفذ اليها الا الناقد المتخصص ، فمسرحية (اهل الكهف) لتوفيق الحكيم عندما عرضت على الجمهور ممثلة على خشبة المسرح ، لم تلق نجاحا كبيرا ، لان الحركة الفكرية فيها اقوى من الحركة الحسية ، ولكن فى الوقت نفسه ذهب الدكتور طه حسين الى انها حدث ادبي جديد فى الادب العربي ، ذلك لان طه حسين يملك من وسائل النقد ما لا يملكه الجمهور ، ولان فلسفة الحكيم فيها مما لا يدركه الا الناقد الفذ ، فهي كشيء يقرا تعتبر حدثا عظيما ذا خطر ، ولكنها كشيء يمثل ، تعوزها صفات المسرحية الناجحة ، واولاها الحركة الحسية ، هذه التي هي محور اهتمام الجمهور .

فاس : عبد العلي الوزاني



الممالك الإسلامية القديمة في افريقيا السوداء

للاستاذ
قاسم الزهيري

يتعرض الباحث فى تاريخ افريقيا السوداء الى صعوبات جمة ناشئة عن انعدام المصادر . وخاصة منها المصادر البعيدة عن الاغراض والتي لا يتطرق الشك الى صحة روايتها . وهناك عقبة كأداء لم يستطع الباحثون لحد الآن ان يذللوها لمعرفة حقيقة المدنيات التي تعاقبت على افريقيا السوداء وهي فقدان الكتابة خلال قرون عديدة، الى القرون الوسطى حين ادخل الفتح الاسلامي فى الجزء الغربي بالخصوص من هذه القارة الكتابة العربية فاصبحت لغة التراسل والمعاملات والعقود وما الى ذلك . واذا عرفنا ان نشوء الممالك الافريقية يرجع الى بدء التاريخ ، ادركنا ما اضاعه عدم استعمال الكتابة من اخبار الدول والمدنيات التي نشأت فى افريقيا السوداء .

وان الباحث ليندهش من وفرة الدول والممالك التي شهدتها هذه الارض والتي لم يبق من اغلبها الا الاسماء . فلقد عفت اثارها تحت مفعول الاحداث الجسام التي مرت على افريقيا السوداء منذ فجر التاريخ الى الآن . اذ كانت على الدوام مسرحا لقيام دول وزوال اخرى . وكل دولة تأتي انما كانت تقوم على أنقاض سابقتها . فلا يبقى من اثارها – بسبب انعدام الكتابة – الا ما يتناقله المنشدون والعامة من اساطير وخرافات مما جعل الباحثين المعاصرين ييأسون من كتابة تاريخ مضبوط لافريقيا السوداء وكثير منهم يدعون ان تاريخ هذه القارة عبارة عن مشاجرات قبلية لاتستحق الذكر . وهو زعم باطل كما سنرى من خلال حديثنا عن بعض الممالك الاسلامية .

ثم ان الغزو الاوروبي منذ القرن السابع عشر الى اليوم قضى على ما تبقى من المصادر التي يمكن ان يرجع اليها الباحث فى تاريخ افريقيا السوداء . اذ زيادة على ضياع الكثير من الكتب التاريخية خلال الاحقاب الاخيرة بسبب الاهمال والحروب ، فقد نقلت وثائق كثيرة الى المكاتب الاوربية ولم يعرف ما تضمنه لحد الآن . بينما اخذ بعض ادعياء التاريخ من الاوروبيين يضعون مؤلفات ابعد ما تكون عن النزاهة فيرفعون من شأن الغزو الاوروبي ويحطون من قدر المقاومين الابطال الذين اعترضوا سبيله ، كما ينالون من مكانة الدول التي نشأت قبل هذا الغزو بعدة قرون . واغرب من هذا وذاك ان تاريخ افريقيا السوداء فى نظر هؤلاء انما يبتدىء من الغزو الاوروبي. وكل ما سبق هذا الغزو انما هو لغو واساطير ان لم يكن همجية ووحشية .

على هذا الاساس كان يلقن تاريخ افريقيا السوداء الى الناشئة .

ومن حسن الحظ ان استرجاع هذه القارة لحريتها اقترن بنهضة تاريخية بدأنا نشاهد بوادرها الآن ، حيث راح كثير من الباحثين الافارقة ينقبون على دفائن تاريخهم، ويحاولون استكناه اسرارها . وظهرت بعض المؤلفات التي تشير الى المدنيات التي تعاقبت على هذه القارة . ويشارك فى هذا المجهود بعض المنقبين الاوروبيين كذلك .

انه مجهود ما يزال فى طور الابتداء ، لكنه ينبىء عن حضارات زاهرة سبقت الحضارة الحديثة بقرون.

وفيما يخص الموضوع الذي جعلناه حديثنا اليوم وهو الممالك الاسلامية فى افريقيا السوداء . فان هناك بعض المصادر التي يمكن ان يرجع اليها الباحث . فهي وان كانت لا تفي بكل جوانب الموضوع الا انها تعطي صورة تقريبية عما بلغته هذه الممالك من ازدهار ورقي .

وفى المقدمة نجد المصادر العربية لاشهر المؤرخين والجغرافيين والرحالة . وذلك ان افريقيا السوداء مذ كانت وهي متصلة بالمغرب وافريقيا الشمالية عموما. خصوصا بعدما دخل الجمل الى هذه القارة قبل فجر التاريخ بقليل فاحدث ثورة فى طرق المواصلات لا تقل فى ذلك العصر عن الثورة التي احدثتها المواصلات الجوية فى تقارب الشعوب فى عصرنا هذا .

ومن العرب الذين عنوا باخبار افريقيا السوداء نجد ابن حوقل فى القرن العاشر . وقد رحل الى افريقيا ، والبكري فى القرن الحادي عشر ، والادريسي فى القرن الثاني عشر ، وياقوت الحموي فى القرن الثالث عشر ، وابن خلدون ، والعمري فى القرن الرابع عشر . ثم ابن بطوطة فى القرن الرابع عشر كذلك وحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الافريقي فى القرن السادس عشر وكلاهما رحل الى افريقيا السوداء .

ثم خلف هؤلاء مؤرخون سود من بينهم محمد الكوتي من ابناء النيجير ، وقد الف تاريخا اسماه « تاريخ الفتاش » وعبد الرحمن السعدي من مواليد تيمبكتو وهو صاحب كتاب تاريخ السودان . ونجد ايضا مؤلفا ثالثا اسمه تذكرة النسيان لمؤلف مجهول . . ثم بدات اوروبا تشرئب لتملك الاقطار الافريقية واخذت تزحف بارسالياتها وجيشها لاحتلال القارة السوداء . ومنذ القرن السابع عشر ، عنى المؤلفون البرتغاليون والهولنديون على الخصوص باخبار هذه الاقطار ، وتبعهم باقي الكتاب من مختلف الاجناس .

من خلال الاخبار التي رواها المؤرخون والجغرافيون والرحالة العرب ثم المؤرخون السودانيون نستطيع ان نكون فكرة عن الممالك الاسلامية التي نشأت بافريقيا السوداء ومدى ازدهارها . ويجدر ان نشير بادىء ذي بدء ان عدد هذه الممالك من الوفرة بحيث لا نستطيع ان نلم بها ، فضلا عن استقصاء اخبارها ، فى هذا الحديث . ولهذا فسنقتصر على ذكر الممالك التي نشأت بالخصوص فى افريقيا الغربية والتي كانت لها علاقات مكينة ببلادنا من اقدم العصور . واثر فيها المغرب تأثيرا مباشرا . ونعني بهذه الممالك على الاخص : مملكة غانا ومملكة مالي ومملكة السنغاي . ويحسن قبل ان نتعرض الى اخبار هذه الدول ان نشير اشارة خفيفة الى اصل امتداد الاسلام الى افريقيا السوداء .

امتداد الاسلام الى افريقيا السوداء

لقد امتد الاسلام الى هذا الجزء من قارتنا عن طريقين : طريق المغرب متخطيا جنوب بلادنا تجاه موريطانيا ومتغلغلا فى السوادين الغربية الى ضفاف النيجير ، وطريق مصر على طول النيل او طرابلس الى البلاد الافريقية الشرقية الواقعة على البحر الهندي . ولم يكن اشعاع نور الاسلام من هذين الطرقين بدعا ، فهما الطريقان اللذان سلكتهما كل من مصر الفرعونية وقرطاجنة وبيزنطة قبل ذلك لحمل مدنية البحر المتوسط الى اعماق افريقيا . وقد كانا طريقي المبادلات التجارية بين افريقيا الشمالية وافريقيا السوداء قبل التاريخ بعدة قرون .

ونجتزىء فى هذا الحديث بالتعرض الى امتداد الاسلام عن طريق المغرب ، لعلاقة ذلك بالممالك التي سنفصل الحديث فى شأنها .

لقد دخل الاسلام الى افريقيا الغربية عن طريق المغرب كما تقدم لنا عبر صحراء موريطانيا التي كان يسكنها الملثمون من قبيلة صنهاجة البربرية على ما ذكره المؤرخون وفى مقدمتهم ابن خلدون . واقام الملثمون دولة قبل الاسلام فى الصحراء بعدة قرون وكانوا يدينون بالمجوسية . فقد روى ابن خلدون : « كان دين صنهاجة اهل اللثام المجوسية شأن برابرة المغرب ، وما يزالون مستقرين بتلك المفالات الصحراوية حتى كان اسلامهم بعد فتح الاندلس » وروى صاحب كتاب الاستقصاء ابو العباس احمد بن خالد الناصري ان امتداد الاسلام الى صحراء موريتانيا كان على يد القائد العربي والصحابي الجليل عقبة بن نافع فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه . وفى هذا الصدد يقول صاحب الاستقصاء : « وصل عقبة بن نافع الى جبال درن ودوخ بلادهم ثم اجاز الى بلاد سوس لقتال من بها من صنهاجة اهل اللثام ، وهم يومئذ على دين المجوسية ولم يدينوا بالنصرانية . . »

وغير خاف ان الفتح الاسلامي الاول لبلاد المغرب بمفهومه العام اي شمال افريقيا قد اعقبته فتن كثيرة امتدت عدة اجيال ، فاصطدم هذا الفتح بعراقيل ، ومقامات . وكان السكان يعتنقون الديانة الجديدة ثم يرتدون عنها ، ونشأت عدة فرق اسلامية تبعا لما اصبحت عليه الحال من تفريق كلمة المسلمين بعد موت عثمان . ولم تتوطد اركان الدعوة الاسلامية فى المغرب الا بعد مجيء ادريس وقيام دولة الادارسة . ومن ذلك الحين اصبح المغرب القاعدة الامامية للاسلام ، وشعت من جوانبه الرسالة المحمدية نحو الصحراء وما تلاها من افريقيا السوداء الى حدود نهر النيجير .

دور الصحراء فى نشر الاسلام

واذا كان سكان الصحراء الملثمون من برابرة صنهاجة قد اعتنقوا الاسلام تدريجيا ، فان اسلامهم كان سطحيا حيث احتفظوا بتقاليدهم واساليبهم

الموروثة عن عهد ما قبل الاسلام . ولم يتعمقوا في هذا الدين الا على عهد المرابطين . ولا محل هنا لذكر تفاصيل الدعوة التي قام بها عبد الله بن ياسين ويحن ابراهيم الكدالي والصعوبات التي لقياها في نشر الاسلام الى ان اقاموا رباطهم على ضفاف نهر السينغال ، فكان لهذا الرباط الدور الحاسم في قيام دولة المرابطين وامتداد نفوذها في المغرب باسره والاندلس ، كما كان له الاثر البعيد في تغلغل الدعوة الاسلامية باعماق افريقيا السوداء .

ان دور صحراءموريتانيا في نشر الدعوةالاسلامية بافريقيا السوداء وحمل مشعل الحضارة العربية بصورة عامة والمغربية منها بوجه خاص دور عظيم لم يقدر له ان ينشر بعد ليعرف النشء الحديث كيف ان الاجداد لم يكونوا يقيمون وزنا للفيافي والقفار وانهم اخذوا من هذه الصحراء القاحلة جسرا يعبرونه بدلا من ان يعتبروها حاجزا يتوقفون عند حده . هذا في وقت كانت فيه المواصلات تقتصر على الابل ، وهو امر يدعو الى الاندهاش والاعجاب في ءان واحد .

ان الامبراطورية الرومانية رغم اتساع رقعتها لم تستطع ان تتوغل في القارة الافريقية . والمعروف ان زحفها وقف عند حدود معينة في المغرب ، فلم يتعدها. بينما امتد الفتح الاسلامي الى القارة السوداء في سرعة فائقة . لم يكد العرب المسلمون يمهدون افريقيا الشمالية والصحراء الغربية اي موريتانيا بالاصطلاح الحديث حتى جردوا فصيلة لغزو السوادين . فما كاد يمضي قرن على وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى دخل الغزاة العرب الى الجزء الغربي من افريقيا السوداء بقيادة حبيب بن ابي عبيدة « ومن ذلك التاريخ لم ينقطع الاتصال بين العالم العربي وافريقية الغربية السوداء » (1) .

وذكر احد علماء الآثار المعاصرين (2) ان الفترة المتراوحة بين 622 و 1434 تمتاز بصفة جديرة بالاشارة ،وهي « تاثير المدنية العربية — البربرية الاسلامية وحدها من الخارج على افريقيا الغربية : ان الاتصالات التي استمرت طوال ثمانية قرون كان لها الاثر الحاسم على هذه البلاد وخاصة على الصحراء والسهول التي اصبحت تحمل علامة ثابتة لهذه المدنية. لقد استعمر العرب الصحراء الغربية فكونوا باختلاطهم مع البربر الشعب الموريطاني . ثم اعتنقت الاسلام شعوب الصحراء وكذلك سكان سهول افريقيا السوداء . واخذت ترد على هذه النواحي آثار المدنية العربية على اختلاف انواعها . وجعل سكان المغرب من هذه النواحي مناطق تابعة لهم من الوجهة الاقتصادية » .

واشار نفس المؤلف في موضع ءاخر الى ان غرب افريقيا ظل متجها نحو افريقيا الشمالية حتى بعد تسلط اوربا على القارة السوداء .

(يتبع)

الرباط : قاسم الزهيري

(1 L'Ouest Africain au Moyen-Age : R. Mauny, p. 25

2) نفس المؤلف ص 18

مفرماركنزة الاستعمار الجديد في موريطانيا

بقلم

للاستاذ احمد الغربي

ان طبيعة التطور التاريخي في البلاد التي كانت خاضعة للحكم المباشر ، المتمثل في الجيوش المقيمة والحاكم العام ، والجهاز الاداري ، وان ازدياد الوعي عند الشعوب المغلوبة وتوفر اسباب الاتصال بين القوات التحريرية في مختلف الاقطار ، ان كل ذلك دعا دهاقنة الاستعمار الى احداث تغيير لا في اهداف مشاريعهم الاستغلالية وحرصهم على تخليد نفوذهم السياسي ، ولكن في الاسباب التي يتوسلون بها للوصول الى تلك الاهداف وتكريس ذلك النفوذ .

ان هذا التغيير الظاهري يدعوه المعلقون السياسيون ومؤرخو النصف الثاني من هذا القرن بالاستعمار الجديد .

غير ان اختلاف الدول التي تاخذ اليوم بهذا الاسلوب الجديد من الاستعمار في الكياسة والتحايل اللذين تنستر وراءهما المرامي الاستغلالية يجعل مظاهر هذه الطريقة تبدو جالية واضحة او تضمر وتحتجب حتى لا تكاد تبين .

والقارة الافريقية تقدم لنا امثلة حية عن النوع الاول بصفة خاصة .

فالقارىء الكريم يعلم الكثير عن شركة « فايرستون » التي لا تستغل مطاط ليبيريا منذ عدة قرون فحسب ، ولكنها تسمح لنفسها بان تقيم ضمن تلك الجمهورية الافريقية دولة داخل دولة لها بوليسها الخاص ، وادارتها المستقلة وخطوط مواصلاتها المحتكرة وميناؤها الى غير ذلك من الاشياء التي تجعل عمليا جميع المرافق العامة بل وحتى مظاهر السيادة في يد افراد مغامرين حملتهم سفن الاستكشاف من العالم الجديد في القرن الثامن عشر الى هذا الساحل الافريقي .

والقارىء يعلم الكثير كذلك عن الشركة المعدنية لشمال كاطانغا ، وشركة الماس في جنوب افريقيا ، وشركة النحاس في روديسيا الشمالية ، وغيرها من الشركات الاحتكارية التي اباحت لنفسها هي الاخرى ان تستغل خيرات افريقية قهرا وغلبة ، وان تبسط سلطانها على الحكام المحليين مقيمة بذلك، وبصفة تعسفية كذلك دويلات داخل الدول الافريقية ، تقدم لها فتات الموائد متى شاءت وتبذل لها من اسباب القوة والحماية متى رات ان ذلك يضمن استمرارها ويؤمن ارباحها .

ان ذلك بالضبط هو ما فكر فيه « المكتب المعدني لفرنسا ما وراء البحار » التابع للدولة الفرنسية عندما عقد اتفاقية مع الحكومة الصورية عام 1952 لاستغلال معادن الحديد في موريطانيا .

فانباء « الفرستون » فى ليبيريا و « الاتحاد المعدني» فى كاطانكا وغيرهما كانت قد وصلت الى اسماع اعضاء هذا المكتب مما لا ريب فيه ، اذ لم يلبثوا ان عملوا على خلق (دولة مفيرما) داخل موريطانيا واصبح المسيو لورو بوليو رئيس مجلس الادارة ملكا غير متوج على الاقليم بما تتوافر له من اسباب السلطة والنفوذ وبما يسعى بين يديه من الدرك والبوليس والسيارات المصفحة وما يظلل شخصيته المرموقة من بنود واسلحة .

فما هي حقيقة المفيرما ؟ وما هي قصتها ؟ ، وما هي الخطط الموضوعة لتكون هذه الشركة الجسر الذي تنتقل عليه خيرات موريطانيا الى الخارج دون أن ينتبه احد ودون ان يحرك ساكنا اذا انتبه ؟ .

اما قصة المفيرما فهي تبتدىء مع الاعوام الاولى من هذا القرن .

فقد لاحظ الغزاة الاول الذين شرعوا فى احتلال صحراء المغرب عام 1901 ان الاهالي يعرفون بعض مكامن الحديد والنحاس فى جهات مختلفة من البلاد ويستغلونها بوسائلهم وادواتهم الابتدائية .

ومن ثم لم يغب امر هذا المنجم عن أصحاب الاستثمارات والاوساط المالية .

وفى السنوات التي اعقبت الحرب العالمية الثانيةجمع المكتب المعدني لفرنسا ما وراء البحار معلومات مهمة عن المعدن ، واكدت تلك المعلومات ان المنطقة القريبة من فورغور والمعروفة بكدية الجلد غنية باصناف الحديد الذي يصل المعدن الصافي فيه الى 67 من المائة (وهي نسبة لا توجد الا فى السويد والبرازيل وشمال المغرب) ، واوصلت حساباتهم الكميات الموجودة الى مليارين من الاطنان يمكن استغلال 144 مليون طن فيها بصفة مباشرة ، وهكذا تقدموا بعرضهم الذي لا يمكن وصفه بالاغراء — الى الادارة الفرنسية التي كانت تباشر حكمها على الاقليم الموريطاني ، وكان ذلك العرض يقوم على اساس عجيب ، وهو ان تلتزم الشركة ببناء طريق من مكان المنجم الى البحر ومد خط حديدي نحو « نواذيبو » واقامة قرية نموذجية بعين المكان ، وذلك مقابل ان تستغل الحديد الموجود لمدة خمس وعشرين سنة تنتهي فى عام 1977 بدون ان تؤدي اي ربح للحكومة الموريطانية المزعومة .

واذا كانت تلك الحكومة استبشرت خيرا بهذا العرض الذي ظنت ان فوائده ستكون عظيمة وعامة بعد ربع قرن ، فان اصحاب الشركة تصوروا ان الكميات الغنية التي يمكن استثمارها بصفة سهلة وباوزان كبيرة سيقع ايصالها الى البحر قبل متم 1975 .

.. ورصدت الشركة التي اطلقت على نفسها اسم «شركة مناجم حديد موريطانيا» او مفيرما 3ر83 مليارا من الفرنكات الافريقية اي ما يفوق 165 مليارا من الفرنكات المغربية واستطاعت فى سنة 1960 ان تقنع البنك الدولي للانشاء والتعمير بان يساهم فى هذا المبلغ بما قيمته 34ر32 مليارا (اي 60 مليون دولار) بفائدة نسبتها 6 فى المائة .

وحيث كان المساهمون الفرنسيون يتخوفون من المضاربات الدولية بقدر ما يشكون فى امكانية اختصار الوقت للوصول الى الربح العاجل ، فقد عملت الحكومة الفرنسية للحصول على مساندة بعض الاقطار الاخرى ، فاستطاعت ان تقنع انجلترا والمانيا وايطاليا بفوائد المشروع وان تجعلها تساهم عن طريق الشركات المستقرة بها باربعينفى المائة من مجموع الاسهم، واصبح تمويل المشروع على النحو الاتي :

فرنسا : مكتب الابحاث الجيولوجية والمعدنية 25 ٪

ايزينور ومساهمون آخرون 16 ٪

كوفيمي 6 ٪

الخطوط الحديدية الشمالية 5 ٪

شركات متنوعة 7 ٪

انجلترا : بريتش ستيل كوبوريشن 20 ٪

المانيا : تيزن هويت 5 ٪

ايطاليا : فانسيدير 16 ٪

المجموع 100 ٪

ولقد كانت فرنسا بالاضافة الى ذلك تتصور انه بمجرد ان يصل الحديد الموريطاني ذي الخواص النادرة الى الاسواق فانها ستتمكن من اقتصاد مبالغ مهمة من العملة الصعبة تعادل 40 مليون دولار سنويا ذلك لان ايطاليا وانجلترا سيكون من مصلحتهما شراء الحديد الذي تفتقران اليه ، بحكم اشتراك ممثلين بريطانيين وايطاليين فى راس مال الشركة، غير ان وقوع مركز الشركة فى باريس يلزم هاتين الدولتين باجراء عمليات البيع والتحويل عن طريق منطقة الفرنك وذلك ما يعزز المدخر الفرنسي من القطع النادر .

واذا فلم يبق الا ان يعمد السيد بوليو الى تدشين العمل والخروج به الى حيز التنفيذ في هذه الصحاري التي لا يوجد فيها اي تجهيز ، ولا يمكن ان تقدم لرجال الاعمال والمقاولين الا العقبات واقصى ما يتصوره العقل من العراقيل .

فكيف سارت الاعمال منذ ان توافرت الامـوال وابرمت العقود بين الشركة والحكومة الفرنسية ؟

لقد كتب صحفي زار موريطانيا وكتب انطباعاته عنها في جريدة شنقيط عام 1959 هذه الفقرة عـن نشاط مفيرما الى ذلك الوقت (.. ان الاتفاق الـذي ابرم بين الحكومة الموريطانية وشركة استغلال الحديد لموريطانيا تنص على ان تبدا الحفريات بعد سنة مـن التوقيع ، ولكن تلك الاعمال اجلت سنتين كاملتين اي الى عام 1955 ثم ارجئت الى سنة 1956 وكانت هناك عقبات اخرتها عاما آخر ثم عادت فؤجلت الى سنـة 1958 ثم ارجئت الى 1959 ولكن ظروفا قاهرة جعلت التنقيب يتاخر ، ولاشك انه سيبتدىء في مستهـل 1960) .

هذا ما كتبه صحفي زار موريطانيا ، والواقع ان حدسه ـ من حيث المبدا ـ كان في محله اذ ان ميناء بور اتيان لم يلبث ان استقبل في 19 يوليوز 1960 اوائـل الحفر والقضبان الحديدية ومختلف الاجهزة والسيارات وعشرات الفنيين الاوربيين، وبدات الاوراش تعـج بالحركة ، بل واخذت مدينة اوربية مستوفية شروط السكنى تقام بالقرب من بور اتيان اطلق عليهـا (كونسادو) واخذ العمال الاوروبيون والسنغاليـون يعملون على خلق (الميناء المدني) ويقومون بمد خـط حديدي طوله 650 كيلو مترا .

وفجاة اذيع بلاغ قصير من باريس اعلن فيـه السيد بوليو ان الاعمال ستوقف مرة اخرى ثمانيـة عشر شهرا ـ ابتداء من فبراير 1962 .

فماذا حدث حتى اضطر المسؤولون عن مفيرمـا لوقف نشاط شركتهم وما هي الظروف التي لم يدخلوها من قبل في حساباتهم والتي عصفت بحملهم الاول وهو ربح (معركة الزمن) ؟

الامر هذه المرة لا يتعلق بانعدام المياه الضرورية لتموين الاوراش الموجودة (بكدية الجلد) ولسـد حاجيات المحطات المقامة على طريق فور غورو ـ بـور اتيان ، ولا بغزوات التلال الرملية على الخط الحديدي وطمسـها لمعالمه ، ولا بتعثر المفاوضـات بين الشركة وبين الحكومة الاسبانية التي تحتل منطقة من الصحـراء المغربية يجب ان تمر فوقها فلزات الحديد الموسوقـة نحو البحر ، ولا بالصعوبات الناتجة عن محاولة توفير وسائل الحياة الضرورية للاطارات الفنية التي يتعين عليها ان تعيش في ظروف هي اقصى ما يمكن ان تصل اليه القسوة والعسر ..

ليس لهذه العلل او لبعضها على الاقل تجمـدت اعمال المفيرما كما حصل في السنوات العشر المنصرمة ولكن لاسباب اخرى لم تخطر ـ كما قلنا ـ ببال عباقرة العمليات الحسابية وارباب الاموال الذين سال لعابهم عندما راوا بام اعينهم طبقات الحديد الفنية بالمعـدن الجيد دون ان يستطيعوا تدبير شحنة نحو الاسـواق الاوروبية .

اما بالنسبة الى الذين حكموا على الشركة بالموت، واوقعوا الاسهم في هاوية التردي والافلاس فكان الامر بسيطا لم يكلفهم عناء ولا جهدا ولم يتطلب منهـم عمليات حسابية او هندسية .

ففي ليلة من ليالي دجنبر الماضي اجتمع ثلاثـة عشر شخصا من ابناء موريطانيا ، وممن دربتهـم الشركة واعتقدت ان الفتح المبين سياتي على يدهـم وتعاونوا فيما بينهم على نقل منشآت مفيرما الموجودة في مكان الاستثمار على ثلاث سيارات للشحن ، وكان من بين ما نقلوه اجهزة الحفر ومقاييس الحرارة والماء وجهاز الرصد وآلة الاتصال اللاسلكي ، وعدة صناديق من قطع الغيار واربع بنادق سريعة الطلقات وصندوق للذخيرة وبضعة احزمة من المتفجرات التي تستخـدم لتكسير الحجارة ، ولم ينس اولائك الرجال ان ياخذوا معهم ما كان يضمه المكان من مواد غذائية وقرب الماء العذب ومن الحيوانات المعدة للذبح ، وبعد ان انتهوا من تحميل كل هذه الاشياء وغيرها على سيارات الشركة اخذوا في سلوك الطريق الشرقي نحو مالي ، وكان ذلك قبل ان يطلع الفجر وينتبه السادة الذين كانوا يحتفلون بعيد الميلاد ويملؤون بطونهم من المشروبات الروحيـة وينشدون حول الظبي المشوي الذي اصطادوه في المساء

وقصة الاستيلاء على منشآت مفيرما في كديـة الجلد وحملها نحو مالي عبر صحراء موحشة طويلة لا يمكن ان تكون شبيهة بالاساطير التي تطرقنا بها كتب العجائب والغرائب الا اذا اتممنا فصولها منذ تلـك الليلة الى ان دخل القوم اراضي مالي .

لقد استفاق اصحابنا وافتقدوا جهاز اللاسلكي والتمسوا سيارة ليلحقوا بالفارين وبحثوا عن الرشاشات ولكن عصا الساحر كانت قد لمست كل هذه الاشياء كما لمست غيرها ولم تات دورية الدرك الموريطاني الا بعد ان كان المسافرون قد ابتعدوا مسير ثلاثة ايام وقطعوا ربع الطريق ، نحو هدفهم .

وتهتز بعد ذلك اسلاك البرق نحو المراكز الامامية للحدود ، ويجتهد الطيران المنطلق من قاعدتي أطار ونواذيبو في البحث عن القافلة في هذه الصحراء التي لا ترتسم فوقها طريق ولا تحتفظ بأي اثر ولا تستقيم معها القيافة ، ويمضي هذا البحث عشرة أيام دون جدوى .

وفي اليوم الحادي عشر يجد احد مخافر الحدود ان سيارة كبيرة للشحن تداهم المركز وتجرد حراسه من اسلحتهم ثم تتقدم وتدخل ارضا لا تقع ضمن اراضي موريطانيا ، ولا يمكن للمتعقبين ان يلجوها .

ان هذا العمل البطولي الذي قام به مناضلون موريطانيون اشاوس كان نعيا تلقاه المساهمون في مفيرما في مطلع العام الجديد، وكان درسا بليغا لاشك ان عباقرة الاستعماريين « الجدد » قد وعوه (1) .

1) سبق للكاتب ان نشر بعض المعلومات الواردة في هذا المقال ضمن مواضيع كتب عن موريطانيا .

سلا : احمد الغربي



نبضات فكر

للاستاذ عبد الكريم غلاب

قرأه وعلق عليه الأستاذ محمد برادة

اعتقد ان عرض ونقد كتاب نبضات فكر للاستاذ عبد الكريم غلاب ، من الصعوبة بمكان ، لان الشكل الذي كتب به يجعل الناقد متارجحا بين اعتباره مجموعة مقالات ، او اعتباره مجموعة خواطر صحفية، فاذا استعملنا المقاييس المحددة لفن المقالة وجدنا انها لا تنطبق على محتويات نبضات فكر ، لانها تفتقر الى التاني اللازم لتتبع ظاهرة ما او فكرة معينة ، واذا اعتبرناها مجرد خواطر صحفية كتبت في ظروف خاصة من العجلة وملاحقة سرعة المطبعة ، فاننا لن نطمئن الى هذا الاعتبار لانمضمون هذه الخواطر يحرك ادمغتنا بقوة ، ويدفعنا الى دوامة التفكير المتصل الذي يسلمنا الى طرح اسئلة عميقة تخرج عن نطاق ما نالفه في الخواطر الصحفية العابرة من ارتباط باحداث معينة .

مهما يكن فان هذه الاشارة تجعلنا ندرك دقة موقف الناقد الذي يتصدي لمناقشة نبضات فكر، لانه يجب ان يحتاط في اصدار الاحكام ، ولعل من جملة الاحكام التي تغري الناقد باصدارها ، وانا استعمل اللفظة عن حسن نية ـ الحكم بالتبسيط ، ذلك ان الكاتب يطرق موضوعات ذات اهمية بالغة في العصر الحديث مثل : « تضامن الفكر » ، سلطة الفكر ، هل يقبر الفكر ، انتكاس الحضارة ، ازمة القلق ..لخ ، فيتوقع من يقبل على قراءة هذه الموضوعات عمق الابعاد التي سيحمله الكاتب اليها ، وجفاف الاجواء والمصطلحات .. ولكن الاستاذ غلاب يتناول موضوعاته من زاوية واحدة لا دخل فيها لتعقيدات الفلسفة ومصطلحات علم الاجتماع .. انه يعبر عن رايه في لغة مشرقة وبكيفية مباشرة دون ان يجعل القارىء يلهث لادراك المعاني مثلما الفنا ممن يتصدون لدراسة هذه الظواهر ، من اجل ذلك فانني في تقدي لنبضات فكر ، ساكتفي بتسجيل بعض الايحاءات التي اثيرت في نفسي عند القراءة ، وستكون ـ في الواقع ـ خواطر ورؤيات استجابت لحرارة تلك النبضات فسارعت الى التعبير عن نفسها لولوج عالم الفكر الرحب ..

في مقال او خاطرة « سلطة الفكر » يحمل المؤلف رجال العلم والفكر مسؤولية السير في ركاب الساسة والانقياد لانحرافاتهم ، ويطالب بأن يسترجع الفكر حريته وسلطته حتى يستطيع اداء مهمته .. الواقع ان من اهم مظاهر تأزم الحضارة المعاصرة ، انفصال الاخلاق عن السياسة (الاخلاق في معناها العام) ، مما فسح المجال لظهور الساسة المحترفين والمغامرين العاملين على خدمة مصالح ذاتية او مصالح فئات احتكارية ، وقد عبر نيتشه عن هذه الظاهرة فقال : « ان العالم يدور حول محور يقيمه مبتكرو القيم الجديدة ، وهذا الدوران يظل غير ملحوظ .. ولكن الشعب والمجد يدوران حول رجال السياسة ، وهذا ما يسمى بمجرى العالم .

هذا التشخيص لضعف الفكر صحيح ، ولكن هل يكفي ان نطالب له بالحرية والسلطة ؟

اعتقد ان حرية الفكر من الاقانيم الجميلة التي لم يعد لها وجود في المجتمع الحديث ، لان الفكر اصبح مطالبا في عصرنا بان يبرر وجوده ، اي ان يخرج من هالته النظرية ليثبت صلاحيته في دنيا الواقع ، ومن ثم كانت النظرية الماركسية التي تشترط اندماج الفكر بالعمل ، تترجم خيبة الناس في كل تفكير لا يتجاوز التخطيطات النظرية ، وتعبر عن التعلق

بالتفكير الذي يبرز ذاتـه من خلال اعمال ملموسة . فالمطلوب من المفكرين اليوم هو الاسهـام فى معركـة الانسان ضد الطبيعة وضد اختلال المجتمع ، وتطبيق ما يعتقده من افكار ، اما اذا ظل المفكرون يحافظون على استقلالهم ويطالبون بالحرية ، فان ذلك سيترك المجال فسيحا لانحرافات الساسة، ولن يجدينا نفعا ان تسمع الاحتجاجات ونداءات الضمائر الحرة لان العمل اصبح هو جوهر التفكير ومظهره الرئيسي ، ولعلنا من كثرة ماترددت على مسامعنا عرائض الاحتجاجات والانذارات يبعثها ائمة الفكر والعلم ، قد انتهى بنا الامر الى نوع من الرثاء لهؤلاء « الجبابرة الضعفاء » فنحن نذكر ، مثلا، الرسالةالتي بعث بها اينشتاين الى الرئيس روزفيلت يعلن فيها ميلاد القنبلة الذرية ويحذر من عواقبها ، فهل اثر ذلك الاحتجاج فى شيء ، انه ما يزال يوجد فاصل بين مسؤولية العالم ومسؤولية السلطة كما لاحظ ذلك العالم الامريكي ليون سزيلار الذي عمل على تكوين مجلس اعلى يضم كبار العلماء فى الولايات المتحدةمهمته الدفاع عن السلام والحيلولة دون تسخير اكتشافات العلم للتخريب والتدمير .

وفى المقال المعنون بانتكاس الحضارة ، يسرد المؤلف بعض المظاهر التي تعكس اختلال توازن الحضارة وطغيان الجانب المادي على الجانب الروحي ، وبعد هذه المقدمة يقف عند نقطتين هما تفجير القنابل والميز العنصري ليتخذ منهما دليلا على افلاس الحضارة ، والنتيجة التي يستخلصا الاستاذ المؤلف هي ان ثورة افريقيا ضد الاستغلال وضد الميز العنصري من شأنها ان تخط خلاص الحضارة وتطهرها مما علق بها من الرواسب العفنة ، واظن ان الاستاذ غلاب انساق لعاطفته فلم يعط للموضوع ما يتطلبه من التدقيق والعمق . فمثلا تفجير القنبلة الفرنسية فى صحراء الركان لا يمكن ان نتخذه دليلا على « لا انسانية » الحضارة الاوربية ، انني اعتقد ان هناك حضارة انسانية واحدة تقترن بدايتها بوجود الانسان وتمتد الى آفاق المستقبل المجهول ، ونحن فى دراستنا لبعض الخصائص الحضارية نخضع فى ذلك التقسيم لمراحل معينة ، ولعل المرحلة المعاصرة تثبت بقوة انسانية الحضارة واشتراكيتها بين الامم .. فمن خلال الانتصارات الباهرة والاخطاء الفادحة التي ارتكبتها الحضارة فى مراحلها السالفة ، يتبلور وعي جديد لدى كل القوات الحية فى العالم ، ويشتد الاحساس بضرورة تشييد صرح حضاري جديد تتضافر فى بنائه جهود مشتركة ومفاهيم تقدمية ثورية فى جميع اقطار العالم .

ولا جدال فى ان الدول النامية بما فيها افريقيا ، ستضطلع بنصيب وافر فى هذا البناء ، لانه يتحتم عليها ان تقنع الاحتكاريين والكرماء الحاتميين من « الدول الكبرى » ان عهد الوصاية والاستغلال قد اندثر ، وان دول ثلث العالم تعي مسؤولياتها فى بناء اسس حضارية جديدة تتلاءم ومعطيات التطور الجديد .

فكرة اخرى وقفت عندها غير قليل ، وهي التي عنونها الاستاذ الكاتب بأزمة القلق ، والحقيقة ان هذا الموضوع يحتاج الى كتاب خاص ، لانه من موضوعات الساعة التي تشغل الجيل المغربي الصاعد ، ومن راي الاستاذ غلاب ان اساس الازمة مصدره فقدان الايمان بصفة عامة ، ولكن كيف نستعيد ذلك الايمان الضائع؟ تلك هي المشكلة .

اعتقد شخصيا ان ازمة القلق بالنسبة للانسان العربي او بالنسبة لانسان الدول المتخلفة بصفة عامة ، تفوق فى حدتها ازمة القلق عند الامم التي بلغت مستوى حضاريا لا بأس به ، ذلك ان قلقنا ينعكس فى مظهرين اثنين ، وهذا الازدواج يضيف قلقا على قلق فيشتد اوار الازمة :

1) المظهر الاول هو المظهر المشترك الذي تتجلى فيه الازمة ممن اعتدنا تسميتها بالدول المتحضرة ،واهم هذه الازمة هي العبثية ، والشعور بالخيبة ، والخوف من نشوب الحرب وقسوة المدنية .. الخ .

2) المظهر الخاص بالمثقف لعربي الذي يحس بعد الشقة بين ما تلقاه من ثقافة مجردة ، وبين واقع امته المرير وتخلفها المادي والحضاري ، ونتيجة لانعدام ثقافة قومية متماسكة نابعة من اعماق الشعب وداعية الى تغييره وتطويره ،ونتيجة لتغلب طابع الاستيرادعلى ثقافة شبابنا ، فانهم يحسون بقلق حاد مصدره الشعور بالعجز امام المسؤوليات الجسام التي يفرضها الكفاح ضد التخلف ومحو الرواسب .

هذا المظهر الخاص لازمة القلق لا يوجد فى الدول « المتحضرة »، لان مجتمعاتها توجد فى حالات «طبيعية» وقد سبق لي ان عبرت لبعض الاصدقاء الاوربيين عن هذا الراي فعارضوه بدعوى ان شباب البلاد المتخلفة يوجدون امام مشكلة واضحة الجوانب ، ذات اطار مادي ، اما شباب الاقطار المتحضرة فانهم يعيشون ازمة شاملة ، مبهمة الملامح ولا يستطيعون الوصول الى تحديد هيكلها بالالفاظ .

على كل ، فانا متفق مع المؤلف في ان القلق بحد ذاته ، دليل على الحيوية والتفاعل ، وانه بمثابة المخاض السابق لمرحلة الاختيار ، اختيار اسس الايمان الجديد

ننتقل الآن الى موضوع يتصل بالادب ، وهو الذي عنونه الاستاذ غلاب بضمير الكاتب ، ونفهم من قراءته ان التزام الاديب يجب ان يستوحيه من ضميره، وان يكون منسجما مع صدقه في جميع الحالات ، ان مثل هذا التحديد للالتزام فيه كثير من الاعتماد على ذاتية الكاتب"، وهو بعد ، يقتضي منا ان نحدد مفهوم الضمير وصدقه ، الى غير ذلك من العناصر التي يصعب البحث فيها لافراطها في الخضوع لمقاييس شخصية تتباين بتباين الافراد ، واعتقد ان مفهوم الالتزام كما وجد اليوم ، اكثر انضباطا وواقعية لانه يضع الاديب امام مسؤولية اختيار اجتماعي شامل ، ويخرج به من نطاق الذاتية الضيقة ، فلم يعد كافيا ــ كما قال سيكوتوري ــ « ان يكتب اديب نشيدا ثوريا ليقال عنه انه ساهم في الثورة الافريقية ، بل يتحتم عليه ان يخوض غمار الثورة عمليا مع الشعب ، وبعد ذلك تاتي الاناشيد عفوية على لسان الثوار » .

اريد ان اختم مناقشتي لنبضات فكر بالوقوف قليلا عند المقال المعنون بالشعر ومادية الحياة ، لاشك انه موضوع يتطلب مجالا اوسع ، لانه من موضوعات الساعة في النقد الحديث ، وانا متفق مع السيد المؤلف في ان المظهر المادي الصارخ للحضارة هو اساس الانصراف عن الشعر .. ولكني اريد ان اضيف بان الرواية والمسرحية هما اللتان زحزحتا الشعر عن عرشه ، لانهما تتوفران على امكانيات اكثر للتحليل وتشريح مظاهر حياتنا المعقدة ، وقد اصبح المثقف العادي اكثر وعيا عن ذي قبل ، فاصبح لا يقبل ان ينكب على قراءة قصائد تطفح بالعاطفة والاحلام ، ان الانسان المعاصر يحاول جهده التكيف مع الظروف الجديدة للحضارة ، ومن ثم ياتي تجاوبه مع الوسائل التي تهيىء له سبيل هذا التكيف ، يقول المؤلف بعد ذلك ، ان الشعر بالرغم من كل شيء سيستمر « لانه وجد منذ وجدت الطبيعة ، ومنذ وجدت الاحساسات الانسانية ، وحالف الانسان في محنته ، وسعادته ، في حروبه وسلامه » وانا اخالفه في هذا الراي وارى ان الشعر سيستمر لانه تفطن الى امكانيات التطور التي يجب ان يستغلها ، وقطع اشواطا لا باس بها في الاستجابة لها ، فخرج عن الطابع العاطفي المحض ، وارتاد آفاقا الميتولوجيا والفلسفة ، وتطلع الى تسجيل اللحظات الحضارية بكل ما فيها من عمق وسعة ، ولا تفوتنا ــ في هذا الصدد ــ الاشارة الى مدى التطور الذي حققه الشعر المعاصر على يد شعراء امثال ت. س اليوت ، وابولنير ، وسان جون بيرس ، وبليز سندرار ، وبدرشاكر سياب ، وصلاح عبد الصبور .

ويذهب الناقد ماثيو ارنولد الى ان الشعر هو الملجا الذي ستأوى اليه القلوب الخاوية من كل ايمان .. يقول في هذا المعنى :

(ان للشعر مستقبلا هائلا ، لان الانسانية ستجد في الشعر الجدير بهذا المستقبل ، مستقرا لها يتجدد الاطمئنان اليه على مر الايام ، لقد بدات المعتقدات كلها تتزعزع ، واخذ الشك يتطرق الى المذاهب التي كان الناس يجتمعون على صحتها كلها ، كما اخذت التقاليد تؤذن بالتداعي والانهيار .. اما الشعر فانه يقوم على المعنى ، والمعنى بالنسبة اليه هو كل شيء) .

اننا لو تتبعنا جميع الافكار الواردة في « نبضات فكر» لاستطعنا ان نجعل منها منطلقا لافكار ومناقشات اخرى لا يتسع لها المجال ، والواقع ان نبضات فكر عنوان يدل على منهج المؤلف الذي يمزج بين الفكر والشعور في توازن متماسك ، واسلوب مشرق ، ولو انني لم اقراه بعقلية الناقد الذي يريد ان يفهم قبل ان يتاثر ، لاعفيت القارىء من كل هذه المناقشة العقلية الخالية من النبض .. مهما يكن ، فان دنيا الفكر رحبة متسامحة تتقبل كل الاراء .

الرباط ــ محمد برادة



اسلام بلا مذاهب

للدكتور مصطفى الشكعة

قراه وعلق عليه الاستاذ عبد القادر زمامة

موضوع الخلاف العقائدي في الاسلام من الموضوعات الخطيرة والقضايا الكبرى التي شغلت اذهان المفكرين المسلمين ايام ازدهار الحضارة الاسلامية ، فكتب الامام ابن حزم الظاهري وكتب الشهرستاني ، والبغدادي وغيرهم ابحاثا طويلة الذيل عالجوا فيها تحليل المذاهب والآراء لمجموع المذاهب الاسلامية الشهيرة : من سنة ، ومعتزلة ، وشيعة ، وغالية . والظاهرة العامة لكتابة هؤلاء المفكرين والمؤرخين تبدو في شكل صراع فكري ترتفع درجة حرارته كلما كان الكاتب متعصبا لمذهب معين، او فرقة معينة ؛ وتنزل كلما كان الكاتب معتدلا متسامحا مع مخالفيه ، فضاعت كثير من الحقائق ، وغمضت كثير من المواقف وديست كثير من القضايا بالحق تارة وبالباطل اخرى .. وكانت ردود الفعل عنيفة من الجهة التي تتعرض للنقد او التجريح ..

فالباحث الذي يحاول معرفة الحقيقة عن احدى الفرق الاسلامية مضطر لمراجعة كتب انصارها وخصومها على السواء .. لان ضالته المنشودة لن يقتنصها الا من غبار المعركة التي احتدمت بين اقلام الانصار والخصوم .

واصوات ـ الوحدة ـ والاتحاد بين المذاهب والنحل ، كانت ترتفع احيانا في شكل صيحات ينادي بها رجال الاصلاح الاسلامي من (السلفيين) وغيرهم ، ولكنها كانت صيحات لاتلبث ان يخفت صوتها ويضمحل امام الضجات العنيفة التي يثيرها ـ المذهبيون ـ دفاعا عن الوضعية ـ المذهبية ـ في المجتمع الاسلامي ..

ولعله لم يخطر على بال هؤلاء ان هذه الوضعية ستكون في يوم ما ثغرة واسعة لاعداء الاسلام والمسلمين ينفذون منها بسهولة لضرب بعضهم ببعض كفرق متناحرة ، متعادية ، حتى اذا آنسوا الضعف من الجميع فوقوا وصوبوا القذائف للعقيدة نفسها ، بما فيها من شريعة ونظام ومقدسات ..

واغرب الغرائب في قضية الصراع المذهبي والصراع بين الفرق والنحل الاسلامية .. ان كثيرا منها نشأ حول خلاف سياسي توفرت اسبابه الحزبية والشخصية ، في فترة معينة من تاريخ الاسلام ، ثم زالت تلك الاسباب وانطوت تلك الفترة بخيرها وشرها وانعدمت كل دواعي الخلاف .. ولكن الفرقة ظلت قائمة وتلك الفرق ظلت متمسكة بما سنه المؤسسون لها كقانون متحجر لايعاد النظر فيه على اساس وحدة اسلامية نادى بها كتاب الله الذي يومن الجميع بقوله : (واقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) .

وجاء الغزو الاروبي لشعوب الاسلام ، وتغلغل حربيا واجتماعيا ، وفكريا في اعماق الاعماق ومرت ظروف قاسية بالمسلمين استعمل فيها خصومهم اسلحة فتاكة من جملتها استغلال العداوة بين الفرق الاسلامية واثارة دفائن الاحقاد .. ومعذلك بقي الوضع قائما ..

وهذا ما اثار غيرة كثير من الاساتذة والباحثين في العصر الحاضر .. وهذا ما اثار همة رجال الاصلاح الاسلامي في نهاية القرن السالف واوائل هذا القرن وكل عالج الموضوع على طريقته الخاصة واسلوبه الخاص .. منها السياسي .. ومنها الاجتماعي .. ومنها الديني .. ومنها العلمي .

ولعلك ادركت من هذا الحديث الذي احدثك به ان الكتاب الذي اقدمه اليك يتناول هذا الموضوع بالذات ، وهو من عنوانه : ـ اسلام بلا مذاهب ـ الفه الاستاذ الدكتور مصطفى الشكعة المستشار الثقافي لسفارة الجمهورية العربية المتحدة فى واشنطون ، ومدرس الحضارة الاسلامية بكلية الاداب بجامعة عين شمس ، وهو الآن من المع الشخصيات بين شباب الجمهورية العربية المتحدة فى ميدان البحث الادبي ، والتاريخي ، قرات له عدة ابحاث قيمة اهمها ـ دولة الادب عند الحمدانيين ـ كان موفقا فيها الى ابعد حد ، وكتابه الجديد ـ اسلام بلامذاهب ـ قدمه الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر الى القراء بمقدمة طريفة قدر فيها الكتاب ومؤلفه ، كما قدر الموضوع واهميته ، وهو الخبير المختص فى هذا الميدان ..

والكتاب وان كان صغير الحجم (304 صفحة) فهو الى جانب ذلك جامع لاطراف الموضوع ، من ناحية تاريخ الفرق الاسلامية منذ نشأتها الى الآن ، مع عرض ارائها ومذاهبها فى لطف ولين ، وامانة تدعو الى الاعجاب ، فهو امين فى النقل .. نزيه فى العرض .. هادىء فى المناقشة .. داع الى الوحدة بحكمة .. لا يثير حقدا ولا غضبا .. ولا يسرف فى تأييد او انتقاد ..

وقد قسمه ابوابا .. تكلم فى الاول على ماهية الاسلام كشريعة ونظام خالد لتنظيم المجتمع الانساني ، ووقف الاستاذ مصطفى وقفة مجيدة مشرفة من قضية الاسترقاق ، وابان بحججه القوية ومنطقه الواضح الرزين براءة الاسلام من تهمة الدعوة الى الرق واستعباد الانسان لاخيه الانسان .. تلك التهمة التي لازال يرددها ببغاوات اوربا وسدنة التعصب من ابنائها .. مع انهم يعمون ويتصاممون عن امتهان الرجل الملون فى ظل بريطانيا .. وامريكا .. وجنوب افريقيا .. وابادته فى استراليا ...

وتناول فى الباب الثاني انقسام الاسلام الى مذاهب وفرق وقد كان عميق البحث ، ريان من المادة التاريخية .. خارجا عن سلطان التعصب .. عارفا بالجذور والاصول قبل النتائج والفروع ..

فالخوارج كحزب سياسي كانت الظروف السياسية دائما فى خدمته .. يحلل موقفهم التاريخي بوضوح .. ولاسيما من ابن الزبير حيث كانوا يحاولون ضمه الى صفوفهم .. ثم قلبوا له ظهر المجن بعد محاورة طريفة .. واضاعوا الخلافة من يده .. وهم كفرقة دينية ذات طابع خاص فى اقامة بعض الشعائر نجد المؤلف لا يهمل طابعهم ، وان كانوا فى الواقع حزبا سياسيا ذا راي خاص فى الخلافة ..

والشيعة كفرقة دينية مبنية على عقيدة فى راي بعض الباحثين .. او كحزب سياسي فى راي آخرين .. يقف المؤلف منها موقفا نزيها يصور الحقائق كما هي لا كما ينبغي ان تكون ..

ويعدد فرقها الشهيرة غالية ومعتدلة وبعض اوجه الخلاف بينها وبين اهل السنة .. ويربط ذلك بالوضع الحاضر فى البلاد الاسلامية فى دقة وحذر وانصاف .. ولا ينسى الدكتور مصطفى بعض الطرائف التاريخية حول كثير من القضايا .. كنكاح المتعة الذي ابطله عمر بن الخطاب واقره اهل السنة على ذلك فى مذاهبهم الشهيرة .. وتمسك الشيعة باباحته الى الآن .. ورووا فى كتبهم ان عبد الله ابن الزبير عير بتحليله لنكاح المتعة .. فاجابه ابن عباس قائلا :

سل امك كيف سطعت المجامر بينها وبين ابيك ..

ومشكلة الاسماعلية وغموض مذهبها عالجها المؤلف بدقة عجيبة حيث حكم النصوص والادلة التاريخية لها وعليها من غير اسراف ، وربط كل ذلك بالطوائف المتفرعة عنها فى الهند والباكستان والبلاد العربية .. ولاسيما طائفة الدروز فقد اوضح كثيرا من افكارهم واسرارهم .. مما يعد ـ بحق ـ طريفا ـ فى هذا الموضوع ـ

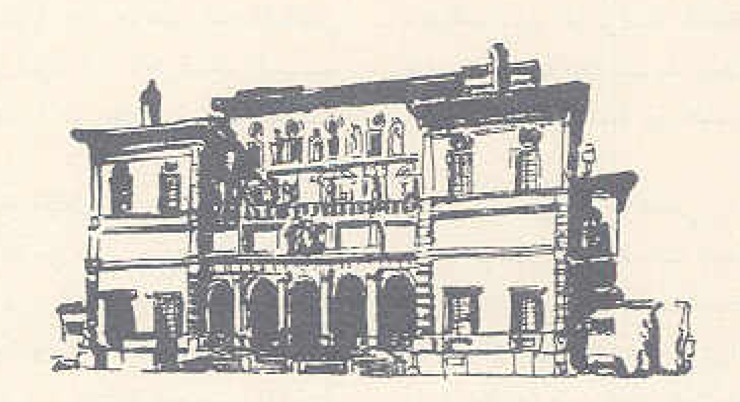
ويختم هذا الباب ـ وهو اهم ابواب الكتاب ـ بحديث موجز عن المعتزلة واهل السنة ، والسلفيين ، ولم يات في هذا الحديث بشيء طريف ، لان الموضوع مطروق مدروس بقلم كثير من الباحثين شرقيين وغربيين .

اما الباب الثالث من الكتاب فهو ـ حرب وقتال بسبب المذاهب ـ فقد عالج فيه المؤلف الطور الدموي من صراع المذاهب .. وما تخلله من مئاس جر اليها التعصب الاعمى والمصالح الحزبية التي كانت تستغل احيانا عواطف الجمهور وحماسته فتنكل بخصومها تنكيلا .. مما اضعف السلطة .. وفرق الكلمة .. واوهن الدولة .. واورث الاحقاد ..

وبعد فلعلي اديت بعض الواجب ازاء هذا الكتاب القيم وازاء هذا الباحث العربي الذي تقمص روح العلم ، ونزاهة الضمير .. وجاذبية الاسلوب والعرض منذ ان خط اول سطر في مؤلفه .. الى ان ختمه بهذه الجمل :

(تلك هي فكرة الاسلام بلا مذاهب نادينا بها في ظل هذه الدراسة ، ولم يكن هناك من دافع سوى ما لمسناه من الشر والضر والاذى الذي يقع على المسلمين متفرقين .. والخير والنفع والعزة التي يعيش في ظلها المسلمون ما كانوا متكاتفين متحدين .. هذا فضلا على أن لب العقيدة واحد ، ومصدرها واحد، والهها واحد ورسولها واحد) .

فاس : عبد القادر زمامة





نهضة الشعب تمجيدا لرسولها

لشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء

صدق الوعد ... فاطفحي يابشائر   ودنا السعد ... فامرحي ياجزائر
ومضى الزحف ، يجرف السد لما   ان طغى المد ، من دماء المجازر
واستوى الفلك ... بعد ان قيل بعدا   وانطوى الشك عن ضمير الدياجر
واجتلى الرب ، يوم كلمه الشعـ   ـب ، وناجاه في الذرى كل ثائر
ودنا من كليمه فتدلى   قاب قوسين ، عاصفا بالجبابر
وصدقنا الفدا فرعنا المنايا   وسبقنا المدى ، فسقنا المقادر
واردنا البقا ، فدسنا غرور الد   هر ، فانقاد راغم الانف صاغر
وسخرنا من مزعجات الليالي   وهزانا من كبرياء المخاطر
واتى امرنا ، فاطرقت الد   نيا خشوعا ، واذعنت للاوامر
ووضعنا شريعة ، فاحتكمنا   بتعاليم شرعنا في المصائر

يا سماء اقلعي ... ويا ارض غيضي   واسم يا عقل .. واخلصي يا ضمائر
اينع الغرس من رماد الضحايا   ونما الزهر من رفات المقابر
ونفوس المضرجين تصاعد   ن ، بخورا ، من عابقات المجامر
حولوا هذه المشانق عيد   انا ، والواحها النضاب مزاهر
وافتلوا من حبالها الحمر اوتا   را ، بها تعزفون لحن البشائر
وصرير الاغلال في الشجن اوزا   نا ، واقفالها الغلاظ مزامر
واتين المعذبين تسابيـ   ـح ، بها تلهبون اسمى المشاعر
والحنايا من الضلوع محاريـ   ـب ، واكبادها الحرار منابر
وابعثوا من تنهدات الصبايا   في سراديبها ، نبوغ العباقر

انا من فيض وحيها نبع الهـا   مي ، ولولا العذاب ، ما كنت شاعر
انا من همت بالجبال قديما   وتغنيت بالعيون الفواتر
وعشقت الاصيل ، والنهر ، والـوا   حة ، والرمل ، والمها ، والجئاذر
والصباح الطروب ، والورد ، والشا   طيء ، والليل ، والنجوم الزواهر
منذ عرفت الجمال آمنت باللـ   ـه ، وآمنت بعده بالجزائر
منذ عرفت الجلال ، آمنت بالمغرب ،   فردا ، موحدا ، متئازر
لا حدود ، لا مذهب ، لا امتياز   لا جدود ، لا نزعة ، لا عناصر

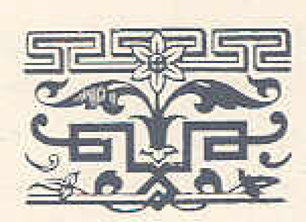
شرعة المغرب الموحد ، ديني   بسوى دين وحدتي ، انا كافر
وطني ... انت بدعة صنعتها   من طلاسيم فنها يد ساحر
وطني ... انت بسمة الرب فى الار   ض ، ومرآة حسنه المتواتر
وعلى الاطلس المريد يداه   تقدحان الزناد فى كف ثائر
وبساح الفداء ، صرخته الكبـ   ـرى ، تدوى ، فتستفز القساور
وطني ... لو دخلت جنة عدن   وعدوني ، لم افتتن بالمظاهر
واذا كان من جمالك فيها   تبت لله من جميع الكبائر
لك اخلصت ــ قانتا ــ صلواتي   وتعلقت ــ خاشعا ــ بالستائر
وبانفاسك الزكية تسمو   كلماتي ، واستمد الخواطر
وبارض الكرام ، فى يوم عرس   قمت ، والشعب بالهتافات هادر
رجموع البلاد تزحف كالسيـ   ـل اندفاعا ، وكالحيا المتقاطر
والبنود المرنحات تشاوى   راقصات ، محمومة ، تتخاطر
والصبايا ، ذكرن حواء بالتفـ   ـاح يرتج ، نافذ الحكم آمر
وسرت رعشة الزغاريد فى آ   دم ، فاهتز يستزيد السواحر
وشياطين للصحافة حيرى   فى المطارات ، بين ساه وساهر
من عجول ... الى سلا ... يتنادى   وملول ... مهرول للنواصر
وعيون المصورين سهارى   تعصر الوهم ، من خلال المناظر
ان تنفست ، او تبسمت ، طارت   نشرات عبر الدنا تتناثر
والاعازيف ، (مرحبا بابن بلا)   فى الحنايا تهتز منها المناشر
حدث رائع ... وامر جليل   طيروه ... لا تحفلوا بالمصادر
واقبسوه من كل ومضة برق   واخطفوه من كل خفقة طائر
نبأ فى السماء ، تجهله الار   ض ، سلوا عنه حائمات الكواسر
الفت رؤية الصواريخ فى الجـ   ـو ، فحامت على الشجاع المغامر

ايها النازلون ، بعد طواف   نووي ، مكلل بالمفاخر
اعبروا هذه القلوب دروبا   واجعلوا هذه العيون معابر
من رباط ، صعدتم ، لتعودوا   بعد ست ... كما يعود المسافر

كالوليد السعيد ، كالفرحة الكبـــ ـــرى ، كما عاد للديار مهاجـــر
كنزول المسيح ، كالوحي ، كالايمـــ ـــان ، كالوعد ، كالحظوظ البواكـر
والاماني العذاب ، مـلء الحنايـــا والتهاني الطراب مـلء الحناجـــر
وصفي ابن يوسف : الحسن الثانـــ ـــي ، يعز المعاد ، جذلان ظافـــر
قدس الشعب فيه قائده الاعـــ ـــلى ، كما قدس الغزاة العساكـر
هل رايتم في الصاعدين ابـــاه ؟ ووقفتم عليه وقفة زائـــر ؟
فحملتم رسالة الاب لـــلابـــ ـــن ، كما يحمل الرسول البشائـر
ونشرتم قميص يوسف في الحفـــ ـــل ، على الشعب فاستنارت بصائر

ايها العائدون عــودة نصـــر يـوم دارت على العدو الدوائـــر
وبناة الخلـود ، في قصـر (انـــوا) فوق انقاض ماردات القياصــر
انتم مطمح الجزائـر في الجلـــ ـــى ، واشعاع روحها في الدياجـر
والالى اضـرمـوا شرارتهـــا الاو لى ، واذكوا لهيبهـــا المتطايــر
وصمام الامان في وحـدة الشعـــ ـــب ، اذا رام كيدها متـآمـــر
ورجـاء الغـد السعيـد اذا مـــا غاث مستهتـر ، وخـان مكابـــر
طهروها من الرواسب ، والاطمـــ ـــاع ، والدس ، واعصفوا بالسماسر
واقطموهـا على العروبة فكـــرا ولسانـا ، ومهجـــة ، وضمائـــر
واحرسوا شعبها ، من الحية الرقطـ ـــاء ، فالسم في التواجد ضامـر
ثقة الشعـب ذمة ، فـارقبوهـــا واحذروا الشعب ، يوم تبلى السرائر
ان فعلتم ... فالمجد ، للمغرب الجبـــ ـــار ، والعـز والبقـا للجزائـر

تونس : مفدي زكرياء



صوت الشهيد الى السماء

للشاعر
عوضه عبد الرحمن الترابي

فجر اطل على الوجود سناؤه   واهل مشبوب اللهيب ضياؤه
وغدا يبشر بالسلام وامنه   ويعم آفاق الحياة نداؤه
قد اعقب الليل المجلل بالاسى   والمفزعات تثيرها ظلماؤه
صوت الشهيد الى السماء وقد دعا   عند الشهادة فاستجيب دعاؤه
ارض الجزائر والبطولة والفدا   والسيف لاح صقيله وجلاؤه
والمدفع الرشاش فى ساح الوغى   يصلي المدائن والقرى لاواؤه
وترابك القدسي من نيرانه   لم ينج عامره ولا صحراؤه
لله يا وطن الاباة مخضبا   بدم الجهاد اديمه وسماؤه
تسعون شهرا فى الكفاح ولم تهن   عزمات شعبك او يلين بلاؤه
لم يستذل لظالم مستعمر   بل ظل خفاقا عليه لواؤه
ضربت به الامثال فى الباس الذي   خضعت له عند اللقا اعداؤه
واذا تمنعت النفوس على الفدا   فالزاكيات من النفوس فداؤه
يا بن الجزائر لا عدمتك ثائرا   يحمي حماه وليس يخبو مضاؤه
ولكم رددت على العدو وناره   بالصاعقات وهذه اشلاؤه
ما اسطاع حلف الاطلسي وجيشه   نصرا يفوز به وخاب رجاؤه
فدعا الى وقف القتال مفاوضا   ندا كريما كلهم اكفاؤه
شهدوا بحق الشعب فى حرية   وكرامة نادى بها زعماؤه
والخمسة الابطال فك اسارهم   والجيش عن قرب يتم جلاؤه
هو ذاك الاستقلال ليس بمنحة   تعطى ولكن بالدماء شراؤه
والحق يؤخذ عنوة وجلادة   وبدونهن خداعه ومراؤه
حييت يا بطل الجزائر من اخ   يسمو الى هام السماء علاؤه
وليهنا الشعب الابي بنصره   فى العالمين ترددت اصداؤه
يبني وينشيء فى البلاد بهمة   قد عز بناء وعز بناؤه
ويعيد للارض الطهور حياتها   ويظل يزكو غرسه ونماؤه
الله اكبر يا جزائر كبري   واثني عليه فانها آلاؤه
سبحانه غمر العباد بعطفه   وتتابعت من فضله نعماؤه



اليوم تظهر فى الوجود بشائر ... ويعم هذا الكون سر ظاهر
اليوم يعلو للسلام لواؤه ... وتزول عن افق الشمال دياجر
اليوم تنتصر الجزائر امة ... وحكومة وبنيه شعب ظافر
فالكون يرقص والطبيعة تحتفي ... والجو طلق والنجوم زواهر
والارض ترفل نشوة وسعادة ... والافق ضمخه العبير الزاهر
والمغرب العربي بطرب زاهيا ... والعرب تهتف والشعوب تشاطر

***

الله اكبر لا مرد لامره ... ختم الالاه لتنصرن جزائر
الله اكبر قد ارانا نعمة ... ظلت تراود فكرنا وتساور
ارض الجزائر تستعيد كرامة ... ايعيث بعد اليوم فيها فاجر ؟
شعب الجزائر يستقل ويرتقي ... درج الكمال ويحتفي ويثابر
شعب غدا بعد الكفاح محررا ... والخصم منكسر الجوانب صاغر
شعب ارانا فى الكفاح صفائحا ... بيضا يزينها ثبات نادر
منذ اندلاع الحرب صمم عزمه ... وغدا يقاوم صابرا ويغاور
لم يستكن لعدوه يوما ولا ... رضي الحياة يسودها متآمر
ما لان قط ولا تردد لحظة ... ان المناضل للتردد هاجر
خاض الغمار مجاهدا ومواظبا ... يسطو على جيش العدى ويخاطر
حتى اتاه النصر يحبو جاثيا ... والخصم منطرح صريع خاسر
خارت قوى ذاك العنيد بارضه ... وانجاب غيم قاتم وسمادر
وانهار الاستعمار في ابراجه ... وانحل عهد بالمفاكر جاهر
وتضعضع الطغيان رغم صموده ... ومراكز الطغيان رسم داثر

كم عذبوا من مخلص متحمس ... لا القتل يردعه ولا الموت زاجر !
كم من فتاة لم يصونوا عرضها ... لو يقدر الجنس اللطيف مغامر ؟
منعوا الفضاء فلا مرور لطائر ... وكذا البحار فلا تمر بواخر
وتفننوا في مكرهم ودهائهم ... وتعددت بعد الدمار مناكر

* * *

ياويح من زعم الجزائر تربة ... عجمية ادماجها متبادر
ان الجزائر امة عربية ... « ما ذا يقول مجاحد ومكابر ؟
ابناؤها عرب اباة خلص ... اخذوا العروبة منهلا وبرابر
وقبائل الاوراس صان عرينها ... جيش من الاحرار بالعرب زاخر
سل جبهة التحرير يوم تأسست ... من جاء يسلك نهجها ويبادر ؟
وسل ابن بلة يوم قام مناديا ... ابن الملبي للندا والناصر ؟
ان العروبة للثوار رسالة ... والمسلم العربي حر ثائر

* * *

حييت يا شعب الجزائر انتا ... بك في العوالم لا نزال نفاخر
انت الذي احييت امة يعرب ... فغدت لركب الطامحين تساير
انت الذي اذكيت جذوة ثارها ... فبدت لها نحو الكمال بوادر
اضحى كفاحك للعروبة آية ... يهتز مغربنا لها ويناظر
بعث الشجاعة والحماسة فى الورى ... شعب له فى العالمين مفاخر
نفخ التضامن فى العوالم كلها ... فرعته فى ذاك الكفاح اواصر
انت الذي انقذتنا من كبوة ... فغدت لنا بعد السبات مظاهر

* * *

حسب الطغاة هلاك شعب كامل ... امرا يدبره العدو الجائر
فتجمعوا وتجمهروا وتظاهروا ... ايفيد جيش الظالمين تظاهر ؟
وعصوا اوامر من يسير حكمهم ... فأتتهم بالزاجرات اوامر
ان انس لا انسى تمرد جيشهم ... فى شهر مايو والدماء موائر
وفلولهم فى ساحة قد تجمعت ... والجنرال مشجع ومناصر
والمجمع الرجعي جن جنونه ... والجيش حام للفلاة مظاهر
ياويحهم ظنوا التمرد حيلة ... يجثو لها مامورهم والآمر

لكنهم خابوا وضلوا رشدهم لما انبرى شعب قوي قاهر
جمع الفداء صفوفه مرصوصة وتوحدت وقت الجهاد مشاعر
وبدت له في النائبات مواقف خر العدو لها وخاب الغادر

* * *

ركب المفاخر مرحبا بقدومكم وبموكب الاحرار حق التفاخر
آساد ملحمة الجزائر مرحبا فالمغرب الاقصى طروب فاخر
هذه البلاد تزينت وتبرجت للقائكم فهي الرياض الناضر
بالامس كانت في حداد دائم تبدي معالم حزنها وتجاهر
ديست كرامة اهلها ومليكها فشعورها بالعار داء ناخر
واليوم يغمرها السرور فتحتفي طربا بمقدم ركبكم وتكاثر
انتم حماة الضيم في ارجائها واسود ثار جر الوغى ومساعر
كنتم بدور النفي بعد اختطافكم واليوم انتم سؤدد متوافر

* * *

لله درك يا ابن بن بلة من فتى شهم له في الكائنات مآثر
قدت الجزائر للتحرر شاهرا سيفا يجاهد في العدى ويخاطر
انت الذي اضرمت ثورة امة عبث الدخيل بارضها والكافر
حسبت فرنسا ان سيف الخوف في كفيك يوقفه اختطاف بائر
ونوت فرنسا ان نار الحرب في قطر سيطفئها احتيال غادر
فطغت على ليث الشرى وتطاولت وعمادها ظلم وبغي كاشر
ما ضر سيفا ان يعود لغمده كلا ولا هابت اسود خوادر
خروا معاركهم وشوه امرهم وبدت لهم رغم الصمود خسائر
امل الجزائر كنت يوم دعوتها للثار في يمناك سيف باتر
ثارت على الباغي العنيد وغامرت وعلت لها فوق الحديد زماجر
يوم النضال راتك بدرا لامعا يقضي على ظلم العدو ويحاصر

جعلت مثالك في المعارك آية | تتلو بواد ذكرها وحواضر
واليوم انت مناطها في فترة | بعد القتال مصيرها بك دائر
فاسلك بها نهج الكرامة والعلا | ان الكرامة للشعوب ذخائر

***

يا أيها الشعب الشقيق تحيتي | اديتها والقلب زاره طاهر
لتنافس الاقلام فيك وفكرتي | يزهو بها هذا البيان الساحر
ان النفوس اذا تناهر حبها | ثارت وصورها اللسان الشاكر
ملأ الفخار رجوا نحى ومداركي | فانا بنصرك فى العوالم شاعر
ملك انتصارك خاطرى ومشاعري | ان انتصارك فى التفاوض باهر
يشدو والقريض بما احس معبرا | والشعر الهام صدوق غامر
فلك التهاني من فؤاد خالص | فهي القلائد والبيان جواهر

الرباط : عبد اللطيف خالص



فرحة اللقاء

للشاعر
محمد بن عمر العلوي

الله اكبر نور حق اشرقا ... فمحى الظلام عن العباد ومحقا
سبحانه من راحم سبحانه ... يجزي بعفو بعد امراض الشقا
يعطي لخلقه ما يشاء لحكمة ... فى علمه سبقت وفضلا مرتقى
عمت مواهب جوده وتكاثرت ... ومن المواهب خصمنا قد اخفقا
خصم تظاهر بالوداد كمخلص ... وحقيقة منه العداء تحققا
لشعوب مغربنا العزيز تحاملا ... كيما يصول بجرمه ويفرقا
ما شئت من مكر وتضليل ومن ... اخزى مكايد تحاك تحنقا
كم من جليل ذاق باس نكاله ... او بيت مجد قد اهان ومزقا
او معهد للدين هد كيانه ... فقضى عليه بعسفه او ضيقا
ومظالم وبوائق ومجازر ... بجزائر وبمغرب قد طبقا
ومفاسد ومئاتم وفواحش ... يندي الجبين لها وتبكي المشفقا
تلكم فعال المجرمين وعسفهم ... وخداعهم قد اظهروه منمقا
داسوا الكرامة والحقوق وبينوا ... غدرا شنيعا بل جحيما محرقا
نكثوا العهود تجبرا وتكبرا ... وعميدهم فى الخزي اضحى احمقا
خبث الصهاينة اللئام ومكرهم ... لك مبدء يا فاجرا يا اخرقا
خطط تسيرها اليهود تكتما ... ضد الاسلام تئامرا وتزندقا
امن المروؤة والبطولة ان يرى ... ضيف تخفر ان يضام ويسرقا
ضيف حماه بعطفه وذمامه ... ملك الدنا رمز الفداء المنتقى
فخر الملوك محمد من حبه ... سكن القلوب باسرها وتفوقا
قبحا لكم من كاشح يسعى الى ... كبح السيادة ان تضارع مشرقا
سحقا لكم فمتى اتيت بمشكل ... صعب المراس فلن تكون موفقا
او ما اتعظت بدرس هند سالف ... والخيبة الكبرى بمصر المطلقا
وفدائح الافلاس تنعي شعبكم ... حتى تدين لليهود تملقا
فرفضم لغة الوساطة عند ما ... جاءت لخير الجانبين ومرفقا
من عاهل نشد السلام محبة ... بين الشعوب وبالوئام تخلقا
فاقمت بالعدوان تذكي ناره ... والفتك فى العزل الاباة وما بقى
من كل اكرم لا يقاس شهامة ... يا مجرما اخطات رأيا اوفقا

وفقدت كل صداقة من مسلم   في المشرقين اما دريت المازقا

اما المطامع لم يعد في وسعها   تضفي عليك برفدها فاسترزقا

والمغرب الحر الابي وحلفه   متضامنان لصد بغيك فاشهقا

وشقيقنا شعب الجزائر صامد   نحو الكفاح حماه صعب المرتقى

بالله اقسم لا تلين قناته   حتى يحز بسيفه لك مفرقا

ويذيقكم مر النكال مجسما   ويبيد ارواح الطغاة فتزهقا

باعانة من ربنا الباري الذي   املى لحزب الظالمين فامحقا

وبجاه قدر محمد من نوره   عم البرايا كلها وتالقا

صلى عليه الله جل جلاله   ما لاح نجم في السماء وابرقا

وعلى ذويه وصحبه وعلى الذي   ضحى لمجد الدين كيلا يمحقا

ثم الدعاء لمالك العصر الذي   اعطى لنا درس الكفاح مدققا

حسن الخصال امير سر فقيدنا   وعزيزنا من بالكمال تطوقا

فبحزمه وسديد حكمة رايه   زال العنا وبدا السلام محققا

وبفضل ما اولاه ربه من رضى   وانار من سبل له فتفوقا

عظمت عواطفه الكريمة فانبرى   لفكاك اسر ضيوفنا فتوفقا

ابقى الاله جلاله وجماله   شمسا لمغربنا يزول به الشقا

فيرى الفلاة وقد تبعثر شملهم   ويرى الطغاة وحزبهم قد مزقا

وترى الجزائر في بهى استقلالها   فترى النعيم وشمسها قد اشرقا

ويرى السلام مخيما بربوع مغـ   ـربنا الكبير منظما ومنسقا

وعليه الوية العروبة والهنا   رغم الانوف وسهوق قد احتقا

فليهنا الملك الغضنفر نصره   وليهنا الزعماء فاتحة اللقا

وليهنا الشعب الشقيق باسره   والعرب والاسلام غربا ومشرقا

ما قال منشد الانطلاق تلهفا   الله اكبر نور حق اشرقا

سلا : محمد بن عمر العلوي





للشاعر :
محمد الخمار

(شاعري ، الجام الذي ذقت جناه ، ان ترم من غضب الغصة كسره ..
ما مصير انت تلقاه ولحن ، لنشيد قد تهادى الخلد عبره ؟
قلب الطرف تجد فجرا جديدا ، من بعيد آتيا يحمل نوره
فالمدام الحلو بعض من تراب ، وسنا الفجر من الدجنة بذره)

فتهادت من فؤادي زفرة مثل رفيف من جناح طائر
كسرت اوصاله موجة ريح ، قد تخطته بخطو العاثر
كشراع مزق الليل نداه ، صفقت اشلاؤه للعابر
زفرة شفت عن النفس وعما قد توارى من اتوني العامر :

« اسمعت البوم من بين الدياجي ، مزق الصمت انينا وشكاية ؟
وعويلا اسمرا يخنقه الدمع ولما يحكنا بعد الرواية
وزفير القلب تدميه الولاويل واشباح الاسى تنفخ نايه ؟
ومياه البحر ترتج صعودا وهبوطا ، اترى تنشد غاية ؟

ارايت الطير يهتز ذبيحا ، من جراح الاسهم الطيش الطليقة ؟
وارتعاشا ظامئا فى حلق زهر ، جففت شمس الهجير المر ريقه
وغديرا اخضرا يروي السواقي ، شرب الدود من الارض عروقه
وصباحا قدسيا ابيضا قد اخرت سحب الدجى الرعن شروقه

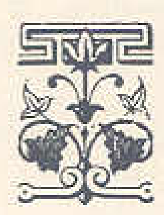
ودمـوع النخل تدربها الليالي ، للاسـى للمـوت مـن وادي السآمـه
وصـلاة الزهـر للصبـح جديـدا ، بتراتيـل السنونو والحمامـه
ووميـض البـرق تغشيـه الدياجـي ، وشعاعا غامضا تجلو المدامـه
تلـك الحـان واوتـار تمطت ، بقيـائيـر سقاهـا الصـاب جامـه

هـي مثلـي منـه عبث غيـر انـي ، زدت عنهـا الـف زق الف رشفه
عشقته النفس حتى خيلت لي ، وشفاهـي فوقـه اعصـر شفـه
ثـم الفيت غزيـرا بعد حيـن ، تحت طيـات مـن اطيافـه عنفـه
لـم تـدم حتى اذابتها رؤى الـدفء بانفاسـي فى رعشـة رفـه

لا تلمنـي ان ارم تكسيـره ، بل لا تسلنـي عـن مصيـري ونشيـدي
فشبيـه يومـي الآتـي ومـاض ، قـد تخفـى من قـريب او بعيـد
انمـا الدهـر باحضـان حيـاة ، لقـم يجتـر فى حلـق وجـودي
كررت ايامـه نوحـا وضحكـا ، كصدي المعـروف مـن الحـان عـود

لا تحدثني عـن الفجر جديـدا ، ان سيبـدو مـن وراء الـدجنـة
انمـا حظـي منـه لحظـات ، سـوف تمضـي ثـم تبقـى وحشتـي
هل ترى ارجـو مـع العاصف شيئا ، مـن وميض بفتيـل الشمعـة ؟
ومتـى كـانت مدامـي مـن تـراب ، وسنـا ببـذر الـدجنـة ؟

القصر الكبير : محمد الخمـار



قصة العدد

القصة الملونة

للاستاذ : احمد عبد السلام البقالي

يصل المد والجزر غايتهما القصوى عند منتصف كل شهر قمري .. وعند الجزر الاكبر يهرب البحر عن شواطىء المدينة الساحلية الصغيرة فيترك صخورا سوداء وخضراء ورمادية ، ومروجا عميقة زرقاء ، وبحيرات كبيرة بين تلال الرمال .. وكلها تعكس اشعة الشمس الغاربة بحمرتها وشاعريتها .

هذا المنظر كان دائما يلهب خيالي ويغرقني في اغفاءة لذيذة كلما شاهدته .

وفي ذلك الصباح بالذات كان الجزر قد بلغ منتهاه وكنت اقود جماعة من صغار الكشافة نحو الضاحية الجنوبية للمدينة الصغيرة ، حيث توجد الكهوف والشقوق المظلمة ، التي يعشش فيها الحمام والخفافيش ، ويملاها البحر حتى منتصفها عند المد الاكبر ..

وبدات علامات الاعياء تبدو على الاوجه الصغيرة ، وانقطع الحديث ، ولم يبق يسمع الا صوت تكسر الامواج على الصخور البعيدة داخل البحر ..

ولاصرف اذهانهم عن التفكير في طول المسافة ، بدات احكي لهم قصة ارتجلت كل حوادثها في الحين .. بداتها بمقدمة حتى اضفي عليها نوعا من الجدية ، وابعد بها عن لغو « مداحي » السوق ..

سألت : « من يعرف العباسة ؟ » فاجاب اكبرهم « العجوز العمياء ؟ » .

قلت : « نعم » .

قال : لقد ماتت ، اليس كذلك ؟

قلت : « نعم منذ عدة اشهر .. وقد اوصت لابي بصندوق فيه كثير من الوثائق والاوراق القديمة هذه الايام كنت انشر محتويات الصندوق على السطح للشمس فعثرت على كراسة بها قصة عجيبة كتبها احد العدول بخط يده .. »

وسأل احدهم بلهفة :

« وما هي القصة ؟ »

وتنحنحت قبل ان ابدا :

« القصة حدثت قبل اربعين او خمسين سنة .. طبعا قبل دخول الاستعمار .. كان بالمدينة صياد شاب يدعى « شويدن » من اقارب العباسة ، كان يعيش هو وعائلته في فقر مدقع .. يعمل صياد سمك في الصيف وحاكا في الشتاء .

وفي يوم خرج هو وزميل له لجمع محار « السرنباق » . وكان البحر في زجره الاقصى .. مثل اليوم .. وتفرق الزميلان على صخور الساحل وبين المروج يقتلعان المحار الكبير المتليء بمعاول صغيرة متينة .. »

ودخل « شويدن » الكهف متتبعا حقلا مستطيلا من المحار النابت بداخله .. وبينما هو يضرب على الصخور ، دخل طرف المعول في شق صلب بين النبات البحري الذي يكسو الصخرة ..

وازاح « شويدن » بيده النبات عن راس المعول ، فوجده داخلا في حلقة ذهبية لامعة ..

وفوجىء بما وجد ، فهم بمناداة رفيقه .. ولكنه آثر ان يعرف ما وراء الحلقة اولا ، حتى اذا وجد شيئا كان له وحده . وادخل المعول في الحلقة مرة اخرى وبدأ يجذبها بقوة .. وبعد عدة دقائق من الجهد شعر ان بابا كبيرا ينشق حوالي الحلقة ..

وبدا قلبه يدق بعنف وهو يجذب الباب لينفتح ..

وانفتح الباب الى تحت .. نزل اعلاه على الارض، فاذا بسلم حديدي ملصق بباطن الباب واطل بداخلها فاذا ظلام حالك يسمع بداخله وقع قطرات ماء تنزل من السقف على الارض ..
وبحث في جيبه عن الوقيد، فاشعل عودا ثم صعد السلم، ودخل ..

كان داخل المكان عبارة عن قبة عالية تتدلى منها استار كثيفة من العنكبوت، وعلى الارض فردات رحى تتدرج في الضخامة والوزن ... واختار هو واحدة كانت اصغرها واخفها، فرفعها من مكانها فاذا تحتها بئر على جداره سلم حديدي .. فاشعل عودا آخر ونزل البئر الى نهايته، فاذا به امام باب قديم ضيق، وحين دفعه هوى الى الارض غبارا مسحوقا .. واشعل عودا آخر وتقدم، فاذا به وسط قاعة اضاءت الوقيدة فيها فجأة اضاءة باهرة .. ونظر حواليه فاذا الجدران والسقوف والارض كلها تلمع وتعكس اشعة وقيدته الصغيرة ..

وبقي مبهورا فاغر الفم حتى احرقت الوقيدة اصابعه لتنبهه انه ليس في حلم فاضطر الى اشعال اخرى

كان المخبأ كنزا قديما يحتوي على صناديق معدنية وخوابي فخارية وتماثيل حجرية كلها ملآنة نقودا او جواهر ودنانير بحجم الكف الكبيرة، وسيوفا وخناجر واحزمة وتيجان مرصعة الى كل ما يدركه وما لا يدركه الخيال .

وكاد شويدن « يجن وهو ينظر الى مايرى حوله ... وفي النهاية قرر ان يعود وحده ليلا ليحمل على بغلته كل تستطيع حمله، كل ليلة قليلا، حتى ينقل الكنز الى بيته ..

وحين هم بالخروج انحنى فالتقط دينارا من الدنانير الذهبية العملاقة ووضعه في جيبه وخرج ...

ومن فرط تأثره لم يستطع الصبر على البقاء مع زميله، فقال له انه اصيب بدوار مفاجىء، وان عليه ان يصحبه الى البيت . وعاد الاثنان الى المدينة .

ومع منتصف الليل كان البحر في جزره الاقصى .. وقد هرب الماء عن الكهوف .. وخرج « شويدن » ببغلته يشق طرقات المدينة الخالية حتى الشاطىء، وحين وصل الى كهفه المعلوم، ربط البغلة على صخرة ببابه، واشعل فنارا كبيرا .. ودخل ومعوله في يده قاصدا باب الكنز .. وفي مكانها بالذات بدا يبحث عن الحلقة الذهبية التي كان قد غطاها ببعض نبات البحر ..

وبحث مرة واثنين وثلاثة دون ان يجد لها اثرا .. واقبل على النبات بمعوله يزيله عن الصخرة الصماء حتى عرى المنطقة كلها من نباتها .. وبدا يبحث بفناره عن اطار الباب الحجري المدفون في الصخرة فلم يجده ..

وكاد يجن .. بدا يشك في شيء حتى في انه مستيقظ، وبدا يضرب على الصخور بقبضتيه ويصرخ ليعرف انه صاح .. فكانت اغوار الكهف تردد صراخه ثم تعود الى صمتها الازلي ..

وقعد على صخرة هناك ينظر الى فناره في شبه غيبوبة بليدة ..
وبدا المد ..

ودخلت موجة فاطفأت الفنار .. وبدات البغلة المربوطة خارج الكهف تحمحم وتحاول الفكاك من رباطها حين بدا الموج يتكسر على قوائمها ..

ولم يستيقظ « شويدن » حتى كادت الامواج تغطيه فافاق من غيبوبته وخرج يجري . كانت البغلة قد قطعت رباطها وعادت الى المدينة .. وعاد هو وحده يهذي بكلام غير مفهوم

وبعد ايام قلائل شاع خبر جنون « شويدن » ..
وفسره الناس تفسيرات كثيرة مختلفة .. فمنهم من قال انه راى « عيشة قنديشة » جنية البحر التي تختار الشباب وتخطف عقله .. ومنهم من قال انه الكيف والحشيش ..

واحتفظت امه « العباسية » وحدها بالسر .. لقد وجدت الدينار في جيب ابنها كدليل على صدق ما حكاه لها عن الكنز ..

وبعد يومين جاء احد اهل الساحل الى المدينة يخبرهم انه راى رجلا يدخل البحر متجها غربا نحو

المياه الزرقاء ولا يعود .. وقال انه ناداه، ولكنه يشك في انه سمعه لبعد المسافة بينه وبين الشاطىء ...

وخرج كثير من الصيادين في مراكبهم للبحث عنه .. وقضوا ليلة باكملها يجذفون ويبحثون بفناراتهم القوية وينادون ..

وفي الصباح عادوا وعلى اوجههم خيبة وارهاق ..

وحين خلا الشاطىء من الناس ، بقيت العباسة وحدها تبكي ، حتى اخذتها خادمتها المخلصة عائدة بها الى بيتها ...

وهكذا انتقلت هذه القصة مع بقية وثائق العباسة الى بيتنا .

*

وسأل احد الصغار : « واين الدينار » ؟

« الدينار ؟ اوه ... لا ادري .. قد تكون صرفته العباسة في طور حياتها الاخيرة » !

وتركت قصتي على اوجه الصغار اثرا عميقا .. وسكتوا جميعا يفكرون في تفاصيلها .. ثم بدأت المناقشة ..

ولم تمض يومان على حكايتي لهذه القصة حتى انتشرت كالنار في البنزين في المدينة ..

وانتهت عطلتي ، وعدت الى مقر دراستي الثانوية ، وفي اول ليلة لي بالقسم الداخلي طلبت مني الجماعة ان احكي لهم قصة

فسألت هل يعرفون قصة « شويدن » تمهيدا لحكايتها .. فقالوا كلهم انها قديمة : لقد حكاها لهم طالب من مدينتي بالامس ، وانتشرت بين طلبة القسم الداخلي انتشارا سريعا ..

ثم نزلت الى المدينة الكبيرة لتكتسحها ..

وفي داخل الفصل من السنة ، وقد نسيت انا عن القصة ، ترامت الى مسمعي من مدينتي الصغيرة اخبار عجيبة ..

جاء احدهم يحكي ان جماعة من رجال السحر والارصاد قدموا من سوس الى المدينة للبحث عن كنز في ناحية الكهف .. وقد وجدوا مساعدات كثيرة من بعض السكان ومن المراقب العسكري نفسه ..

وبدا الحفر داخل الكهف وخارجه .. وكان اهل المدينة يضيفون الفقهاء السوسيين ضيافات فخمة طمعا في جوهرة او عقد من الكنز المنتظر :

وكان الفقهاء يوزعون الوعود والناس تتدفق لتمويل مشروع الحفر .

وحفر العمال نفقا عميقا في جدار عال بداخل

الكهف ، وتفرعوا في داخله يمينا وشمالا ونزلوا الى تحت مستوى مياه البحر .

وفي صباح يوم فوجىء العمال بوجود جثة في قاع النفق .. وبعد فحص الجثة تبين انها لرجل من فقهاء سوس تعرف عليه احد الفقهاء الموجودين بالمدينة ..

وكثرت الاشاعات على ان للكنز توابع وارصادا .. وان الحفر قد وصل نهايته ..

وبعد يومين وجدت جثة احد الفقهاء بداخل النفق .. لم يكن غريبا .. بل كان واحدا من الباحثين الثلاث ..

وتسرب الخبر الى الجرائد فكتبت عنه «اسبانيا» بايجاز واعدة قراءها بتفاصيل القصة ..

وخاف المراقب العسكري ان يقع في ورطة فأوقف عمليات الحفر .

وفي تلك الليلة اختفى الفقيهان الباقيان .

وحين نزل المحقق الى قعر النفق وجد اثار جرة كبيرة في طين الحائط .. واستمر البحث حوالي النقطة ليسفر عن وجود قطع من الجرة مبعثرة هنا وهناك !

لقد هرب الفقيهان بالكنز الموعود .. وخرج البوليس ورجال الجيش للبحث عنهما فلم يعثر لهما على اثر ..

وهكذا انتهت القصة الملعونة التي بدات في صباح يوم صيفي وديع ، فقط ، لتبعث الدفء في قلوب الصغار وتنسيهم متاعب الطريق الطويل .

الرباط : احمد عبد السلام البقالي



فى المغرب العربي :

الاذاعة فى خدمة الثقافة : مما لا شك فيه ان الاذاعة والتلفزة والسينما اصبحت جميعا من الادوات التثقيفية لدى الامم الحية واستغلت جميعا كوسائل تكميلية فى ميدان التعليم والتثقيف ومحاربة الامية فى المجتمعات المتخلفة ، وخصوصا الاذاعة التي تعتبر من احسن الوسائل السمعية فى دعم الثقافة وتعليم اللغات فلا عجب من ان يسارع المغرب البلد الناهض الى استغلال الاذاعة فى كفاحه ضد الجهل كمدرسة سمعية مفيدة وبذلك حقق المغرب عملا سيكون له الاثر الكبير فى مستقبل البلاد الثقافي فى القريب العاجل .

ومن عوامل النجاح للاذاعة التربوية التي دشنها صاحب الجلالة فى هذه السنة الدراسية انها لم تقتصر فى برامجها على نوع واحد وانما جعلت من برامجها مدارس لثلاثة انواع :

1 — برنامج اول موجه للطفولة المدرسية فى مستوى المتوسط الاول والثاني .

2 — برنامج ثان موجه للطفولة المحرومة من التعليم والتي لم يساعدها الحظ لتجد مقاعدها فى المدارس .

3 — وبرنامج ثالث للكبار ليرفعوا عن انفسهم ظلام الجهل ويرتفعوا بعقولهم الى مستوى العصر الذي يعيشونه .

ومن هنا نتأكد من حسن التوجيه الذي سارت عليه الاذاعة التربوية من يوم افتتاحها خصوصا بعد ان جعلت من اهدافها زيادة على محاربة الامية وتعزيز الثقافة وتيسير التعليم لجميع طبقات الشعب ، جعلت هدفها رفع مستوى الاطارات التعليمية التي هي فى حاجة اكيدة الى تكوينها واعدادها والاخذ بيدها الى المستوى اللائق برسل الثقافة ومنشىء العقول فهنيئا للمغرب بهذه الخطوة المباركة وما زلنا ننتظر من وزير الانباء والسياحة والفنون الجميلة الذي قطع على نفسه عهدا بأن يجعل السينما فى خدمة الشعب ، فاذا الخطوة الاولى لم تتحقق بعد هذه الخطوة التي نعتقد انها ضرورية فى بلد اغلبيته لا تعرف اللغة الاجنبية ، ثم هي ملزمة بان تدخل لجميع الافلام لترى من غير ان تفهم ، فعلا اقدم الوزير على عمل فيه خدمة البلاد وانقاذ اللغة القومية واسترجاع لكرامة البلاد ودخل وافر لابناء الشعب ، وهل فكر المسؤولون فى استغلال السينما كوسيلة فعالة فى الناحية الثقافية فى بلد يحتاج الى جميع المجهودات وجميع الوسائل ذلك ما نتمنى وعسى ان يكون قريبا.

وفى الجمهورية العربية المتحدة :

انقذوا الفلم العربي : تعتبر مصر الشقيقة رابع دولة فى كثرة الانتاج السينمائي ، ولكن مع الاسف انها من الناحية الفنية لا تتلاءم ولا تتساير مع منزلتها الانتاجية مما دفع بكثير من المصابين بمركب النقص امام اسيادهم وبالتالي على ابناء قوميتهم ، اولئك الذين يتهمون كل انتاج عربي فنيا كان او ادبيا من غير ان يشاهدوه او يتعرفوا عليه ، دفع هذا النقص فى الافلام العربية الى ان يعدها هؤلاء المفرضون فى المرتبة الاخيرة ويدعون ضدها ويشمئزون منها ويستنكفون من مشاهدتها بحجة الضعف والسخافة والبدائية ، والحق ان كثيرا من افلامنا العربية لا تخضع فى الاكثر الا لعامل الربح دون مراعاة للعوامل

الفنية التي هي اساس النجاح الحقيقي لكل عمل خالد اللهم الا ما جاء عرضا او تلقائيا من غير ان تعطى له الاسبقية او يقرأ له الحساب او يتوقف من اجله . الانتاج ، وبذلك اصبح المقياس الذي يقاس به نجاح الفلم لدى منتجينا هو ما يدره من الارباح ولذلك لا يعمل المنتج الا على ارضاء الجماهير التي تقاد بغرائزها ولو على حساب المقاييس الفنية ولو على القيم الاخلاقية .

ومن هنا اصبحت السمة الواضحة ـ ولم تكذب حتى الآن ـ في اكثر انتاجنا السينمائي هي الاخراج الهزيل والقصة الضعيفة والتمثيل المتكلف .. والارتجال الصارخ والتهريج الصبياني السخيف ، اما المناظر الخليعة التي تحشر حشرا سمجا في كل فلم ، واما الرقصات الشرقية المثيرة والتي يخلق لها الجو خلقا لتتكرم على المكبوتين من النظارة بشطحات البطون وتمايل الارداف ولتعرض للناس كبت الشرق وجنون الغريزة البهيمية فيه ؛ فذلك شيء ضروري في كل فيلم تقريبا وهو لازم لكل افلامنا لزوما لا يقبل الجدال .

وماذا يراد بذلك ؟ وما الغاية من ذلك ؟ القصد واضح والغاية ظاهرة لا يمكن ان تخفى الا على منتجي افلامنا الذين يتعامون ويتجاهلون ما دام الاقبال موجودا والربح وافرا ، انهم يريدون من وراء ذلك تغطية النقص وستر التكلف ، واللعب على الذقون الجاهلة ، وتملق الجماهير باستثارة الغرائز تلك هي وسيلتهم التي جربوها اول الامر فنجحت ماديا فاستمروا عليها مضحين بكل القيم ؛ وانها لوسيلة رخيصة منحطة جعلت من اغلب افلامنا ادوات للافساد الخلقي والاساءة الى الشعب العربي بشكل مزعج وبعيد عن الذوق ؛ واصبح الفلم العربي نتيجة لتقصير كثير من منتجيه واصرارهم على الارتجال والسرعة الجنونية وتقليلهم من التكاليف على حساب الانتاج ، اصبح على العكس من رسالته الاصلية وسيلة لتشويه سمعتنا ، ومدعاة للاستهزاء بنا ، وللامم الحق ، وكامل الحق في ان تتخذ من افلامنا صورة مصغرة او مكبرة حسب الاهواء لامتنا ، فالفلم في واقعه سفير يمثل الامة وفيه من فن الشعب وحضارته ما يجعله مرآة صادقة في كثير من الاحيان وافلامنا مع الاسف لا تصلح لتمثيل شعبنا العربي في واقعه الثوري .

وعسى ان يعمل المجلس الاعلى للفنون على تلافي هذا الانحطاط وانقاذ الامة العربية من هؤلاء السفراء المشوهين ؛ ولعل مؤسسة دعم السينما في وزارة الثقافة بذلت جهدا كبيرا في ذلك ولكن مع الاسف ان المشرفين على توزيع افلامنا لا يراعون مصلحة وطنهم ، ولا مصلحة العروبة حين يسمحون بالسخافة تصدر الى الخارج، وكان الاحسن كخطوة اولى لاصلاح الاوضاع منع التافه من تجاوز الحدود المصرية ، وكم نتمنى معشر العرب عملا حاسما من المسؤولين في القطر الشقيق لانقاذ صناعة السينما ، وافضل وسيلة فيما اعتقد تأميم هذه الصناعة فالتأميم وحده هو الذي سيجعل منهافتنا خالصا لا تجارة فيه ويصبح الانتاج موجها حسب تخطيط ما يجب انتاجه من افلام روائية كانت ام علمية ثقافية وتصبح السينما العربية معتمدة في تمويلها على الدولة وفي تسييرها وتقدمها وفنيتها على العقول غير التجارية وعندئذ فقط يمكن لجمعية الفلم التي تأسست اخيرا ان تقوم بمهمتها لتنشر الثقافة السينمائية الصحيحة والتي لا يشوهها ارتجال ولا يسيء اليها حب الربح وروح التجارة؛ فالتأميم هو الوسيلة الناقعة والطريق الوحيد لخدمة الامة العربية في انتاجها السينمائي ذلك ما ترجوه مخلصين .

عمل عظيم من اجل الشعب : في اقليمي اسيوط واسوان من الجمهورية العربية المتحدة تجري تجربة خطيرة لانقاذ البشرية من آلامها يترقب نجاحها الملايين من ابناء مصر العزيزة وعشرات الملايين من ابناء العروبة ومئات الملايين من ابناء افريقيا وآسيا ، هذه التجربة الانسانية هي تأميم الخدمات الطبية في هذين الاقليمين في مقابل راتب يتقاضاه الطبيب على أن يشتغل نصف النهار مجانا .. انها لتضحية عظمى وعمل جبار سيخلده التاريخ لاطبائنا المخلصين وما احوجنا نحن العرب الى ان تتكتل الجهود وتتعاون المهن جميعا ، وتتظافر القوى العقلية والانتاجية في التخفيف من آلام امتنا والتعجيل بيوم نجاتها والاخذ بيدها الى الحياة الكريمة الشريفة .

والحق ان هناك اشياء كثيرة وضرورية في حياتنا الجديدة يجب على قادة الشعب العربي ان يعيدوا النظر فيها وان يحاولوا تنظيمها تنظيما يتماشى مع حاجياتنا ويستجيب لرغباتنا وخصوصا

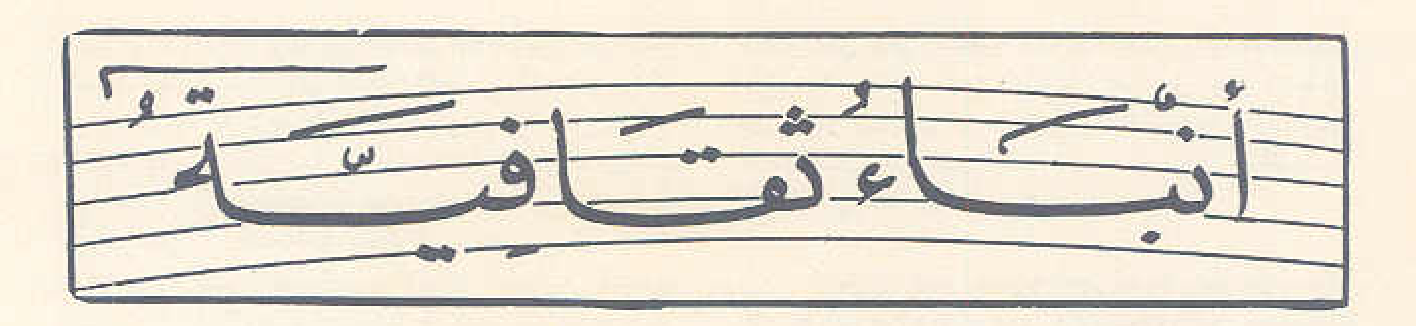
الطب والدواء .. وانه لمن الظلم الفاحش للمواطن العربي الذي يتخبط في حرمان الفقر وآلام المرض ان يؤخذ دواؤه ما يزيد على الخمسين في المائة من قيمته الاصلية ما بين الضرائب والارباح،هذا المواطن الذي يقطع من لحمه ودمه ويشتري بقوته ومعاشه هذا الدواء ، وعوض من ان تقدمه له مجانا لا نخجل من ان نرهقه زيادة على ثمنه بالضرائب والارباح الخيالية التي يتقاضاها الصيادلة وخصوصا في شمالنا العربي ومن غير مقابل اللهم الا عملا بسيطا يقوم به المساعدون ، واما الطب فهوا يضا مشكلة امتنا العويصة ، فالاطباء قلة والاجر مرتفع تعجز عنه الاغلبية والمستشفيات الحكومية غير كافية والموجود لا يقوم بالواجب كما يلزم ، والاطباء العاملون بمستشفياتنا يشعرون بالغبن ولهم الحق في ذلك اذ لا يعقل ان يتقاضى الطبيب مائة الف فرنك شهريا في حين يستغل زميله الحر ضعف ذلك في الاسبوع الواحد ، والحل الصحيح هو التاميم المطلق لكي نوفر للشعب حقه في الحياة والصحة وليس معنى ذلك هضم حقوق اطبائنا ، كلا ، بل يجب ان نضمن لهم حياة تتناسب مع مجهوداتهم الانسانية وان نضمن الاطمئنان على مستقبلهم فنجعل منهم ملائكة للرحمة ورسلا للسلام والهناء .

ولعل في هذه التجربة الجريئة ما يدعو نقابات الاطباء الى مراجعة موقفها والاستماع الى صوت الضمير المنادي والاقدام على انقاذ شعوبهم والمساهمة في تخفيف آلام اخوانهم والعمل على تقدم اوطانهم ورقي امتهم .. وشكرا لاطباء اسوان واسيوط واكراما لعامل اسوان واسيوط الذي ساعد على تطبيق الفكرة وعمل على انجاح التجربة وعسى ان يكون لنا فيكم المثل الاعلى والقدوة الصالحة فنحقق اشتراكية العلاج كمرحلة اولى لتحقيق مجانية الدواء بفضل التضحية والاخلاص والعمل المشترك .

الرباط : الموساوي زروق

تنبيـــــــــــــه

وقع خطا مطبعي في ركن « الانباء الثقافية » من العدد الماضي حيث تزحلقت بعض السطور فنسب اصدار كتاب « اعتاب الكتاب » للاستاذ عبد الله الجراري خطا، والصحيح ان الذي اصدر هذا الكتاب هو المجمع العلمي العربي بدمشق فمعذرة .



※ اصدرت وزارة عموم الاوقاف نشرة باسم « منجزات واهداف » تتضمن مجموعة من الوثائق التاريخية المهمة، بالاضافة الى عرض شامل عن التنظيم الاداري للوزارة المذكورة ومصالحهـا الخارجية في عموم مدن المملكة المغربية ، الى جانب عرض اخر يتعلق بنشاطها في الميدان الديني والفكري والاصلاحي والاجتماعي ، مع قائمة تشمل نوادر المخطوطات الحبسية الموجودة في خزانة القرويين ، او في الخزانة العامة بالرباط .

والنشرة مزينة بصورة المغفور له محمد الخامس، وصورة صاحب الجلالة الحسن الثاني مع صور اخرى وتصميمات وبيانات . وتعد وثيقة مهمة تشمل كل المعلومات حول جميع ما يتعلق بهذه الوزارة ونشاطها ومشاريعها واهدافها في المستقبل .

※ نظم في مدينة مراكش من 27 ابريل من الى 4 ماي مهرجان للفلكلور المغربي تحت اشراف وزارة الانباء والسياحة .

※ صدرت للشاعر المغربي الاستاذ حسن الطريبق مسرحية بعنوان « وادي المخازن » نرجو لها كامل التوفيق .

※ افتتحت في كلية الآداب بالرباط دروس فلسفية عامة يحاضر فيها الدكتور محمد عزيز الحبابي .

※ اصدرت وزارة البريد المغربية سلسلة من الطوابع البريدية بمناسبة اسبوع الدعوة لقضية البلاد العربية .

※ اعلن الامين العام للمكتب الدائم لمؤتمر التعريب ان المكتب ينكب الآن على دراسة وضع اللغة العربية والجهود المبذولة في سبيل التعريب في العالم العربي ، لاعداد بحث شامل عن نشاط مختلف البلاد العربية في هذا الميدان لنشره واذاعته باللغة العربية والانلجيزية والفرنسية والاسبانية والالمانية والروسية وغيرها حتى يتسنى الوقوف على جهود العرب في حقل التعريب . وسيتم ذلك في شهر نوفمبر من هذه السنة ، خلال اسبوع التعريب في العالم العربي .

※ زار المغرب اخيرا الاديبان الصينيان تشون ، وهانبيك تلبية للدعوة التي وجهتها اليهما وزارة الخارجية المغربية .

※ عاد الاستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون الى المغرب ، بعد ما قضى أكثر من اسبوع في القاهرة ، في اجتماعات مجمع اللغة العربية . وقد كان نشاط الاستاذ هناك ملموسا في مجال البحث ، بتقديمه شتى الابحاث اللغوية والتاريخية .

※ قررت وزارة التربية المغربية انشاء كلية للطب والصيدلة في المغرب خلال السنة الدراسية المقبلة .

※ اصدر اتحاد كتاب المغرب العربي الحلقة الثانية من نشرته ، تضمنت النشاط الادبي الذي قام به اعضاؤه خلال المدة الاخيرة من محاضرات وندوات واجتماعات ، وما يعتزم القيام به في المستقبل .

※ استشهد الاديب الجزائري مولود فرعون ضحية قوة البغي ، وسقط بجانبه خمسة اشخاص من المثقفين الجزائريين .

※ سيصدر « اتحاد كتاب المغرب العربي » مجلة شهرية ادبية تهتم بشؤون الثقافة والوانها في المغرب والبلاد العربية .

* شارك الدكتور يوسف بن العباس وزير الصحة والمكلف بوزارة التهذيب الوطني في اعمال المجلس التنفيذي للجنة الثقافية لدول ميثاق الدار البيضاء الذي عقد في القاهرة . كما حضره بمعيته السادة : محمدالشرفي مدير الشؤون الثقافية . وعبد الهادي التازي رئيس قسم الشؤون الثقافية في وزارة التربية الوطنية .

* بدأ المجمع اللغوي بالقاهرة دورته الثامنة والعشرين ، وقد وافق على ضم احد عشر عضوا من مختلف البلاد العربية من بينهم السيد فاضل بن عاشور من تونس ، والسيد البشير الابراهيمي من الجزائر ، والسيد عبد الله كنون من المغرب الذي حضر هذه الدورة .

* يصدر الاستاذ محمد الباقر الكتاني كتابا تاريخيا عن المغرب .

* صدرت في تونس صحيفة يومية بعنوان « الشباب الافريقي » .

* سلسلة الاعلام ، وسلسلة تاريخ الحضارة وسلسلة التراث الانساني . هذه السلاسل ستصدرها وزارة الثقافة بالقاهرة .

* « العسكري الاسود » مجموعة قصصية للقاضي المصري يوسف ادريس صدرت في المدة الاخيرة

* سيطلق اسم محمد امين حسونة على احد شوارع مدينة « حيت نمر » في القاهرة .

* يصدر الاستاذان مصطفى السحرتي وهلال ناجي في القاهرة كتابا بعنوان « 20 دراسة نقدية » يشتمل على نقد دواوين الشعر التي صدرت في عامي 1959 و 1960 .

* يساهم الباحثون العالميون مع علماء العرب في مشروع اعداد دائرة المعارف الاسلامية ، تم تقسيم فروع هذه الدائرة الى سبعة اقسام يشرف على كل منها احد العلماء المختصين . سيتولى رئيس كل قسم الاتصال بجميع العلماء والباحثين من مختلف الدول الذين تخصصوا في الدراسات الاسلامية للكتابة والمشاركة في اعداد هذه الدائرة .

* صدر مؤخرا كتاب « بين الحقيقة والمجاز، والايجاز » للاستاذ محمد عبد الغني حسن .

* استدعت ادارة الازهر الدكتور محمود حب الله مدير المركز الاسلامي في وشنطن وذلك لشغل احد المناصب الكبرى ، بجامعة الازهر .

* صدر هذا الاسبوع الكتاب المهدي للدكتور طه حسين بمناسبة بلوغه السبعين والذي اشرف على اخراجه الدكتور عبد الرحمن بدوي واشترك في كتابة مادته كبار المستشرقين وعدد من الاساتذة والنقاد العرب .

* صدر اخيرا في القاهرة الجزء الثاني من الدراسة التي كتبها الاستاذ محمد صبري عن القصائد المجهولة لشوقي .

* اكتشفت احدى جامعات لندن نصا عربيا جديدا لالف ليلة وليلة على اجزاء غير معروفة . وستسافر الدكتورة فاطمة موسى من مصر الى لندن لتحقيق هذا النص .

* يعد الاستاذ الدكتور عبد الرحمن زكي ، في طليعة الباحثين الاثريين المعاصرين ، في تاريخ « السلاح » في العصور الاسلامية . وهو الآن يتولى ـ بمشاركة بعض المستشرقين ـ اصدار مجلة فريدة في بابها ، هي مجلة «كلاديوس» تتناول موضوع « السلاح القديم » في الشرق والغرب ، وهي تصدر في الدانمارك مرة في السنة .

* اصدر الاستاذ انور الجندي كتابا بعنوان « المعارك الادبية » .

* صدر في لندن كتاب « رجال الجمعة » للمؤلفة ديزموند ستيوارت يعالج فترة القلق السياسي قبل الثورة وحريق القاهرة ومؤتمرات السراي ، كما صدر كتاب آخر في لندن باسم « آخر المتقبين » يناقش ثورة 23 يوليه .

* يصدر قريبا ليوسف السباعي كتاب بعنوان « طارق ابن زياد » .

* « حقي ناصف شاعرا وناثرا » كتاب جديد صدر مؤخرا للاستاذ محمد خلف الله .

* سيطلق اسم العالم الاثري سليم حسن على احدى قاعات مكتبة جامعة القاهرة التي تبرع لها بمكتبته الخاصة .

* انتهى الدكتور عبد الرحمن زكي من ترجمة احدث كتب جورج سارتون عن « حضارة عصر النهضة »

* احتفل بالقاهرة بذكرى سلامة موسى المتوفي سنة 1957 .

* سيقوم الدكتور حسين فوزي بترجمة جميع المصطلحات الموسيقية الى اللغة العربية .

* «المدنية الجديدة وراي الاسلام فيها» ستكون اول الموضوعات التي يبحثها مجمع البحوث الاسلامية الجديد الذي يشترك فيه علماء من كل الدول الاسلامية

* «الطريق الى الله» عنوان كتاب جديد للاستاذ عبد الرزاق نوفل .

* يقوم ابن شقيق الاستاذ العقاد بتاليف كتاب عنه يشتمل على آراء العقاد الخاصة فى الادب والحياة لم يعلنها لاحد .

* « دراسات فى الرواية المصرية » عنوان لكتاب سيظهر قريبا للدكتور علي الرياحي .

* انتهى الاستاذ محمد جميل بيهم من اعداد دراسة مسهبة عنوانها « المراة فى حضارة العرب » .

* « المؤرخة » اسم لمجلة اصدرتها اخيرا وزارة الثقافة بالقاهرة .

* قرر مجلس كلية الآداب بجامعة القاهرة انشاء دبلوم للاعلام وطلب المجلس من قسم الصحافة اعداد مشروع هذا الدبلوم .

* انتهت اللجنة المؤلفة لوضع مشروع القرار الخاص بتاليف « مجمع البحوث الاسلامية » وهو المجمع الذي نص على انشائه قانون جامعة الازهر الجديد وسيكون هذا المجمع هو الهيئة العليا للبحوث الاسلامية ، ويتولى دراسة كل ما يتعلق بتلك البحوث . ويقدم الخدمات الاسلامية فى مجال الثقافة الاسلامية .

* يبدا فى الصيف القادم تنفيذ برنامج تبادل اعضاء الاتحادات الطلابية بين الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة الامريكية .

وسيقوم الطلاب من كل بلد بدراسة نظم رعاية الشباب والتنظيمات الطلابية فى البلد الآخر .

* افتتحت ادارة رعاية الوافدين والمبعوثين بالقاهرة فصلا خاصة لتعليم اللغة العربية لابناء الدبلوماسيين الاجانب . ويقبل هؤلاء على دراسة اللغة العربية باهتمام وجدية .

* قررت جامعة البندقية « فينسيا » انشاء كرسي للادب العربي ، وبذلك تكون الجامعات الايطالية قد انشأت اربعة كراسي للادب العربي فى ايطاليا بعد انشاء كراسي مماثلة فى جامعات « روما » و « نابولي » و « بالرمو » .

* يقيم معهد الدراسات الاسلامية بمدريد بالاشتراك مع جامعة غرناطة معرضا تعرض فيه مجموعات من الصناعات والقطع الاثرية الاسلامية فى اسبانيا . ويقام مهرجان فى مدينة غرناطة بهذه المناسبة وتشترك فى هذا المهرجان وزارة التعليم العالي بالقاهرة .

* وصلت الى القاهرة 10 فتيات مسلمات من الفلبين لدراسة الدين الاسلامي ، على نفقة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .

* اعلنت ادارة المعاهد الازهرية عن مسابقة لتاليف كتب مبتكرة فى الفقه الاسلامي وفى قواعد الاعدادية والثانوية . وستمنح جوائز للكاتب الفائز بالمرتبة الاولى .

* تنفيذا لقانون تنظيم الازهر اصدر السيد الرئيس جمال عبد الناصر قرارا بتعيين عدد من الاساتذة فى مجمع البحوث الاسلامية الذي يقوم بدراسة كل ما يتصل بالبحوث الاسلامية وتجديدها وتطهيرها مما يتعلق بها من شوائب وبيان الراي فيما يجد من مشكلات مذهبية واجتماعية تتعلق بالعقيدة الاسلامية .

ويبلغ عدد هؤلاء الاساتذة 19 عضوا من بين 50 عضوا يتكون منهم المجمع الجديد ، ومن بين هؤلاء الخمسين سيختار عشرون عضوا من خارج الجمهورية العربية المتحدة .

* اتخذ مؤتمر الكتاب الافريقي الاسيوي الذي انعقد اخيرا بالقاهرة عددا من القرارات الهامة نذكر منها :

— اقامة مركز للترجمة داخل اطار المكتب الدائم بكولومبو ، ويكون من مهمة هذا المركز تقويم اهم ما يترجم من والى اللغات الاسيوية الافريقية سنويا ، وتخصيص جائزة للمترجمين ، والاتصال بالهيئات والمنظمات الدولية والمترجمين .

ـ التوسع في تدريس اللغات الافريقية والاسيوية العربية في الجامعات ومعاهد التعليم المختلفة والعمل على تحويل اللغات السمعية الى لغات مكتوبة .

ـ انشاء دائرة معارف تتوسع في التعريب بدول المؤتمر .

ـ تبادل الزيارات بين كتاب الدول الافريقية .

ـ التوصية بعقد بروتوكول بين دول المؤتمر ينص على حماية الملكية الادبية وتقوية الثقافات القومية، وتنمية الشخصية الافريقية الاسيوية وبعث الفنون والآداب القومية الشعبية والتقليدية ودراستها .

ـ اصدار مجموعات سنوية من المختارات في الشعر والقصة والمسرحية وسائر الالوان الادبية.

ـ تجنيد وسائل الاعلام في الدول الافريقية الاسيوية للتعريف بالكتب في افريقيا وآسيا ، وتتبع الآثار الادبية وتقديم نماذج من انتاجهم بطرق منظمة .

* يوجه المجلس الاعلى للاداب والفنون بالقاهرة الدعوة الى علماء العالم للاشتراك في الاسبوع العلمي لتخليد آثار الامام محمد عبده في شهر سبتمبر المقبل . هذا وقد اطلقت جامعة الازهر اسم الامام على قاعة المحاضرات الكبرى بها . كما وضع السيد نائب رئيس الجمهورية العربية حجر الاساس لدار الامام محمد عبده للرعاية الاجتماعية .

* « السماء والخريف » قصة جديدة يكتبها الاستاذ نجيب محفوظ سجل فيها احداث مصر من سنة 1950 الى 1957 .

* اتم المجلس العلمي العربي بدمشق نشر كتاب « فهارس المكتبة الظاهرية » .

* تقرر تأسيس ناد للقصة في دمشق .

* اعيد انتخاب الشاعر محمد مهدي الجواهري رئيسا لاتحاد ادباء العراق .

* صدر اخيرا في العراق كتاب « الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر » لمؤلفه ابراهيم الوائلي .

* يصدر قريبا في بغداد ديوان « الامطار » للشاعر محمد سعيد العطار .

* صدر اخيرا كتاب « مشكلة اللاجئين العرب » بقلم الاستاذ ادوار سيدهم .

* تقرر اخيرا في العراق تاليف لجنة عليا من ممثلين عن وزارات الارشاد والخارجية والمالية وجامعة بغداد والمجمع العلمي العراقي وامانة العاصمة بدراسة الامور المتعلقة باقامة مهرجان للاحتفال بالذكرى الالفية لتأسيس مدينة بغداد .

* قرر المجمع العلمي العراقي انتخاب خمسة اعضاء مراسلين وهم الاساتذة : 1) محمود تيمور عضو المجمع اللغوي في القاهرة . 2) الدكتور عبد الجبار جومرد المؤرخ والاديب ووزير الخارجية العراقية السابق . 3) الامير مصطفى الشهابي رئيس المجمع العربي بالشام وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة . 4) ابراهيم مصطفى عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة. 5) البروفيسور هنريس لنزن عالم الآثار الالماني ورئيس البعثة الاثرية الالمانية .

* صدر في العراق كتاب ضخم بعنوان « القول السديد في شرح التجريد » للعلامة السيد محمد الشيرازي الحائري .

* ينوي فضيلة العلامة الشيخ عباس الحائري اعادة طبع كتابه « بلاغة الامام علي بن الحسين » .

* انجز الاستاذ خضر العباسي تاليف كتاب « العراق في عهد الاستعمار المغولي » ويقع في ثلاثة اجزاء وكذلك كتاب « العراق في عهد الاستعمار العثماني » ويقع في اربعة اجزاء .

* طلبت هيئة اليونيسكو من وزارة المعارف العراقية اعداد ابحاث عن الادب العراقي والفنون وتعليم المراة والموسيقى باللغة الانجليزية ، وستتولى الهيئة اعداد وطبع هذه الابحاث وتوزيعها على الجامعات والكليات في انحاء العالم .

* صدرت في موسكو رواية « الارض والماء » للقصاص العراقي ذوالنون ايوب مترجمة الى اللغة الروسية تحت عنوان « قصد مجيد رحيم » بتقديم الكاتب السوفياتي سيمونوف .

* يقوم فريق من ادباء النجف باعادة طبع كتاب « الهيئة والاسلام » لمؤلفه هبة الدين الشهرستاني .

* يوجد تحت الطبع كتاب « تأريخ القصة العربية » للاستاذ جعفر الخليلي .

* يقوم فنانون عراقيون باصدار موسوعة عن تاريخ الفن الحديث في العراق .

✽ سيطبع في العراق شعر الشاعر المعروف الدكتور صالح جواد الطعمة .

✽ « رسالة السلام » عنوان مجلة اسبوعية صدرت اخيرا في العراق .

✽ عكف الاستاذ عز الدين اسماعيل على كتابة مؤلف بعنوان « قضايا الانسان في ادبنا الحي » .

✽ صرح المستر مانويل ساسوت القائم باعمال السفارة الاسبانية في بغداد ان (85) عراقيا يتلقون الآن الدراسة في المعهد الاسباني ببغداد ، وان حكومة اسبانيا تساعد على احياء الثقافة العربية باكبر قدر من الاهتمام ، وان عدة جامعات اسبانية تخصص الآن جانبا من دراستها للمسائل العربية الثقافية .

✽ خمس لوحات فنية كتبها سعد مكاوي عن عباقرة الموسيقى : بيتهوفن ، فاجنر ، ليست ، شوبان ، شوبير ، تظهر في كتاب بعنوان « ارض العباقرة » ، يتناول الكتاب تحليل نفسيات هؤلاء العباقرة واعمالهم الفنية والظروف التي ظهرت فيها تلك الاعمال .

✽ اصدرت مجلة « الجمهور » في بيروت عددا خاصا ممتازا احتفاء بيوبليها الفضي .

✽ في نابلس صدر مؤخرا كتاب « تاريخ نابلس والبلقاء » للاستاذ احسان النمر .

✽ انتهى الاستاذ عيسى الناعوري من ترجمة رواية « فونتمارا » للكاتب الايطالي ايناتسيو سيلونة ، كما سيصدر للناعوري كذلك رواية « ليلة القطار » و « ادباء مستشرقون عرفتهم في ايطاليا » .

✽ احتفلت ايطاليا في الشهر الماضي بذكرى مرور 25 عاما على وفاة كاتبها المسرحي الكبير بيراندللو .

✽ في احصاء اخير اجري في مدينة نيويورك تبين ان في المدينة الاميركية 1600 محلل نفساني ، والف عالم نفساني ، و1200 عيادة في الامراض النفسية والعقلية .

✽ الف المستشرق الايطالي فرانسيسكو كابريلي استاذ العربية في جامعة روما كتابا عن النهضة العربية .

✽ تحت رعاية الجامعة العربية سيقوم بترجمة مؤلفات شكسبير الى اللغة العربية ، وقد رحب البرفسور روبرت مارجنت بمشروع هذه الترجمة .

✽ « هل للانسان مستقبل ؟ » اسم لآخر كتاب اصدره برتراند راسيل .

✽ آخر كتاب اصدره ولسن هو كتاب يتضمن تحليل ثلاثمائة جريمة .

✽ انتخبت الآنسة مارجريت بيري عضوا في اكاديمية العلوم الفرنسية ، وبذلك كانت هي المراة الاولى التي تدخل في هذه الاكاديمية .

✽ صدر في باريس مجلد لانتاج الشاعر الفرنسي فيكتور هوجو يضم 153 و 837 بيت من الشعر .

✽ قام المستشرق الهولندي الدكتور شومان بترجمة كتاب « تربية سلامة موسى » الى اللغة الهولندية .

✽ تحتفل مدينة جنيف ، مسقط راس الكاتب الاجتماعي جان جاك روسو بمرور 250 عاما على ميلاد مؤلف الاعترافات .

✽ ستخرج موسكو قصة الروائي الخالد تولستوي « الحرب والسلام » في انتاج سينمائي ضخم .

✽ كتاب ام النبي للدكتورة بنت الشاطىء تم طبعه في جاكارتا مترجما الى اللغة الاندونيسية بقلم الدكتور ضياء شهاب .

✽ اقامت مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر المؤتمر الثاني في الشرق الاوسط في لاهور بالهند .

✽ سيصدر للامير عبد الله فيصل ديوانه الثاني بعنوان « خريف العمر » .

✽ عكف الاستاذ ميخائيل نعيمة على تاليف كتاب جديد بعنوان « اليوم الاخير » .

✽ نعت لبنان الشاعر وديع تقولا حنا صاحب مجلة « المعارف » الشهرية .

✽ « الفكر العربي » مجلة جديدة صدرت مؤخرا في لبنان .

﴿ صدر مؤخرا فى جدة فى الايام الاخيرة كتاب « تصحيح اخطاء المستشرقين فى دراسة الآثار العربية » لمؤلفه عبد القدوس الانصاري الذي حلل فيه اخطاء المستشرقين على ضوء اللغة العربية الفصحى وما توصل اليه من دراسة الآثار والنقوش العربية ، كما صحح الاخطاء التي وقع فيها الكتاب العرب الذين ترجموا تلك الآثار من اللغات الاجنبية .

﴿ اكتشف المؤرخ اللبناني يوسف ابراهيم يزبك خلال تنقيباته بين المحفوظات فى مكتبة روما وثائق تتعلق بالامير فخر الدين المعنى ، من شأنها القاء نور جديد على الحقبة التي حكم فيها فخر الدين لبنان .

﴿ صدر فى بيروت « الصيد والطرد عند العرب» وهو مخطوط نادر حققه وقدم له وزينه بالصور الدكتور ممدوح حقي .

﴿ كتاب « النظم الاسلامية » للمستشرق الفرنسي م. غودفروا ترجمه الى العربية الدكتور فيصل السامر والدكتور صالح الشماع وصدر اخيرا

﴿ سئل ميخائيل نعيمة عن انطباعاته وتأثراته بعد فوزه بجائزة رئيس الجمهورية فقال : « هذه المظاهر لا تؤثر في ، انما لها قيمة كبادرة من الحكومة، بادرة اعتراف بقيمة الادب واهميته بحياة الامة » .

﴿ صدر مؤخرا كتاب « العرب ماضيهم وحاضرهم » باللغة الانجليزية ، لمؤلفه ادوار عطية .

﴿ « سيناء بلا حدود » قصة جديدة لسميرة عزام ستصدر قريبا ، وهي عبارة عن تصور للمشابهة الكبرى التي يعانيها جيلنا .

﴿ سيصدر قريبا كتاب للاستاذ واجن بارودي تناول فيه اوضاع الادب العربي المعاصر فى لبنان والبلدان العربية .

﴿ دخلت فى حوزة المتحف البريطاني نسخة من مصحف اثري يرجع كتابته الى اكثر من 700 سنة ، ويحتمل ان يكون قد انتقل من الاندلس الى المغرب .

﴿ اذاع راديو لندن انه قد تم طبع ترجمة للقرءان الكريم باللغة التركية وان النص العربي قد احتفظ به فى هذه الطبعة الجديدة الى جانب الترجمة التركية وكان موضوع ترجمة القرءان مطلبا شعبيا من تركيا.

﴿ تحتفظ المانيا باول طبعة بالعربية للمصحف المطبوع فى العالم . كانت الطبعة فى مدينة هامبورج التي اخرجتها مطابعها سنة 1694 للعالم الالماني هاينكيلمان

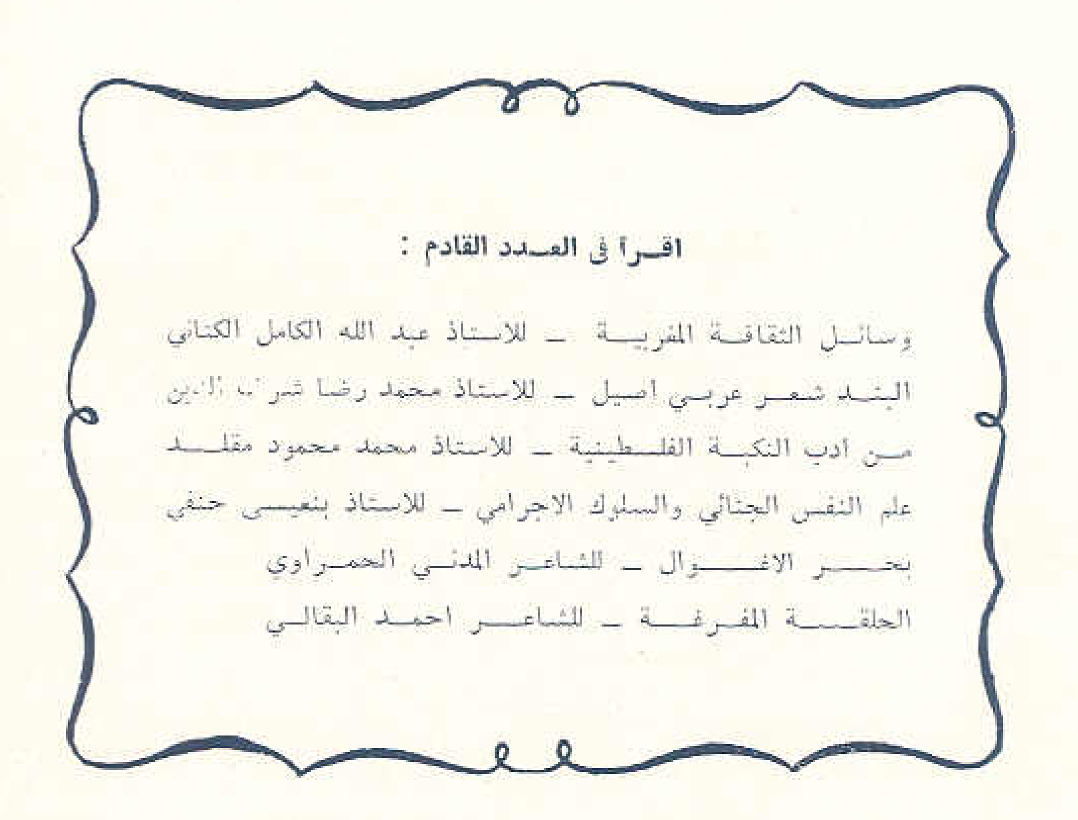
جامعة القرويين
كليـة الشـريعـة
ظهر المهراس
فـاس

البحوث الاسلامية

لاول مرة منذ فجر الاستقلال ينشا قسم للبحوث الاسلامية فى المركز الجامعي للبحوث العلمية ويركز فى كلية الشريعة بفاس . وبمقتضاه يهيب عميد كلية الشريعة بجميع العلماء والمعنيين بشؤون الثقافة الاسلامية الى المساهمة بما لهم من بحوث قيمة ومبتكر فى هذا الموضوع الهام . قصد ملء الفراغ الملموس فى هذا الجانب من جهة . وقصد الاستفادة مما خصص للبحوث الاسلامية من جهة اخرى .
والفرع المختص فى الكلية مستعد للجواب على جميع الايضاحات فى الموضوع فعلى من يهمهم الامر ان يكاتبوه او يتصلوا به مباشرة .

فهرس العدد السادس ـ السنة الخامسة

صفحة



اقرأ في العدد القادم :

وسائل الثقافة المغربية — للاستاذ عبد الله الكامل الكتاني

البند شعر عربي اصيل — للاستاذ محمد رضا شرف الدين

من ادب النكبة الفلسطينية — للاستاذ محمد محمود مقلد

علم النفس الجنائي والسلوك الاجرامي — للاستاذ بنعيسى حنفي

بحر الاغوال — للشاعر المدني الحمراوي

الحلقة المفرغة — للشاعر احمد البقالي

صورة الغلاف الثانية

اطلال وليلى او قصر فرعون على مقربة من مدينة زرهون

مطبعة فضالة — المحمدية